



640

OLIN

BP

130

I13



CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 060 270 141

All books are subject to recall after two weeks.

~~OLIN LIBRARY - CIRCULATION~~  
DATE DUE

AUG 20 1993			

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

OLIN

BP

130

I13

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّامِعُ

# الفرقان

لابن الخطيب

جمع القرآن وتدوينه ، بحباؤه ورسمه  
تلاوته وقراءاته ، وجوب ترجمته وإداعته

كاتبه: ابن الخطيب غلوما فطارسنت غانا  
وإن ساءت ماحلا فقت دسرت مالا  
وإن أغرت بعض القرين فذاعت سار الهدين

[ الطبعة الأولى ]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٦٧ - ١٩٤٨ م



---

حق الطبع محفوظ للأولف

---

الأهراء

إلى خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد الأصفياء، وخير أهل الأرض والسماء:



النبي الأُمِّي العربي ، الذي جاءنا بالنور المبين ، من رب العالمين ، فهدى قلوبنا غُلْفًا ، وفتح آذاننا سما ، وبَصَّرَ أعيننا عميا . وأحيانا بالإيمان والإسلام ، بعد أن أماتنا الكفر وعبادة الأصنام . وجاءنا بالكتاب المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ؛ فأجبنا النداء ، ولبينا النداء ، وتمت لنا السعادة ، وحقت لنا الحسنى وزيادة . فله الحمد على منته ، والشكر على نعمته !

إليك يا رسول رب العرش العظيم ، ومنقذ الأمة من العذاب الأليم . يا من جثقتنا بدين اليسر فَعَسَّرُوهُ ، وبالكتاب السهل فَصَّعَبُوهُ . وأرسلك ربك بالقرآن للخلق عامة ، فقصره على أمة العرب خاصة . وأمرتهم بالعمل به ، فاتخذوا دراسته عملا .

إليك يا من بعثت لتُتَمِّمَ مكارم الأخلاق ، وأرسلت لِتُجِلَّ السوفاق مكان الشقاق .

إليك يا من نقلت العالم من الجاهلية الجهلاء ، إلى المدنية العلياء ، وحولتهم من البهيمية إلى الإنسانية .

---

(١) القلب الأغلف : الذي لا يعي ، كأنما أحيط بغلاف . قال تعالى : « وقالوا

فلربنا غلف » .



لقد كانوا يثدّون بناتهم ، فأكرموهنّ . ويبيعون نساءهم ؛ فحفظوهنّ .  
ويعبدون ما يثختون ، ففطّنا لما كانوا يجهلون ، وعبدوا مولاهم الحق ،  
الذى خلقهم وتكفل بأرزاقهم .

لقد كانوا كالأنعام بل أضلّ سبيلا منها . فصاروا هداة للعالم كافة ،  
ومنارا لبني الإنسان عامة .

إليك يا من تمسك أعداؤك بأخلاقك فعَلَوْا في الأرض وتملّكوها ،  
ودانت لهم رقاب أهلها . وفترط أحباؤك في أوامرك ونواهيك ؛ فضلّ  
سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وتقطعوا أمرهم  
بينهم ، فلا نجاة لهم إلا بالرجوع إليك ، والتعلق بأذيالك ، والتمسك بجبالك  
(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول  
لوجدوا الله توابا رحيما) .

إليك يا حبيبي وحيب الله ، أرفع كتابي هذا ، راجيا ألا أكون قد  
جدت عن سنتك ، أو ملت عن شريعتك . بل أكون قد ذدت عن حياض  
الدين ، وحافظت على الكتاب المبين .

وفيك الرجاء ، وبك الاستشفاع ؛ أن يقبله ربي ويجعله خالصا لوجهه  
الكريم !

وعليك - يا أكرم الخلق - من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى  
السلام ما

اشرف بيوتك  
المنسركك الراجي شفايتك  
محمد عبد اللطيف  
ابن عيسى



## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

( رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي  
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي )

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ، وَالصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي أُرْسِلَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَعَلَى آلِهِ  
وَاصْحَابِهِ الَّذِينَ بَشَّرَهُمْ بِأَن لَّهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا .

وَبَعْدُ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ مَحَطُّ الرَّجَاءِ وَمُنْتَهَى الْأَمَالِ ، وَالرَّحْمَةُ  
الْمُنزَلَةُ لِإِنْقَاذِ الْعَالَمِ مِنَ الشَّرِّ وَالضَّلَالِ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ لِهَدَايَةِ الْكُفَّارِ  
وَالْجُهَالِ ، وَالْقِصَصُ الْحَقُّ الْبَشِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَالنَّذِيرُ لِلْكَافِرِينَ  
بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَالْعُرْوَةُ الْوَثْقَى الَّتِي مِنْ اسْتَمْسَاقِهَا فَازٌ وَنَجَاةٌ ، وَكَانَتْ لَهَا  
الدرجات العلاء . وَمِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا ذَلَّ وَهَوَى .

وَلَمَّا كَانَتْ حَاجَةٌ سَائِرُ بَنِي الْإِنْسَانِ مُلِحَّةً إِلَى تَنَاوُلِهِ ، وَرَغْبَتُهُمْ شَدِيدَةً  
فِي تَدَاوُلِهِ ، وَجِبَ أَنْ يَكْتُبَ بِالرَّسْمِ الَّذِي تَسَهَّلَ بِهِ قِرَاءَتَهُ ، وَبِالْهَجَاءِ الَّذِي  
تَسْتَسَاغُ بِهِ تَلَاوُتُهُ . وَوَجِبَ أَيْضًا أَنْ يَتَرَجَّمُ لِبَقِيَّةِ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ  
الْعَرَبِيَّةَ ، وَلَا يَتَقَنُونَ سِوَى لُغَتِهِمُ الْأَعْجَمِيَّةَ . إِذْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَكْفِي  
نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ، وَلَا يُحْمَلُهَا إِلَّا مَا آتَاهَا .

وقد أنزل القرآن الكريم لهداية العالم أجمع ، شرفهم وغيرهم ،  
عربهم وعجمهم .

وقد قام كثير من فضلاء المسلمين ، وكبار المثقفين ، يطالبون بوجوب  
طبوع المصحف الشريف مطابقا لرسم الإملاء الحديث ، وقام آخرون من  
القرءاء يعارضون هذا الرأي ويسفهونه ، ويرمون القائلين به بالزندقة والإلحاد ،  
والمروق من الدين . وقد أفتوا بأن القرآن إذا كتب بالإملاء الحديث ، خرج  
عن قرآنيته ، ولم تكن له حرمة ، ولم تجز له قراءة .

وهو تعسف ظاهر ، لا يستند على دليل منقول أو معقول ، بل يدخل  
في عموم التدجيل والأباطيل .

وقد قام المغفور له الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر  
بالدعوة إلى ترجمة الكتاب الكريم إلى اللغات الحية . وهى دعوة جريئة ،  
قوبلت بما تقابل به كل دعوة إلى الإصلاح لم تألفها القلوب ، ولم تركن إليها  
النفوس . ووافقته على ذلك بعض الأجلة .

فقام أناس — من العلماء وغيرهم — يعارضون هذه الفكرة ويحاربونها  
ويتهمون الداعين إليها فى عقلهم ودينهم .

وقد طلب إلى بعض من يحسنون الظن بى ، ولا يسعنى مخالفتهم ،  
أن أضع مؤلفا أبين فيه القول الفصل فى هذه النقطة الشائكة ، التى قد تكون  
نقطة تحوُّل فى الدين الإسلامى ، تجعل المسلمين — كما كانوا فى الزمان  
الأوّل — حملة مشعل الهداية والعرفان لسائر الأمم ! تلك الأمم التى توهمت

الآن — جهلا منها — أنها المرشدة إلى أقوم طريق ، وأهدى سبيل .  
في حين أنها تختبئ في مهاوى الظلمات ، ودياجير الجهل<sup>(١)</sup> .

فرايت نزولا على رغبتهم ، وإجابة لطلبهم ، أن أكتب هذا ، متوخيا  
الأدلة النقلية ، معززا لها بالبراهين العقلية ، ضاربا الصصح عما كاد أن يكون  
من العادات الموروثة عن الآباء والأجداد . وقدما قال الكافرون والمعاندون :  
( إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ )<sup>(٢)</sup> . فلم ينفعهم قولهم ،  
ولم ينقذهم تقليدهم ، بل أوردتهم النار ويئس الورد المورود .

وقد رأيت أن أضم إلى موضوع الترجمة أبحاثا تتعلق بما اختلف فيه ،  
وما هو مثار جدل وشقاق ، كالترجمة سواء بسواء . فابتدأت بذكر إعجاز  
القرآن وأسلوبه ولغته وهدايته وكيف كان جمعه ؟ وهل يجب التقييد برسمه  
القديم ؟ وهل يجوز استعمال القراءات المختلفة المتباينة ، التي تتنافر مع لغتنا  
ولهجتنا ؟ إلى غير ذلك مما قال به بعض القراء من الوقفات ، والسككات ،  
والغن ، والمد ، والإشمام ، والإدغام ، وما شا كل ذلك .

هذا وإني أعلم حق العلم ، وأوقن تمام اليقين ، أني قد عادت بعملی  
هذا بجمهرة المشتغلين بالقراءة ، المتفعين بها ، وبعض المتفهمين الذين<sup>(٣)</sup>

---

(١) ولا أدل على ذلك من أنهم قد استخدموا علومهم ومعارفهم في التخريب والحروب ،  
والابتعاد عن السلام والوئام . في حين أن الإسلام يحث دائما على الأخوة الصادقة ، والتعاون  
العام بين سائر الشعوب ، بغير فسق بين الأجناس « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا نثى  
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . والتعارف : هو التحاب ، والتآلف ، والتعامل .

(٢) سورة الزخرف . آية ٢٢

(٣) تفهيق الرجل في كلامه : تنطع وتوسع ، وملاؤه فيه .

يتمسكون بالقشور ويدعون اللباب ، ويتعاملون بتعجيز الناس وتوقيفهم عن تلاوة آى ربهم ، ويحسبون أنهم بفعلتهم هذه يحسنون صنعا ، ويحبون نفعا .  
وعلم الله تعالى أنهم صادقون عن القرآن ، عاصون للرحمن ، مستوجبون للخلدان والحرمان .

فلم يُتْرَلِ اللهُ تعالى كتابه الكريم ، السهل السمح ، ليبتدوا به وحدهم ، وليكون وقفا عليهم . ولم يجعله طلسماً لا يُحَلُّ رموزه ، ولا تفتح كنوزه ، إلا لأقلية ضئيلة ، لم تنل من العلم قطرة ، ولا من الفهم ذرة . وينادون بكفر من يأخذ القرآن عن غير طريقهم ، وإلحاد من يقرؤه بغير نفعهم .  
وكأنى بهم يريدون أن يعيدوا عهد بيع صكوك الغفران ، الذى فعله بعض رؤساء الكنيسة فى غابر الأزمان .

ومن قبل قال الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام :  
” أَكْثَرُ مَنْافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَّاءُهَا “<sup>(٢)</sup> .

ولم يقل أحد مطلقا — ممن تبرأ من الجهل ، وانتسب إلى العلم —  
بأن القرآن الكريم ، إنما هو بأحرفه واسمه ، وهيكله ورسمه .

لا . إنما القرآن بمنطقه وفهمه ، ولم ينزل إلا لمعرفة معانيه ، وتبيان مراميها ، واتباع أوامره واجتناب نواهيها ( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ )<sup>(٣)</sup> .

- (١) الظلم : المخطوط والكتابة التى رسمها السحرة ، فلا تفهم ولا تقرأ .  
(٢) أورد هذا الحديث الإمام الغزالي فى إحياء علوم الدين ، وقال قوم بوضعه .  
(٣) سورة النحل . آية ٤٤

وقد أسميته « الفرقان » لأن مباحثه تدور حول ما جاء بالكتاب الكريم  
الذي هو من أسمائه .

ولأن « الفرقان » لغة : هو ما يفرق بين الحق والباطل<sup>(١)</sup> . وأعتقد أنى  
— فى كتابى هذا — قد فزقت بين الحق الذى أنزله الله تعالى ، والباطل  
الذى ابتدعه المبتدعون .

وما أردت بما صنعت سوى إرضاء الله تعالى ورسوله ، وإرضاء ضميرى  
وسائر المؤمنين .

وسأحاول أن أبين فى هذا الكتاب : كيف ترك القرآن أهلوهم ، فتركهم ،  
ونبذهم ، فانتبذهم . وحاربهم فى القول والعمل ، فخارهم . ولم يبق لنا من  
الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن سوى رسمه !

ولست أطلب من القارئ الكريم ، والمنصف الحكيم . إلا أن يتدبر  
ما قلته ، ويتبصر فيما سقته . فإن وجد الدليل مصاحبى ، والحق فى جانبي .  
فليجهر برأى ، وليحمد سعى ، ولا يخف فى الحق لومة لائم .

وإن خالفنى فيما ذهبت إليه ، فله رأيه الذى سيسأل عنه ، ولى رأى  
الذى سآحاسب عليه . ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ .

وإنى أهيبُ بجمهرة العلماء العاملين ، والأدباء الباحثين ، والحفاظ  
والقارئین . الذين رَغِبُوا عن السَّبَابِ والشتائم ، وحاولوا الوصول إلى الحقيقة

---

(١) قال تعالى : " ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان " أى الحجج والآيات التى فزقت بين

حق موسى وباطل فرعون .

مجردة عن الهوى والتقليد ، وراعوا كرامة البحث وآداب المناظرة ، أن  
يوافقني بردودهم على ما جاء بكتابي هذا . وأنا الكفيل بطبعه ونشره على  
سائر المسلمين . بعد الرد على ما يحتاج منه للرد ، والموافقة على ما يستحق  
الموافقة . فالعلم ليس ملكاً لأحد ، ولا وقفاً على أحد . والرجوع إلى الحق  
من أفضل الفضائل .

والله أسأل أن يوفقني لما يرضيه ، وأن يجنبني ما يسخطه . ويقيني  
به أن يقيني من الخطل والزلل .

فان كنت أصبت فمن الله تعالى الهادى إلى أقوم الطرق ؛ ولى على ذلك  
أجران ، وإن كنت أخطأت فانى بشر أخطى وأصيب ؛ ولى على ذلك أجر  
واحد . وسبحان من تفرّد بالعصمة ، وتبرأ من الخطأ . ولا حول ولا قوة  
إلا بالله العلى العظيم ، وهو حسبي ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير !

ابن الخطيب



الْقُرْآنِ

القرآن  
أصل لسائر العلوم

القرآن الكريم : جامع لفنون البلاغة ، وحاوٍ لأطراف البيان والفصاحة  
وهو أصل لسائر العلوم :

فعلم الكلام كله في القرآن ، وعلم الفقه كله مأخوذ منه ، وعلم النحو  
واللغة ، وعلم الزهد ، وأخبار الآخرة ، ومحاسن الخلال ، ومكارم الأخلاق ؛  
كل ذلك مأخوذ منه ، منقول عنه .

إعجاز القرآن

ومن أعجب ما تراه في إعجاز القرآن ، وإحكام نظمه : أنك تحسب  
ألفاظه — بلجالها وروعيتها — متقادة لمعانيه ، فإذا ما تغلغت فيه ؛ وجدت  
معانيه متقادة لألفاظه ، فإذا ما تغلغت ثانية ؛ حسبت العكس . ولا تزال  
متردداً بين اتقياد معانيه لألفاظه ، واتقياد ألفاظه لمعانيه . حتى تتذكر  
أنك إنما تقرأ كلام الله ، لا كلام البشر !

فقد خلق الله تعالى في العرب فطرة اللغة ، ثم أخرج من هذه اللغة  
ما أعجز تلك الفطرة . لأن التوالى بين الألفاظ ومعانيها ، والمعاني والألفاظ ؛  
مما لا يُعرفُ مثله إلا في الصفات الروحية العالية !

وكلامه ليس كسائر كلام المخلوقين الذين يحسن كلامهم في نوع من  
الكلام ، دون نوع آخر منه .

القرآن كلام  
لا كسائر الكلام

فقد قالوا : إن شعر امرئ القيس يَحْسُنُ عند الطرب وذكر النساء  
وصفة الخليل ، وشعر النابغة عند الخوف ، وشعر الأعشى عند الطلب  
ووصف الخمر ، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء .

وبالجملة فكل شاعر ، وكل كاتب ، وكل منشىء ، يحسن كلامه  
فى فن من الفنون دون باقيها . أما القرآن فقد ملك ناصية القول ، وبلغ  
نهاية الحسن فى كل معنى طريقه .

الترغيب

ألا ترى قوله فى الترغيب : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ <sup>(١)</sup> .  
﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَبِههُ الْأَنْفُسُ وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ <sup>(٢)</sup> .

الترهيب

وقوله فى الترهيب : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ  
حَاصِبًا <sup>(٣)</sup> ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ، أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ  
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا <sup>(٤)</sup> مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا <sup>(٥)</sup> .  
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ، أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنَ  
فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ <sup>(٦)</sup> . ﴿ وَأَسْتَفْتِحُوكُمْ  
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ  
وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ <sup>(٧)</sup> مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ  
عَذَابٌ <sup>(٨)</sup> غَلِيظٌ <sup>(٩)</sup> .

(١) سورة السجدة . آية ١٧ (٢) سورة الزنبرف . آية ٧١

(٣) الحاصب : الريح الشديدة تنير الحصباء . وهى الحصى .

(٤) الريح القاصف : الشديدة .

(٥) سورة الاسراء . آية ٦٨ و ٦٩ ، والتبعية : التابع . والمراد به طالب النار .

(٦) تمور : تتحرك وتتكفأ .

(٧) سورة الملك . آية ١٦ و ١٧

(٨) ويأتيه الموت : أى أسباب الموت .

(٩) سورة ابراهيم . آية ١٥ و ١٦ و ١٧

الزجر

وقوله في الزجر: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١).

الوعظ

وقوله في الوعظ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (٢). ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَدَى إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ (٣). ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ، وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ (٤). ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ، عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (٥).

الإلهيات

وقوله في الإلهيات: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٦).

القرآن نور

والقرآن الكريم — ولو أنه نزل بلغة العرب — إلا أنه قد نزل على نمط يُعجزُ قليله وكثيره معا، وهو بذلك أشبه شيء بالنور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٧)، وهو في كل جزء من أجزائه، وفي أجزائه جملة واحدة، لا يُعارضُ بشيء: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨). ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (٩).

(١) سورة العنكبوت . آية ٤٠ (٢) سورة الشعراء . آية ٢٠٥

(٣) سورة الباقية . آية ٢٣

(٤) سورة النجم . آية ٣٣ و ٣٤ ، وأكدى : أى قل خيره ، وقطع القليل .

(٥) سورة العلق . آية ٩ — ١٤

(٦) سورة الرعد . آية ٨ (٧) سورة المائدة . آية ١٥

(٨) سورة الإسراء . آية ٨٨ (٩) سورة البقرة . آية ٢٣

لغة القرآن

وإنما كان ذلك : لأنه صَفَّى اللغة من أكدارها ، وأجرأها على بواطن أسرارها ، بقاء بها في ماء الجمال أملاً من السحاب ، وفي طَرَاءة الخلق أجمل من الشباب ، ثم تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز ، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز ، وصاغ بها العبارات منمقة مزوّقة ، فإذا به يُنطقُ باللغة العربية التي تنطقُ بها ، وينطقُ بها سائر البلغاء والفصحاء . غير أنه لا يقاس عليه شيء مما ننطق ، ولا يشبهه شيء مما تتنطق به العرب . وذلك لأن ما ننطق به يبلغ العجب من بلاغته قدراً يزول بزوال ذلك النطق ، أما القرآن الكريم فقد صيغ في لغة وعبارة ، ومظهر ومخبر ، لا ينقضي العجب منه طول العمر وأبد الدهر !

عبارات القرآن

ولم يكن ذلك العجب لما فيه من إرهاصات ومُعَيَّبات فحسب . بل لما فيه أيضاً من عبارات واختيارات ، هي بالموسيقى أشبه منها بسائر الكلام .

وإن الإنسان لينقضي عمره في تهذيب كلمة له . أو قصيدة . ولا يفناً يقول : لو وضعت هذه الكلمة مكان هذه لكان أليق ، ولو وضعت هذا الحرف مكان هذا لكان أليق . إلا القرآن الكريم فإنك لو رفعت كلمة منه وعرضت مكانها سائر الكلام العربي ، لمّا حلَّ محلها ، ولو استعضت عن حرف من حروفه بسائر الحروف لمّا تيسر . وذلك لأنه بلغ نهاية الجمال المطلق ، وغاية البلاغة العالية !

(١) أرهص الشيء : أسسه وأثبتته ، وأرهصه الله : جعله معدناً فخيراً . والمراد هنا :

ما يثبت صحة القرآن ، وصحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .

وكم رأينا متعالماً يحاول السمو بلغته عن لغة العامة؛ فإذا به ينطق بما لا يُفهمه ، ويكتب ما يدخل في عداد الطلسمات<sup>(١)</sup> والمعميات .

وكم رأينا آخريريد أن ينزل بلغته عن لغة الخاصة، ليفهمها كل قارئ، ويعيها كل سامع؛ فإذا به ينطق بالهراء ، ويكتب ما يستوجب الاستهزاء .

أما القرآن الكريم فقد تحلى بأفضل ما في اللغة من عبارات ، وأسمى ما فيها من كفايات وإشارات . وهو مع كل هذا معلوم مفهوم للصغير والكبير ، للعالم والجاهل ، سهل في النطق وفي الفهم . ولا بدع فهو كلام اللطيف الخبير ، بديع السموات والأرضين ، جل وعلا عن الشبيه والنظير وعز عن أن يماثله مخلوق ، أو أن يساوى كلامه كلام !

لقد أنزل الله تعالى القرآن — لا لأمة العرب فحسب ، ولا لجيلهم دون بقية الأجيال — بل لسائر الحقب ، وأبد الدهر . لهذا بهتوا له ، ولم ينقض عجبهم ، لأنهم لم يتبينوا : أ كانوا يسمعون في آياته صوت الحاضر ، أم صوت المستقبل ، أم صوت الخلود ؟

وذلك لأن القرآن جاء بلغتهم التي يعرفونها ، ويتكلمون بها ، ولكن في بلاغة وجزالة ورقة ، غير ما اتهم إليهم من علومها وفنونها وأساليبها . لقد تكلم القرآن منذ عشرين قرناً ، وكأنما يخاطب أبناء هذا القرن . وسيظل غصاً طرياً جديداً ، مهما تقادمت العصور والدهور .

القرآن لسائر  
الأمم والأجيال

(١) الطلم : هو خطوط ، أو كتابة غير مفهومة ، يستعملها السحرة .

ألا تراه حين يقول :

بعض أوامر  
القرآن ونواحيه

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ  
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا  
كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلْمِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي  
صَغِيرًا ، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ،  
وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ، إِنْ الْمُبْذِرِينَ  
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ  
أُبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ، وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً  
إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ، إِنْ رَبُّكَ يَسْطُرُ  
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ  
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ  
الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ  
وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ  
مَنْصُورًا ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا  
بِالْعَهْدِ إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مَسْئُولًا ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ  
الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ، وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

(١) كناية عن البخل ، وهو قبض اليد .

(٢) كناية عن الإمراف ، وهو بسط اليد كل البسط . أما بسطها بالكرم الذي لا يبلغ حد السرف ؛ فهو محمود غير مذموم ، لقوله تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

(٣) القسطاس ، بضم القاف وكسرهما : الميزان .

وَالْبَصْرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ، وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا  
إِنَّكَ لَنْ تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ  
رَبِّكَ مَكْرُوهًا <sup>(١)</sup> .

ألا تراه حين يقول ذلك ؛ كأنما يخاطب أهل هذا القرن بذنوبهم  
وآثامهم ؟ ألا تراه حين يقول ذلك ؛ كأنما يخاطب سائر الأمم الشرقية  
والغربية ؟

القرآن يخاطب  
كل قرن

ولو أن أحد المجامع العلمية الفرنسية أو الأمريكية ؛ أراد أن يخاطب  
أمته التي أوهاما الترف ، وأوهنتها الآثام ، ورخصت فيها الأعراض ،  
وبدأ نسلها في الانقراض ، وهبت فيها الرذائل بأنوائها ، ورمته كل أمة  
من أمم الأرض بدائها ، واجتمعت فيها سائر النقائص : فمن اجتمع الى  
افتراق ، ومن إلحاد الى إيمان ، ومن صلة الى حرمان ، ومن حب الى  
تباغض ، ومن ائتلاف الى إئتلاف .

نقول : لو أن أحد هذه المجامع أراد أن يتخوّل <sup>(٢)</sup> أتمته بالموعظة ، ويضع  
يدها على مواطن دائها ؛ لما استطاع أن يقول مثل هذا المقال ، أو يبلغ  
هذا المنال . لأن القرآن الكريم لم يدع خيرا إلا وأمر به ، ولم يدع شرا  
إلا ونهى عنه .

لقد أمرهم القرآن في هذه الآيات بالإحسان الى الوالدين : ((وَالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا) . وها هم الآن يقتلونهم قتلا ، ويذبجونهم ذبجا .

الإحسان  
الى الوالدين

(١) سورة الإسراء . الآيات ٢٣ - ٣٨

(٢) التخوّل : التعمد . وفي الحديث الشريف "كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة"



- وأمرهم بإيتاء ذى القربى والمساكين حقوقهم من البر والرحمة :  
﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ . وهامم الآن يؤتونهم الشر  
والبؤس والتشريد والحرمان .
- ونهاهم عن التبذير : ﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا﴾ . وهامم الآن يلقون بأموالهم  
ذات اليمين وذات الشمال ، فى اللهو واللعب والقمار والرهان .
- ونهاهم عن البخل والتقتير : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ . وهامم  
الآن يكتزون الأموال ، ويدنحونها فى خزائنهم ، حتى أوشك العالم أن  
ينقلب وتترزل أركانه ؛ لحبس النقد عن التداول ، ولشروع نظام الطبقات .
- ونهاهم عن قتل الأبناء خشية الفقر : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ .  
وهاهم يقتلونهم فى كل حين وأن ، ويدونهم وهم فى بطون أمهاتهم بما يزعمونه  
من باطلهم بتحديد النسل ، خشية الفقر والإملاق ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ  
وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .
- ونهاهم عن قربان الزنا : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا﴾ <sup>(٢)</sup> — وقربانه غير إتيانه —  
وهاهم الان يرتكبون أمورا تعاف من ارتكابها أخس المخلوقات ، وأحظ  
الحيوانات ، وتندى لها جبين الفضيلة .

(١) سورة البقرة . آية ٢٦٨

(٢) النهى عن قربان الزنا ، غير النهى عن إتيانه . وقربان الزنا : عشيان مواطن البنى  
والفساد ، وارتكاب مقدماته . كالتبلة — التى هى يريد الزنا — والعناق ، وماشا كل ذلك ؛  
بما يؤدى إلى الوقوع فى هذه الجريمة التى هى من أشنع الجرائم ، وأبشع الموبقات !

التفاخر بالزنا : ولم يقف بخورهم عند إتيان الزنا خفية ، بعيدا عن أعين الرقباء . بل صاروا يفخرون بما يخزيهم ، ويتعالون بما يُنزِلُ أقدارهم ، ويهدرُ آدميتهم !

تنظيم الزنا : وليتهم وقفوا عند هذا الحد من إثمهم وبخورهم ؛ بل تجاوزوه إلى تنظيم الزنا وتقنينه ، وعمل إجازات رسمية ممهورة بخاتم الدولة .

هذا في حين أن الزنا قد حرّمته سائر الأديان والشرائع .

النهي عن القتل : (( وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ )) . وها هم يقتلون لأتفه الأسباب ، وأوهى المعاذير . بل ها هي الدول — التي تدعى التمدين — تقتتل لمطامع فردية شخصية ، وتقيم الحروب ، وتزهق الملايين من النفوس الآمنة المطمئنة ، التي لا ذنب لها سوى أنها جبلت على الطاعة واحترام أوامر الرؤساء ، مع أنه « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

وإنهى أيضا عن إسراف ولى المقتول في القتل : (( فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ )) . وها هم الآن لا يكتفون في طلب الثأر بقتل القاتل فحسب . بل يقتلون في بعض القرى : القاتل وكبار رؤوس عائلته وعشيرته ، ويظل بعضهم يقتل بعضا ردحا من الزمن ، حتى تنقضي زهرة شبابهم ، ويحل الفناء بكبرائهم .

عدم الافراط في القصاص

ونهى عن قربان مال اليتيم : (( وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )) . وها هم يأكلون اليتيم وأمواله بدون وازع من ضمير ، أو رادع من قلب .

النهي عن أكل مال اليتيم

(١) ولى المقتول : وارثه ، المطالب بدمه .

الوفاء بالعهود

وأمر بالوفاء بالعهود: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . وها هي العهود والمواثيق وقد أصبحت لا تساوى ثمن المداد الذي كتبت به ، وأصبح شعار الأفراد والجماعات — بل والدول — نقض المعاهدات والمخالفات . وأصبح أهل القرن العشرين يرتكبون ما لم يرتكب في العصور الماضية ، والقرون الوسطى .

إيفاء الكيل  
والميزان

وأمر بإيفاء الكيل والميزان: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ . وها هم الآن يطففون الميكال والميزان ، بغير خوف من الرحيم الرحمن ، وقد أُنذِرهم بالويل بقوله: ﴿ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

التداخل  
فيما لا يعنى

ونهى عن التداخل فيما لا يعنى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ . وها هم الآن يتداخلون فيما لا يعينهم ، ويقتفون ما ليس لهم به علم ، فباءوا بالخسران والحرمان .

مسئولية السمع  
والبصر والفؤاد

وعرّف أن الإنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ . مسئول عن سمعه ؛ فلا يستمع به إلى غيبة أو نسيمة . ومسئول عن بصره ؛ فلا يبصر به محرما . ومسئول عن قلبه ؛ فلا يُصِرُّ لإنسان على مكروه أو شر . وها هم الآن لا يستمعون إلا للغيبة والنسيمة ، التي تجلب البغضاء والخصومة . ولا يبصرون إلا الحرام الذي يسقط المروءة ويذهب ببهاء الإسلام . ولا يضمرون في قلوبهم سوى السوء لإخوانهم وذويهم .

ونهى عن الكِبَرِ والعُجْبِ والخِيَلَاءِ: ﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ . وها هم الآن يمشون في الأرض ، يطاولون السماء بفرحهم ومرحهم . وها هم أيضا يتكبرون بفانخر المأكل ، ونفيس الملبس ، وفأره المركب<sup>(١)</sup> ، ويتعاضمون بالأكام والأردان<sup>(٢)</sup> ، لا بالتقى والدين والورع .

النهي عن الكبر

ولم تكن دعوة القرآن الكريم الال للبر والخير، والعمل النافع الذي يفيد النفس والناس ، وينظم العلاقات بين سائر البشر ، بغير نظر للتخلافات الطائفية ، أو الفروق الجنسية .

دعوة القرآن

بل لقد رفع من شأن بعض العبيد المتقين ، على كثير من كبار السادة والرؤساء !

لقد دعا الى عبادات سهلة مشرقة نظيفة ، ليس في إتيانها تعسف أو تألم كبقية العبادات في سائر الديانات . بل إن عبادات الإسلام تحقق للسلم ألوانا شتى من راحة الضمير ، وراحة البدن ، وراحة الروح .

العبادات

فالصلاة تريح الضمير ، والصوم يريح البدن ، والصدقة تريح الروح . أما الحج فيريح الضمير والبدن والروح معا ؛ لأن الانسان حينما يدخل البيت الحرام ، الذي هو أكبر بيت للتوحيد في سائر الوجود ، يرتاح ضميره وبدنه وروحه ! وحينما يرى تلك الصحراء التي تشرفت ببعثة الرسول

الصلاة والصوم والصدقة الحج

(١) الفأره من الدواب : الجيد السير ، ويدخل فيما نعنيه : السيارات الفخمة ،

وما شاكلها من أداة الركوب . (٢) الرदन بالضم : أصل الكم .

العظيم ، ويرى مهابط الوحى ، ومشاهد الطبيعة هناك . وكل هذا يبعث على  
العرب الوحشة والجبروت والغلظة والقسوة . ويرى هؤلاء العرب الذين كانوا مبعث  
الفتك والعدوان ، فإذا بهم بين يوم وليلة هداة لسائر بنى الانسان ؛ حينئذ  
توجيه القرآن يهدأ يقينه ، ويطمئن باله ، ويعلم أن ذلك التحول لم يكن من صنع مجد ،  
أو صنع أحد من البشر . إنه صنع الرحمن ، وتوجيه القرآن !

وقد زعم قوم : أن فى الإمكان معارضة القرآن ؛ فقلده بعضهم تقليدا  
سمجا مرذولا ، لا يعدو أن يكون فى عداد سَقَط الكلام ، ولغو القول .  
مسيلة الكذاب فقد نسبوا الى مسيلمة قرآنا ، حفظت الرواة منه بعض السخافات .

فمن ذلك : « يا ضفدع يا بنت ضفدعين ، نقي ما تنقين ، نصفك فى الماء  
ونصفك فى الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ... » .

ومنه أيضا : « والباذرات بذرا ، فالزارعات زرعا ، فالحاصدات  
حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ،  
والخابزات خبزا ... » الخ ما جاء من هذا الهراء .

ولعل الرواة قد بدلوا وغيروا فى قرآن مسيلمة ؛ لأن رب مسيلمة  
صاحب هذا القرآن ، ومثله عليه ، لم يتكفل بحفظه ، كما تكفل رب مجد  
بحفظ كتابه .

ونسبوا أيضا للأسود العنسى وغيره من الكفار قرآنا لا يزيد فى بلاغته  
الأسود العنسى وإعجازه عن قرآن مسيلمة .

وقد بلغ من كراهة بعض العرب للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ أن  
قصد طلحة النمرى مسيلمة ، وسأل عنه قومه : أين مسيلمة؟ فتصايحوا عليه :  
لا تقل مسيلمة ، بل قل : أين رسول الله . ثم قاده إليه فخاوره قليلا حتى  
أعلمه برسالته ، وأسمعه قرآنه ، فقال له : أشهد أنك لكاذب ، وأن محمدا  
لصادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر .

كراهة بعض  
العرب للرسول

ونسبوا أيضا إلى أبي العلاء المعزى أنه أنشأ في هذا المعنى وقال :  
فلتصقله الألسن في المحاريب<sup>(٢)</sup> أربعمائة سنة ، ثم بعد ذلك انظروا كيف  
يكون<sup>(٣)</sup> .

وهي ولا شك فرية نسبوها إلى أبي العلاء ، وهو من هو في عقله وأدبه  
وتفكيره . وهو أعقل من أن يحاكي ما لا سبيل إلى محاكاته .

ومن عجب أن يظن بعض الزنادقة أن القرآن لم يبلغ هذا المبلغ إلا  
بتريده ، وصقل الألسن له ؛ في حين أن جميع الآثار البيانية في لغة العرب  
— شعرا كانت أو نثرا — كلما ازداد الناس تلاوة لها وتريديدا ؛ ازدادت  
النفوس عنها رغبة ، ومنها نفورا .

الآثار اللغوية  
قبل القرآن

- (١) وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » . وقوله :  
« أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » .  
(٢) المحاريب : جمع محراب ، وهو المسجد . وقيل : المحراب ، صدر المجلس .  
(٣) يريد عليه لعنة الله (إن كان هذا قوله) أن القرآن الكريم لم يبلغ هذا المبلغ من النفوس ،  
ولم يصل إلى هذا السمو وهذه القداسة ؛ إلا بالترديد والتريديد . وقد فاته أن التريديد قد يكون  
مدعاة للسأم والملل . في حين أن القرآن كلما ردد ازداد حلاوة وعذوبة ، وازدادت النفس به  
تعلقا وشغفا .

ففي اللغة العربية قصائد وأبيات من الشعر محفوظة من قبل أن ينزل القرآن ، وينطق به اللسان ، وهي تتلى في المجمع والأندية صباح مساء ، ويمثل بها في كل مناسبة . ولكنها لم تتجاوز مرتبتها العلمية ، ولم تعد منزلتها الأدبية ، ولم ترتفع عن كونها شعرا قيد أنملة .

القرآن يزداد  
حسنا بالتكرار

ولكنه كلام واحد ، وكتاب واحد ، كلما ازداد تكراره ، ازداد تأثيره في النفوس ، وتطريبه للقلوب . ذلك هو القرآن ، ولا شيء يشبهه في هذه الخاصية بين كتب الدنيا كلها ، وآداب الأمم والشعوب .

التأثر بسماع القرآن

لقد وصل من مرتبة القرآن الروحية أن يتأثر بسماعه من ليس له بفاهم ، وترتعد له فرائص الجبايرة ، وأصبح جرس حروفه ميراثا ينتقل في حواس المسلمين الباطنة من جيل الى جيل ، ويكفي أن تقرأ آية فيها أدنى خطأ أمام مسلم غير حافظ للقرآن ، ليدرك أن في هذه الآية لفظا قلقا ، أو نقصا في الأداء ، يستوجب مراجعة المصحف .

الدخلاء  
في الإسلام

هذا ولما تعقدت حياة الإسلام بكثرة الحروب والفتوح ، ودخلت فيه شعوب شتى ، واختلطت به دماء لا تمت الى العرب ، ولا الى العربية بصلة ؛ تغير تفكير المسلمين في فهم معاني القرآن الكريم ، وذلك بواسطة هؤلاء الدخلاء الذين لا ينتسبون الى الأمة العربية ، ولا يفهمون كتابها ، كفهم أبنائها له . فراحوا ينظرون الى القرآن نظرة مادية بحتة ، وتركوا روحانيته وما أنزل لأجله . وجعلوا كل همهم في مراجعة سورته وآياته ، وقلب ألفاظه ومعانيه ، والتنقيب عما وراء هذه المعاني والألفاظ المقلوبة .

ترك  
روحانية القرآن

وزاد من بعدهم بعداً عن روح القرآن : فراحوا يعدون آياته وحروفه  
وسوره ، ويتبعون مكيه ومدنيه ، ووقفاته وسجداته ، وحركاته وسكاته  
ويتعسفون في قراءته .

وتفرع من هذا ، أن جاء قوم ، وجلهم من الأعاجم ، ففتحوا أبوابا  
من الخلاف في تفسير القرآن ؛ ففسره بعضهم تأييدا لبعض المذاهب  
الفقهية ، وفسره بعضهم تأييدا لبعض المذاهب السياسية ، وفسره آخرون  
طبقا لما دار بذهنه من مفهومات هي بعيدة كل البعد عما أراد الله تعالى .

الخلاف  
في تفسير القرآن

وفي هذه الفترة ، دُسَّ في معاني القرآن ما ليس منها ، ودُسَّ في أقوال  
الرسول عليه الصلاة والسلام ما لم يقله ، وما يتنافى مع منطوق القرآن الذي  
جاء به ، ودس أيضا على الصحابة والتابعين ، وانتشرت القصص الإسرائيلية  
حتى لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب التفسير .

الدس في معاني  
القرآن

إلا أن هذا الدس ، وذاك الخلاف — وهما نتيجتان طبيعيتان في كل  
جماعة تأخذ حظها من الترف — لم يؤثر على الدين أو القرآن في شيء . وظل  
القرآن شامخا عاليا ، تتساقط تلك المعاني الفاسدة من حوله كما تتساقط  
أوراق الخريف ، ولم تلتصق به سوى زهرات المعاني التي ساقها بعض  
من توراته تعالى بصيرته بنور الإيمان ، وطهر عقيدته بدراسة القرآن  
« وقليل ما هم » .

الدس لم يؤثر  
على القرآن

والقرآن الكريم : ملاذ المسالمين في أفراحهم وأتراحهم<sup>(١)</sup> ، في مصائبهم  
وكوارثهم ، بل في كل شيء يعرض لهم في هذه الحياة .

القرآن ملاذ  
المسلمين في مصائبهم

(١) الترح : صدّ الفرح .



هو سلوتهم الوحيدة إذا حَزَبَهُمْ<sup>(١)</sup> أمر ، أو نالهم مكروه ، أو نزلت بهم نازلة ، أو مسهم طائف من الشيطان .

أرأيت لو دهم إنسانا مصاب ، أو حاق به بلاء ، وذهبت به الظنون كل مذهب ، وساورته الشكوك والأوهام ، وظنَّ ألاَّ عاصم له مما حلَّ به ووقع فيه ؛ فأى شيء يسكن لوعته ، ويبرد غلته ، ويكف من أشجانه ، ويوقف سيل أحزانه ؟

أى شيء يطفئ ناره ، ويهدئ أواره<sup>(٢)</sup> ؟ أى شيء سوى كلام الله تعالى ووعده بأجر الصابر ، وجزاء الشاكر : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

من للضعيف إذا عدا عليه القوي يكلكه<sup>(٥)</sup> ، وبأراه بخيله ورجله ، ولم يستطع الفكك من قبضته ، ولا التخلص من سطوته ؟

القرآن ملاذ  
المسلمين  
في ضعفهم

من الذى يبت في ضعفه قوة ، وفي تحاذله فتوة ؟ من سوى الرحيم الرحمن ، حين يقول في القرآن : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾<sup>(٦)</sup> .

أرأيت أيها المؤمن لذائد الدنيا وطيباتها ؟ وكيف أن هاتيك اللذائد وتلك الطيبات كالسم في الدسم . فما من واحدة من اللذات ، إلا وهى

لذائد الدنيا

(١) حزبهم أمر : أصحابهم . (٢) ساورته : غالبته . ومنه المساورة ، وهى المواثبة .

(٣) الأوار : حر النار والشمس ، والعطش ، والدخان ، واللهب .

(٤) سورة البقرة . آية ١٥٥ و ١٥٦ (٥) الكلكل : الصدر .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٣٧

محفوفة بآلاف المخاطر ، وصنوف شتى لا عداد لها من الكدر والعناء ،  
والشقاء والبلاء . تهتد الإنسان الحوادث والصروف كل آن ، ويخشى  
طول حياته عواقب الحداث<sup>(١)</sup> . لا يدري بأى حجر يُرمى ، ولا بأية عثرة يعثر ،  
ولا بأية بقعة يقبر !

وأقسم بكل نَمُوس<sup>(٢)</sup> من الأيمان : أن الإنسان لولا سلوة القرآن ،  
وحسن عزائه ، وطيب النفس بالثقة به ؛ لكان جديرا بأن يلقي بنفسه  
من حائق<sup>(٣)</sup> . فيرتاح مما حل ، ويأمن شر ما سيحل . لأنه لو قاس ما لاقاه  
ويلاقيه في هذه الدنيا من الأرزاء والمصائب ، والأخطار والمتاعب ، ووازن  
بينها وبين ما يحظى به من النعيم الزائل ، واللذائذ الفانية ؛ لوجد هاتيك  
إلى هذه أضعافا مضاعفة . وذلك لأن ألم الموت لحظة ، وآلام الحياة كل  
لحظة !

سلوة القرآن

والناظر إلى هذه الآلام والبلايا بعين البصيرة ؛ يجد أنها لم تكن باطلا  
ولم تخلق عبثا ، بل كانت لأمر خفي ، وحكمة بالغة ، ومقصد عظيم .  
فإذا ما يتأس العبد من رحمة ربه ، ودفعه إبليس اللعين للكفر به ؛  
ازدادت مصائبه ، وعظمت بلواه .

آلام الحياة

اليأس

أما إذا استسلم لقضاء الله ، وألقى بنفسه في أحضان الرحمة الربانية ،  
وهرع إلى القرآن يرتشف من ينبوعه العذب ، فشفى نفسه وجسمه وقلبه :

الاستسلام

(١) الحداث : نواب الدهر .

(٢) اليمين النعوس : التي تعمس صاحبها في الإثم إذا لم يكن صادقا فيها .

(٣) الحائق : الجبل العالى ، أو كل شئ مرتفع .

(وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) <sup>(١)</sup> فإنه عند ذلك يشعر ببرد كبده ، وهدوء نفسه !

فكم من غنى منعم تتوفر لديه سائر الأسباب ، وهو في أحط الشقاء ، الطاعة بسبب السرور ، وأسوأ العذاب . وكم من فقير مدقع أحاطت به صنوف الحادثات ، ونزلت به سائر البليات ، وهو - رغم كل هذا - ضاحك السن ، طروب النفس . **بَحَلَّ الْمُضْحِكُ بِلَا طَرْبٍ ، الْمُبْكِيُّ بِلَا سَبَبٍ :** <sup>(٣)</sup> (وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى) .  
وما لنا نذهب بعيدا ، ونمشي وئيدا : <sup>(٤)</sup> (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنَ يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ) <sup>(٦)</sup> .

إن القرآن هو النعمة العظمى ، والراحة الكبرى ، والسعادة الأبدية لمن طلب السعادة . وهو الواحة التي يستظل بها السارى من حر الحياة اللاغ المحرق .

وإن المتمسك بأحكامه ، المتخلق بأخلاقه ، يشعر بالهدوء والاستقرار والطمانينة والسرور ، ولو كان بين أنياب الفقر ولهوات البلاء <sup>(٧)</sup> .

(١) سورة الاسراء . آية ٨٢

(٢) دقع يدقع : لصق بالدقعاء من الذل . والدقعاء : التراب . وفقير مدقع : أى ذليل ،

لاصق بالتراب . (٣) سورة النجم . آية ٤٣

(٤) الوئيد : التأني والزناة . (٥) السبب : الحبل .

(٦) سورة الحج . آية ١٥ ، والمعنى الإجمالى للآية : من قطع أمله فى الله تعالى ، وظن أنه

غير ناصره ، ويئس من رحمته ؛ فليخنتق .

(٧) اللهوات : جمع هاة ، وهى الهمة المشرفة على الخلق فى أقصى الفهم .

المفترط في القرآن وإن المفترط في أوامره، المهمل لنواهيهِ، ليشعر بالضيّق، والبؤس، والحزن ولو كان في أرقّ المناصب وأسمى الرتب، ولو جبي إليه خراج الدنيا بأسرها، وانقادت له رقاب أهلها .

الويل لمن عاداه  
الويل لمن عاداه  
القرآن

والويل كل الويل لمن عاداه القرآن فهجر أحكامه ، وكان ضمن من حاجهم الرسول بقوله يوم القيامة: ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (١) . أو ضمن من حبسه القرآن في الجحيم والعذاب الأليم . عافانا الله تعالى منه بمنه وكرمه !

(١) سورة الفرقان . آية ٣٠ ، وهجران القرآن : ليس هجران تلاوته ، بل هجران العمل بأحكامه ، والامتنار بأوامره ، والاجتناب لنواهيهِ . فرب فارى للقرآن والقرآن يلعنه !

(٢) الحبس بمعنى الخلود . وذلك كقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها » يؤيد معنى الخلود ما ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم — من حديث طويل — « يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ولا يبق فيها سوى من حبسه القرآن » . وقال أيضا : « كل ذنب عسى الله تعالى أن يفره ، إلا الرجل يموت كافرا ، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا » . وقال أيضا : « لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله تعالى من قتل مؤمن ، ولو أن أهل سمواته ، وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار » . وفي حديث آخر : « إن الله تعالى حرم الجنة على القاتل والآمر » . وقال أيضا : « نازلت ربي في قاتل المؤمن أن يجعل له توبة ، فأبى عليّ » .

وقد قال بعضهم : إن الخلود هنا بمعنى طول المكث ، بدليل قوله تعالى : « إن الله لا يفرق بين من يشرك به ويفرق ما دون ذلك إن شاء » ودليل الخلود عندى أولى بالاعتبار . لأن باقى الآية الأولى : « وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » . والغضب واللعن : لا يكون إلا للكافرين المستوجبين للخلود في العذاب . ويكون تأويل قوله تعالى : « إن الله لا يفرق بين من يشرك به » أن القاتل لما خالف الله تعالى ، واستهان بأحكامه ، ولم يعبا بوعيده ، وغضبه ، ولعنته ، وعذابه ؛ فقد أشرك به شيطانه الذى استحتمه على قتل نفس بريئة بغير نفس « ومن قتلها فكأنما قتل الناس جميعا » .

جمع الفرائد ونبر

انجز لنا بالذكر والحق

## سَبَبُ جَمْعِ الْقُرْآنِ

لما اسْتَعَرَّتْ نار الحرب بين سيف الله خالد بن الوليد ، ومسيمة الكذاب في واقعة اليمامة ؛ مات من المؤمنين خلق كثير ، منهم سبعائة من القراء . فلما رأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما وقع بأكثر القراء ، خشى على من بقى منهم . فجاء إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال له : إن القتل قد اسْتَحْرَجَ<sup>(١)</sup> في قراء القرآن يوم اليمامة ، وإنى أخشى أن يَسْتَحْرَجَ القتل بالقراء في المواطن كلها ؛ فيذهب قرآن كثير ، وإنى أرى أن تجمع القرآن .

التفكير في جمع القرآن

قتل أكثر القراء في واقعة اليمامة

فقال أبو بكر : كيف نصنع شيئاً لم يأمرنا فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأمر ، ولم يعهد إلينا فيه عهداً ؟

معارضة أبى بكر في جمع القرآن

فقال عمر : افعل فهو والله خير . ولم يزل عمر بأبى بكر حتى أرى الله أبا بكر مثل رأى عمر .

وهناك سبب آخر حدا بعمر رضى الله تعالى عنه للتمسك بضرورة جمع القرآن ، وهو أنه سأل عن آية من كتاب الله تعالى ، فقيل : كانت مع فلان وقد قتل يوم اليمامة . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وأشار بجمعه ، واستمسك بما أشار به .

(١) استحرج : اشتد .

معارضة  
زيد بن ثابت

قال زيد بن ثابت : فدعاني أبو بكر ، فقال : إنك رجل شاب عاقل لا تهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاجمع القرآن واكتبه .

قلت : كيف تصنعون شيئا لم يأمركم فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأمر ، ولم يعهد إليكم فيه عهدا ؟

قال : فلم يزل أبو بكر حتى أراني الله تعالى الذي رأى أبو بكر وعمر .  
ووالله لو كلفوني نقل جبل لكان أيسر من الذي كلفوني .

جمع القرآن  
في زمان أبي بكر

قال زيد : فجعلت أتتبع القرآن أجمعه من صدور الرجال ، ومن الرقاع ،  
ومن الأضلاع ، ومن العصب ، والخفاف .

ولقد فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ،  
لم أجدها عند أحد ، فوجدتها عند رجل من الأنصار .

وهي : ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) . فألحقها في سورتها .

(١) من صدور الرجال : أى من الرجال الذين يحفظونه في صدورهم .

(٢) الرقاع : جمع رقعة ، وهي القطعة من الجلد .

(٣) العصب : جمع عصب ، وهو جريد النخل . وقد كانوا يكشطون عنه الخوص ، ويكتبون عليه .

(٤) الخفاف : حجارة بيض رفاق ، وقد كانوا يكتبون على هذه الأشياء لانعدام الورق ، وعدم وجود ما يكتب عليه في ذلك الحين .

(٥) النحب : المدة . وقضى فلان نحبه : أى قضى مدته فات .

(٦) سورة الأحزاب . آية ٢٣

وقد كان زيد رضى الله تعالى عنه - مع مزيد حفظه للقرآن -  
يأتيه الرجل بالآية، فيطلب منه شاهدين عليها .

الطريقة التي جمع  
بها القرآن

وكان ذلك لشدة مبالغته في الاحتياط، وإدراكه للهمة العظمى الملقاة  
على عاتقه .

وجاء عمر رضى الله تعالى عنه بآية الرجم . فلم يكتبها زيد لعدم وجود  
شاهدين عليها .

وهي : ( الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَأَرْجُوهُمَا أَلْبَسَةَ نَكَالًا مِنْ اللَّهِ  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) .

عدم إثبات  
آية الرجم

وقد قيل : إن هذه الآية منسوخة التلاوة ، باقية الحكم .<sup>(٢)</sup>

وكان الشاهدان يشهدان بأن المكتوب من القرآن ، قد كتب بين يدي  
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى مسمع منه .

وبعد تمام جمع القرآن في الصحف ، حفظت عند أبي بكر رضى الله تعالى  
عنه حتى مات ، ثم كانت عند عمر رضى الله تعالى عنه حتى مات ، ثم كانت  
عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها .

ولم يجمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان  
يترقبه من نزول ناسخ لبعضه .

سبب عدم جمع  
القرآن في عهد  
الرسول

(١) المراد بالشيخ والشيخة : المترجم والمترجمة « المحصنين » مهما صغر سنهما .

(٢) أنظر ما كتبناه في هذا الكتاب بخصوص هذه الآية عند « الناسخ والمنسوخ » .



فلما انقضى ذلك السبب برفعه عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ،  
ألهم الله تعالى الخلفاء الراشدين بذلك ، وفاء بوعد الصادق بضمان حفظه ،  
بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ <sup>(١)</sup> ﴾ .

وقد كان الجمع من غير ترتيب للسور . وإنما كان ذلك الترتيب في عهد  
عثمان رضي الله تعالى عنه .

وأغلب الظن أنه كان على ترتيب النزول . وعلى ذلك بعض مصاحف  
السلف كما سنين .

---

(١) سورة الحجر . آية ٩

## كتاب المصحف

لما كانت خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ، اختلف الناس في قراءة القرآن . فقديم حذيفة بن اليمان على عثمان وقال له : يا أمير المؤمنين إن الناس قد اختلفوا في القرآن ، وإن اختلفا فهم ليوشك أن يكون كاختلاف اليهود والنصارى ، حتى أن الرجل يقوم فيقول : هذه قراءة فلان . ويقوم الآخر فيقول : هذه قراءة فلان .

اختلاف الناس  
في القراءات

وقد أخذ أهل البصرة القرآن عن أبي موسى الأشعري ، وأهل الكوفة عن عبد الله بن مسعود ، وأهل دمشق عن أبي بن كعب ، وأهل حمص عن المقداد بن الأسود .

القراء من  
الصحابة

وقد كان كل قطر من هذه الأقطار يدعى أنه أهدى سبيلا ، وأقوم طريقا . فخشى عثمان رضي الله تعالى عنه هذا الاختلاف وجمع الناس ، وكانوا يومئذ زهاء اثني عشر ألفا . فقال عثمان : ما تقولون ؟ لقد بلغني أن بعضهم يقول : قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفرا .

نهى عثمان  
عن القراءات

(١) وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب . فاليهود لديهم نسخة من التوراة ، والسامرة يخالفونهم في ألفاظ ومعان كثيرة . وليس في توراة السامرة حرف الهمزة ، ولا حرف الهاء ، ولا اليا . والنصارى بأيديهم توراة يسمونها العتيقة (لعلها كتاب العهد القديم) وهي مخالفة لنسخة اليهود والسامرة .

وأما النصارى فبأيديهم أناجيل كثيرة لا حصر لها . أشهرها : إنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل متى ، وإنجيل يوحنا ، وإنجيل برنابا (وبعضهم ينكر إنجيل برنابا لموافقته لبعض ما جاء في القرآن الكريم) .

قالوا : فما ترى ؟ قال : أن يجمع الناس على مصحف واحد ، فلا يكون فرقة<sup>١</sup> ولا اختلاف . قالوا : نعم ما رأيت .

فأرسل عثمان رضي الله تعالى عنه إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالمصحف فننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك .

فأرسلت إليه حفصة بالمصحف ، فأرسل إلى زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الحارث بن هشام ، وأبي بن كعب . فقال لهم : انسخوا هذه المصحف في مصحف واحد<sup>(١)</sup> .

وقال للنفر القرشيين : إن اختلفتم أتم وزيد بن ثابت ، فاكتبوه على لسان قريش ، فإنما نزل بلسانها .

ففعلوا ما أمرهم به عثمان رضي الله تعالى عنه ، حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف - وقد كانت أربعا - بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف .

فوجه إلى الكوفة إحداها ، وإلى البصرة أخرى ، وإلى الشام الثالثة ، وأمسك عنده المصحف الرابع .

(١) نسخوا المصحف من الصحف التي كتبت بأمر عمر في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها . وقد أعاد عثمان رضي الله تعالى عنه آيته لتوحيد قراءته ، ومنع ما عدا قراءة قريش . وهذا ما يقتضيه تسلسل الحوادث كما هو مبين .

ثم أمر بما سوى ذلك أن يحرق ، بعد أن استأذن حفصة في حرقها<sup>(١)</sup> .  
حرق سائر  
المصاحف عدا  
مصحف عثمان

قال ابن حجر : وقد كان ذلك في سنة خمس وعشرين .

وقيل : إن عدد المصاحف التي كتبت خمسا — لا أربعا — وقيل :  
سبعا : أرسل منها إلى مكة ، وإلى الشام ، وإلى اليمن ، وإلى البحرين ،  
وإلى البصرة ، وإلى الكوفة ، وأبقى بالمدينة واحدا .

وقد كان عثمان رضى الله تعالى عنه يراجع ما يكتبونه كلمة فكلمة ، وحرفا  
مراجعة عثمان  
لمصحفه  
فحرفا ، ويصلح ما فاتهم سهوا .

فقد ورد أنه عرض عليه قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّ ﴾ . فأثبت بعدها  
الهاء : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّه ﴾<sup>(٢)</sup> . وأيضا قوله جل شأنه : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ .  
فحذف اللام وجعلها : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> . وعرض عليه أيضا قوله  
عز وجل : ﴿ فَأَمَّهَلِ الْكَافِرِينَ ﴾ . فجعلها : ﴿ فَمَّهَلِ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

- (١) إن أمر عثمان بحرق المصاحف التي تخالف مصحفه في القراءة ، دليل قاطع على وجوب  
القراءة الواحدة بقراءة قریش وترك ما عداها ، وهذا ما نقول به .  
(٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ ، انظر ما كتبناه في « ما غيره الحجاج في المصحف » .  
(٣) سورة الروم . آية ٣٠ .  
(٤) سورة الطارق . آية ١٧ ، وهي قراءة سائر القراء المشهورين ، ولم يقرأ أحد من القراء .  
« فأمهل الكافرين » .

## لحن الكتاب في لمصحف

رأى عائشة  
في عمل الكتاب

وقد سئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن اللحن الوارد في قوله تعالى :  
( **إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ** )<sup>(١)</sup> . وقوله عز من قائل : ( **وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ** )<sup>(٢)</sup> . وقوله جل وعز : ( **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ** )<sup>(٣)</sup> .  
فقلت : هذا من عمل الكتاب ، أخطأوا في الكتاب .

وقد ورد هذا الحديث بمعناه بإسناد صحيح على شرط الشيخين .

وأخرج الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه في مسنده ، عن أبى خلف  
مولى بنى جمح ، أنه دخل على عائشة رضوان الله تعالى عنها فقال : جئت  
أسألك عن آية في كتاب الله تعالى ، كيف كان يقرأها رسول الله صلى الله  
تعالى عليه وسلم ؟ قالت : آية آية؟ قال : ( **الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا** )

(١) سورة طه . آية ٦٣ القاعدة العربية « إن هذين لساحران » وذهب قوم إلى جواز  
« إن هذان لساحران » على لغة من يجرى المنى بالألف في أحواله الثلاث . وذهب آخرون  
إلى أن إبدال حرف في الكتابة مكان حرف آخر جائز . مثل : « الصلوة ، والزكوة ، والحيوة »  
بالواو مكان الألف ، وفي الجميع نظر . وهو تحمل ظاهر ، وتكلف لا داعي له .

(٢) سورة النساء . آية ١٦٢ القاعدة العربية « والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة » بالرفع  
في الحالتين . وقرأ بها سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه . وكان يقول : هو من لحن الكتاب .

(٣) سورة المسائدة . آية ٦٩ القاعدة العربية « والصابغين » .

أَوْ (الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا<sup>(١)</sup>) ؟ قالت : أيتهما أحب إليك ؟ قال : والذي نفسى بيده لإحدهما أحب إلى من الدنيا جميعا . قالت : أيتهما ؟ قال : (الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا) . فقالت : أشهد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذاك كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حرف .

رأى سعيد بن جبير : وعن سعيد بن جبير ، قال : في القرآن أربعة أحرف لحن :

(وَالصَّالِحِينَ<sup>(٢)</sup>) . (وَالْمُقْسِمِينَ<sup>(٣)</sup>) . (فَأَصْدَقَ وَأَكْنُ مِنْ الصَّالِحِينَ<sup>(٤)</sup>)

و (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ<sup>(٥)</sup>) .

في خطب الكتاب

(١) سورة المؤمنون . آية ٦٠ . وتماها «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون» وهي القراءة المشهورة على غير رأى عائشة رضي الله تعالى عنها . ومعنى هذه القراءة : يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات ، وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم صدقاتهم لتقصيرهم في أدائها . ومعنى القراءة التي أقرتها عائشة وجمهور الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «الذين يأتون ما آتوا» من الذنوب والآثام «وقلوبهم وجة» خائفة مشفقة لـ «أنهم إلى ربهم راجعون» فيعاقبهم على ما قدموا وفرطوا . ولم يورد هذه القراءة أحد من القراء ، مع وثوق روايتها عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، وهي من هي من قربها ممن نزل عليه القرآن صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٢) سورة المائدة . آية ٦٩ . وأؤها : «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى» يريد بذلك أنه يجب لفة أن تكون «الصابئين» بالنصب . وتعليقهم في الرفع أن «الذين آمنوا» قبل دخول «إن» عليها : مبتدأ مرفوع . «الصابئون» معطوف على محل اسم «إن» وهو تعلق عقيم . والأعجب من هذا أن هذه الآية بنصها قد وردت في سورة الحج . آية ١٧ بالنصب ، فالذي أدى إلى نصها في الحج ورفعها في المائدة ؟ وقد جاءت في سورة البقرة . آية ٦٢ بالنصب أيضا .

(٣) سورة النساء . آية ١٦٢ ، وأؤها : «لكن الراشخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيميين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر» يريد بذلك أنه يجب لفة أن تكون «والمقيمون» بالرفع . وتعليقهم في النصب أنه على الاختصاص . أي وأمدح المقيميين . وهو تعلق سقيم .

(٤) سورة المنافقون . آية ١٠ ، وأؤها : «وأفقوا عما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أنترتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين» يريد بذلك أنه يجب لفة أن تكون «فأصدق وأكن من الصالحين» . وقرأ بها أبو عمرو .

(٥) سورة طه . آية ٦٣ ، يريد بذلك أنه يجب لفة أن تقرأ «إن هذين لساحران» . وقرأ بها أبو عمرو ويعقوب .

وقد سئل أبان بن عثمان : كيف صارت ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾<sup>(١)</sup> ما بين يديها وما خلفها رفع ، وهي نصب ؟

قال : من قِبَلِ الكاتب ، كتب ما قبلها ، ثم سأل المملى : ما أكتب ؟

قال : اكتب المقيمين الصلاة . فكتب ما قبل له ، لا ما يجب عربية ، ويتعين قراءة .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾<sup>(٢)</sup> و﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلَمُوا ﴾<sup>(٣)</sup> . قال : إنما هى خطأ من الكاتب : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلَمُوا ﴾ .

وقرأ أيضا : ﴿ أَفَلَمْ يَتَّبِعِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾<sup>(٤)</sup> . فقيل له : إنها فى المصحف : ﴿ أَفَلَمْ يَبْأَسْ ﴾ . فقال : أظن أن الكاتب قد كتبها وهو ناعس .

وقرأ أيضا : ﴿ وَوَصَّى رَبُّكَ بِالْإِسْلَامِ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾<sup>(٥)</sup> . وكان يقول : إن الواو قد ألترقت بالصاد<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة النساء . آية ١٦٢ يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون « والمقيمون » بالرفع . وتعليقهم فى النصب أنه على الاختصاص ، أى وأمدح المقيمين ، وهو تعليل سقيم كما قد منا .

(٢) يعنى قوله تعالى : « والمقيمين » .

(٣) سورة النور . آية ٢٧ ، والقراءة المشهورة « حتى تستأذنوا » على خلاف رأى ابن عباس . ولم يقرأ فارى إطلاقا : « حتى تستأذنوا » .

(٤) سورة الرعد . آية ٣١ ، والقراءة المشهورة « أفلم يباأس الذين آمنوا » على خلاف ابن عباس ، ولم يقرأ أحد من القراء : « أفلم يتبين » .

(٥) سورة الإسراء . آية ٢٣ ، والقراءة المشهورة : « وقضى » .

(٦) وذلك أنهم كانوا لا يقطعون الأحرف ، فلم يظهر الفرق بين الواو وقد التصقت بالصاد « ووصى » وبين القاف المتصقة بالصاد « وقضى » .

رأى الضحاك  
في خطب الكتاب

وعن الضحاك إنما هي : (( وَوَصَّى رَبُّكَ )) . وكذلك كانت تقرأ وتكتب .  
فاستمد كاتبكم ، فاحتمل القلم مدادا كثيرا ، فالترقت الواو بالصاد . ثم قرأ :  
(( وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ )) ،  
(( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ )) . وقال : لو كانت (( قَضَى )) من الرب ، لم يستطع  
أحد رد قضاء الرب تعالى . ولكنها وصية أوصى بها عباده .<sup>(٣)</sup>

وقرأ ابن عباس أيضا : (( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً )) .  
ويقول : خذوا الواو من هنا ، واجعلوها ههنا . عند قوله تعالى : (( الَّذِينَ قَالَ  
لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا  
اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ )) . يريد بذلك أن تقرأ : (( وَالَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ))<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة النساء . آية ١٣١ (٢) سورة العنكبوت . آية ٨

(٣) يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس ، وأيده فيه الضحاك ، قوله تعالى عن لوط عليه السلام :  
« وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ » وقد تم ما قضاه الله . وقوله تعالى  
عن سليمان عليه السلام : « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ » وقد مات فعلا . وقوله تعالى : « وَقَضَيْنَا  
إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ » وقد حصل الفساد مرتين .  
وخلاصة ما يؤيد هذا المذهب قوله تعالى : « إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »  
بمعنى أنه تعالى إذا قضى ألا يعبد الناس إلا إياه ، وأن يحسنوا إلى والديهم ، كان ذلك حتما  
مقضيا بالنسبة لسائر المخاطبين .

ويؤيد القراءة المشهورة « قضى » قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى  
الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » فيكون القضاء بمعنى الحث والاختيار والترغيب .  
ويصح أن يؤخذ من هذا أيضا دليل عكسي ، لأن هذه الآية نزلت في زواج زينب بنت جحش  
بزيد بن حارثة ، وقد تم ما قضاه الله تعالى ، وترتجت به رغم معارضتها لهذا الزواج وإيائها .  
(٤) سورة الأنبياء . آية ٤٨ ، وتمامها « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً وَذَكَرَا  
لِلتَّقِينَ » . والقراءة المشهورة « وضياء » بإثبات الواو حيث لا موجب لوجودها .

(٥) سورة آل عمران . آية ١٧٣ والقراءة المشهورة « الذين » بدون واو . مع أن ما قبله  
غير متعلق به .



وقرأ أيضا : ( **مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ كَمِشْكَاةٍ** <sup>(١)</sup> ) . وكان يقول : هي خطأ من الكاتب . هو تعالى أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة .

قراءة القرآن  
على صحته لغة  
لا على رسمه

وذكر ابن أشته في كتاب المصاحف بأن جميع ما كتب خطأ ، يجب أن يقرأ على صحته لغة ، لا على رسمه . وذلك كما في : ( **لَا أَوْضَعُوا ، لَا أَذْبَحْنَهُ** )  
بزيادة ألف في وسط الكلمة . فلو قرئ ذلك بظاهر الخط ؛ لكان لحنًا شنيعًا ، يقرب معنى الكلام ، ويخل بنظامه .

حفظ القرآن  
من التبديل

يقول الله تعالى : ( **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ) <sup>(٢)</sup> . ومعنى حفظ القرآن : إبقاء شريعته وأحكامه إلى يوم القيامة ، وإعجازه أبد الدهر ، بحيث يظل المثل الأعلى للبلاغة ، والرصانة ، والعدوبة ، سهل النطق على اللسان ، جميل الوقع في الأذان ، يملك قلب القارئ ، ولب السامع .  
وليس ما قدمناه من لحن الكُتَّاب في المصحف بضائره ، أو بمشكك في حفظ الله تعالى له . بل إن ما قاله ابن عباس وعائشة وغيرهما من فضلاء الصحابة وأجلاء التابعين ، أدعى لحفظه وعدم تغييره وتبديله .

جواز الخطأ على  
كتاب المصحف

ومما لا شك فيه أن كُتَّابَ المصاحف من البشر ، يجوز عليهم ما يجوز على سائرهم من السهو والغفلة والنسيان ، والعصمة لله وحده .

عصمة الأنبياء

وقد اختلفوا في عصمة الأنبياء . والقول الراجح : أنهم معصومون فيما يتعلق برسالاتهم فقط ، أما ما عداها فشأنهم كشأن بقية البشر .

(١) سورة النور . آية ٣٥ ، والقراءة المشهورة : « الله نور السموات والأرض مثل نوره  
مشكاة فيها مصباح » . ولم يقرأ أحد من القراء : « مثل نور المؤمن » . كقراءة ابن عباس .  
(٢) سورة الحجر . آية ٩

ومثَّلَ لِحْنِ الكُتَّابِ كلحن المطابع ، فلو أن إحدى المطابع طبعت مصحفًا به بعض الخطأ — وكثيرًا ما يقع هذا — وسايرها على ذلك بعض قراء هذا المصحف ؛ لم يكن ذلك متعارضًا مع حفظ الله تعالى له ، وإعلانه لشأنه .

تسمية المصحف ولما كتب المصحف ، قال عثمان رضي الله تعالى عنه : التمسوا له اسما . فقال قوم : « الكتاب » . وقال آخرون : « السفر » . وقال قوم : « المصحف » . وهو اسم أعجمي ، ومعناه : جامع الصحف ، فسماه به .

سبب كتابة عثمان للمصحف ويعلم مما تقدّم أن أساس كتابة عثمان رضي الله تعالى عنه للمصحف ، هو اختلافهم في أوجه القراءات ، وخشية أن يمتد ذلك الاختلاف إلى الألفاظ والمعاني ؛ فرأى — جمعا للكلمة ، وتوحيدًا للرأى ، وخشية الخروج عما أراد الله تعالى بكتابه ، ولتحقيق ما وعد الله تعالى به من حفظه وصيانته — أن يكتب المصحف على حرف واحد ، ويجمع الأمة على رأى واحد ، وقراءة واحدة . وذلك بعد أن أخذ رأى أئمة المسلمين وكبرائهم ، ممن عاصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وصحبه واهتدى بهديه .

ترتيب السور وقد اختلف في ترتيب السور ، هل هو توقيفى ؟ أم هو من فعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؟

والقول الراجح : أن ترتيب السور وتسميتها ؛ هو من فعل الصحابة .

ترتيب الآيات أما جمع الآيات وترتيبها في السورة الواحدة فهو توقيفي<sup>(١)</sup>، تولاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، كما بينه له وأرشده اليه جبريل عليه السلام بأمر ربه تعالى .

ومما يدل على أن ترتيب السور من فعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وأنه ليس بتوقيفي ؛ اختلاف مصاحفهم في الترتيب .

اختلاف  
مصاحف السلف  
في الترتيب

فمنهم من رتبته على ترتيب نزوله ، كعلي رضي الله تعالى عنه . فقد كان أول مصحفه : سورة اقرأ ، ثم المدثر ، ثم نون ، ثم المزمل ، ثم تبت ، ثم التكوير . وهكذا الى آخر المكي ، فالمدني .

ومنهم من رتبته حسب السياق ، كابن مسعود رضي الله تعالى عنه . فقد كان أول مصحفه : البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، مع اختلاف كثير . وقيل : إن ترتيب المصحف قد كان بإلهام من الله تعالى لعباده ، فكاتب كما هو ثابت باللوح المحفوظ . والله تعالى أعلم .

لم يمض على ذلك زمن كبير ، حتى عاد الناس الى ما كانوا عليه من اختلاف في القراءة ؛ فاتبع كل قطر قارئاً من القراء ، واستقر أمرهم على سبع قراءات معينة تواتر نقلها .

وأصحاب هذه القراءات هم : عبد الله بن كثير في مكة ، ونافع<sup>(٢)</sup> القراء السبع

(١) وذلك لأن بعض الآيات قد يرد في آخر سورة . مع تقدم هذه الآيات في النزول على ما سبقها من الآيات والسور . وهذا لا يكون إلا بإرشاد قائله ومنزله تعالى .

(٢) عبد الله بن كثير ، ويكنى بأبي معبد : كان إمام الناس في القراءة بمكة ، وكان فصيحاً مفوهاً ، لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير ، وأبا أيوب الأنصاري ، وأنس بن مالك .

ابن أبي رويم<sup>(١)</sup> في المدينة، وأبو عمرو بن العلاء<sup>(٢)</sup> في البصرة، وعاصم بن  
أبي النجود<sup>(٣)</sup>، وحزمة بن حبيب الزيات<sup>(٤)</sup>، وعلى الكسائي<sup>(٥)</sup> في الكوفة،  
وعبد الله بن عامر<sup>(٦)</sup> في الشام.

(١) نافع بن أبي رويم، وهو من أصحابه. وكان أسود اللون حالكا، وكان إمام الناس  
في القراءة بالمدينة، وكان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، ولما سئل عن ذلك قال:  
رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن في قبة.

(٢) أبو عمرو بن العلاء، وهو زيان بن العلاء المازني البصري: كان أعلم الناس بالقرآن  
والعربية مع الصدق والأمانة والدين.

روى عن سفیان بن عيينة، قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام،  
فقلت: يا رسول الله! قد اختلفت على القراءات، فبقراءة من تأمرني أن أقرأ؟ قال: اقرأ  
بقراءة أبي عمرو بن العلاء.

(٣) عاصم بن أبي النجود: كان هو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، وقد  
جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن.

سئل الإمام أحمد بن حنبل عنه فقال: رجل صالح ثقة، خير.

قال ابن عياش: دخلت على عاصم وقد احتضر، فجعل يردد هذه الآية، يحققها حتى كأنه  
في الصلاة: «ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق».

وقد أخذ عنه إمام القراء حفص بن سليمان الكوفي، الذي كتبت على قراءته المصاحف  
المصرية وغيرها، وهو غير حفص الدوري الراوي عن أبي عمرو والكسائي.

(٤) حزمة بن حبيب الزيات: كان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش،  
وكان ثقة حجة، مجتودا للقرآن، عارفا بالفرائض والعربية، عابدا خاشعا، ناسكا فائتا لله.

(٥) علي بن حزمة الكسائي: كان إمام الناس في القراءة في زمانه، وأعلمهم بالنحو والغريب،  
وكان أصدق الناس لهجة.

وما روى عن ورعه وعدم تكسبه بالقرآن: أن كان لأحد تلامذته سبيل لسقيا الناس، فز  
الكسائي وأراد أن يشرب، فلما علم أن هذا السبيل لواحد ممن يقرأون عليه؛ عدل عن الشرب منه.

(٦) عبد الله بن عامر: كان إماما كبيرا، وتابعا جليلا، وعالما شهيرا، أم المسلمین  
في الجوامع الأموى سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز، وقبله وبعده؛ فكان يأتيه به وهو أمير  
المؤمنين، وكبير الزاهدين، وناهيك بذلك منقبة، وجمع له بين الإمامة والقضاء.

زيادة القراءات  
إلى عشر

على أن هذه القراءات قد زيدت بعد ذلك إلى عشر، وهم : أبو جعفر  
يزيد بن القعقاع<sup>(١)</sup> في المدينة ، ويعقوب الحضرمي<sup>(٢)</sup> في البصرة ، وخلف  
البزاري<sup>٣</sup> في الكوفة .

القراءات الشاذة

هذا غير قراءات أخرى لاعداد لها ، سميت «شاذة» لشذوذها عن اللغة ،  
وعما أجمع عليه المسلمون ، ولتغيرها للألفاظ والمعاني في كثير من المواضع .

اختلاف  
الروايات

وقد بلغ من هذه القراءات والاختلافات ، أن الآية الواحدة — التي  
لا يختلف في النطق بها ولا في معناها اثنان — قد يبلغ الاختلاف في روايتها  
إلى عشرين أو ثلاثين ، أو أكثر من ذلك .

وقد بلغت طرق هذه القراءات تسعمائة وثمانين طريقا للقراءات  
العشر فقط .

نقط المصحف  
وشككه

قيل : إن أول من أمر بنقطه وشككه ، هو عبد الملك بن مروان .  
فتصدى لذلك عامله الحجاج بن يوسف الثقفي . فأمر الحسن البصري ،  
ويحيى بن يعمر ، ففعلوا ذلك .

وقيل : إن أول من نقطه أبو الأسود الدؤلي . وقيل : نصر بن عاصم  
الليثي . وقيل غير ذلك ، والقول الأول هو الأرجح .

(١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع : كان تابعيا كبيرا القدر ، انتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة .  
وكان ثقة ، ولم يكن بالمدينة في عهده أقرأ للسته منه . وقد رووا أنه بعد وفاته شجع من جسمه  
نور ساطع ، فاشك أحد من حضره أنه نور القرآن الكريم .

(٢) يعقوب بن إسحق الحضرمي : كان إماما كبيرا ثقة ، عالما صالحا ، انتهت إليه رئاسة  
القراء بعد أبي عمرو ، وكان إمام جامع البصرة . قال أبو حاتم السجستاني : هو أعلم من رأيت  
بالحروف ، والاختلاف في القراءات ، ومذاهب النحو .

(٣) خلف بن هشام البزاري : حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وابتدأ في طلب العلم  
وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان إماما كبيرا زاهدا عابدا .

## مَانِعِيْرُهُ اَلْحَجَّاجُ فِي الْمَصْحَفِ

- قد غير الحجاج بن يوسف الثقفي في المصحف ، اثنا عشر موضعا :  
كانت في سورة البقرة ( لَمْ يَتَسَنَّ )<sup>(٢)</sup> فغيرها ( لَمْ يَتَسَنَّه ) بالهاء .  
وكانت في سورة المائدة ( شَرِيْعَةً وَمِنْهَا جَا )<sup>(٣)</sup> فغيرها ( شَرِْعَةٌ وَمِنْهَا جَا ) .  
وكانت في سورة يونس ( هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ )<sup>(٤)</sup> فغيرها ( يُسِرُّكُمْ ) .  
وكانت في سورة يوسف ( اَنَا اَتِيكُمْ بِتَاوِيلِهِ )<sup>(٥)</sup> فغيرها ( اَنَا اُنْبِئُكُمْ بِتَاوِيلِهِ ) .  
وكانت في سورة المؤمنين ( سَيَقُولُوْنَ لِلّٰهِ )<sup>(٦)</sup> فغيرها ( سَيَقُولُوْنَ اَللّٰهَ ) .

(١) وهو المصحف الذي كتب في عهد عثمان رضي الله تعالى عنه . والحجاج أوّل من نقط المصحف وشكله ، بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان ، كما بينا في الفصل السابق .  
(٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ و « لَمْ يَتَسَنَّ » أي لم يتغير . وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف ، وصلا لا وقفا . و « يَتَسَنَّه » لفة فيها ، وهي القراءة المشهورة : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه » . أنظر ما كتبناه في « مراجعة عثمان لمصحفه » .  
(٣) سورة المائدة . آية ٤٨ و « شَرِيْعَةٌ » و « شَرِْعَةٌ » بمعنى واحد . وهو : الدين . ولم يقرأ أحد من القراء « شَرِيْعَةٌ » .

(٤) سورة يونس . آية ٢٢ و « يَنْشُرُكُمْ » يَحْيِيكُمْ . وبها قرأ ابن عامر ، ويزيد بن القعقاع .  
(٥) سورة يوسف . آية ٤٥ و « اَنَا اَتِيكُمْ بِتَاوِيلِهِ » أي آتيكم بمن يؤزله لكم . وهو يوسف عليه السلام . ولم يقرأ بها أحد من القراء .

(٦) سورة المؤمنون . آية ٨٧ القراءة المشهورة : « سَيَقُولُوْنَ لِلّٰهِ » ، وما قبل هذه الآية يؤيد ما ذهب إليه الحجاج . وهو قوله تعالى : « قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون الله » وقرأ بها أبو عمرو ، ويعقوب ، وأهل البصرة .

وفي نفس السورة أيضا : ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ )<sup>(١)</sup> . فغيرها ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) .

وكانت في سورة الشعراء - في قصة نوح عليه السلام - ( مِنْ الْمُخْرَجِينَ )<sup>(٢)</sup> وفي نفس السورة - في قصة لوط عليه السلام - ( مِنَ الْمَرْجُومِينَ )<sup>(٣)</sup> فغير التي في قصة نوح، وجعلها ( مِنَ الْمَرْجُومِينَ ) وجعل التي في قصة لوط ( مِنَ الْمُخْرَجِينَ ) .

وكانت في سورة الزخرف : ( نَحْنُ قَسَمْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ )<sup>(٤)</sup> . فغيرها ( مَعِيشتهم )<sup>(٥)</sup> .

وكانت في سورة الذين كفروا ( مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يُاسِينِ )<sup>(٦)</sup> فغيرها ( آسِين ) .  
وكانت في سورة الحديد ( فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَتَّقُوا )<sup>(٧)</sup> فغيرها ( وَأَتَّقُوا ) .

(١) سورة المؤمنون . آية ٨٩ والقراءة المشهورة « سيقولون لله » وعلى ذلك رسم المصحف المصرى . وقراءة حفص . وما قبل هذه الآية ، يؤيد ما ذهب إليه الججاج . وهو قوله تعالى : « قل من بيده ملكوت كل شئ . وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون الله » وقرأ بها أيضا أبو عمرو ، ويقوب ، وأهل البصرة .

(٢) سورة الشعراء . آية ١١٦ والقراءة المشهورة « قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين » كما غيرها الججاج .

(٣) سورة الشعراء . آية ١٦٧ والقراءة المشهورة « قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين » كما غيرها الججاج أيضا .

(٤) سورة الزخرف . آية ٣٢ والقراءة المشهورة « معيشتهم » كما غيرها الججاج . ولم يقرأ « معيشتهم » أحد من القراء .

(٥) سورة محمد . آية ١٥ والقراءة المشهورة « آسِين » كما غيرها الججاج . و ( آسن ) الماء : تغير فلم يشرب . وقرأ « يا سن » حمزة وفقا لا وصلا .

(٦) سورة الحديد . آية ٧ والقراءة المشهورة « وأتقوا » كما غيرها الججاج . وهو ما يقتضيه سياق الآية « آمنوا بالله ورسوله وأتقوا ما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأتقوا لهم أجر كبير » ولم يقرأ أحد من القراء « وأتقوا » .

وكانت في سورة التكوير ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾<sup>(١)</sup> فغيرها ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ .

ولم يصنع المجاج ما صنع ، إلا بعد اجتهاده وبجته مع القراء والفقهاء المعاصرين له . وبعد إجماعهم على أن جميع ذلك قد حدث من تحريف الكُتَّاب والناسخين ، الذين لم يريدوا تغييرا ولا تبديلا ، وإنما حدث بعض ما حدث ؛ لجهلهم بأصول الكتابة وقواعد الإملاء . والبعض الآخر ؛ لخطأ الكاتب في سماع ما يلى عليه ، والتباسه فيما يتلى عليه .

سبب ما فعله المجاج  
من التغيير

ولا يتنافى هذا مع قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> . لأن المراد بالحفظ ؛ مفهوم الألفاظ ، لا منطوقها . لأن الألفاظ ما صيغت إلا ليستدل بها على معان مخصوصة ، قصد بها أوامر ، ونواه ، وعبادات ، ومعاملات . وجميعها مصان محفوظ ، مهما تقادم الدهر ، وتناول العمر .

---

(١) سورة التكوير . آية ٢٤ والقراءة المشهورة « وما هو على الغيب بضنين » كما غيرها المجاج . و « ضنين » أى بخيل . والمعنى : وما محمد على الوحى بخيل . بل يلفه اليكم ، لا كما يفعل الكهان من كتم العلم ، رغبة فى أخذ الأجر .

وقرأ « بظنين » مكى ، وأبو عمرو ، وعلى ، ويعقوب . والمعنى : وما هو على الغيب بمتهم . فينقص شيئا ، أو يزيد فيه . وهى من الظلة ، أى التهمة .

(٢) سورة الحجر . آية ٩



هَجَاءُ الْفَارِسِيِّ

وَلَقَدْ نَسْنَا الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَّلْنَا فِيهَا مِنْ مَكِّنٍ

## أَمِّةُ الرَّسُولِ ﷺ

لقد كانت سنة الله تعالى في إرسال الرسل عليهم السلام : أن يحملهم  
أروع ما وصلت إليه أقوامهم من علوم وفنون .

معجزات عيسى  
فبعث عيسى عليه السلام الى قوم قد بلغوا غاية الرقي في الطب والحكمة ،  
فأبرأ الأكمه والأبرص .

ولم يقف عند هذا الحد في الإعجاز . بل أراد أن يبهتهم بما أوتي ،  
وليعلمهم أن ما جاء به ليس من نوع طبهم الذي تعلموه ، ولا علمهم الذي  
اكتسبوه بالتلقي والدراسة ؛ فأحيا الموتى<sup>(١)</sup> بإذن الله .

معجزات موسى

وبعث موسى عليه السلام الى قوم قد تخصصوا في السحر . فجعل  
معجزاته مشابهة في المظهر لما يأتونه بسحرمهم ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ  
مُرْسِيَةٌ ۖ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وأراد أن يعلمهم أن هذا ليس من نوع سحرمهم ، ولا من جنس  
باطلهم ؛ فلفقت تلك العصا ما صنعوه بسحرمهم - من حبال وعصى

(١) ذهب بعض من أضله الله تعالى : الى أن إحياء الموتى على يد عيسى لم يكن إحياء  
حقيقيا للأجسام بعد فناءها . بل كان إحياء للقلوب - التي أماتها الكفر - بالنصح  
والتعليم والإرشاد .

وهذا خطأ فاحش مكفر . لأنه لو صح ؛ لاستوى سائر العلماء بعيسى عليه السلام في هذه المعجزة .  
لأن كلهم ناصح ، وكلهم مرشد ، وكلهم معلم .

(٢) سورة الأعراف . آية ١٠٧ و ١٠٨

خيّل الى موسى عليه السلام ، وإلى الناظرين أنها حيات تسمى -  
ولم تدع له أثرا .

في حين أن فعل موسى لو كان من نوع السحر؛ لظلت حبالهم وعصيمهم  
كما كانت أصلا .

فصاحة الأمة  
العربية

ولما كانت الأمة العربية في نهاية البلاغة ، وغاية الفصاحة ؛ كان  
أروع ما يلفت أنظارها ، ويستدعى انتباهها ، ويهز مشاعرها ؛ كتاب فصيح  
بليغ ، تغلب بلاغته الأبواب ، وتدهش فصاحته العقول . فأرسل الله تعالى  
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرآن الكريم .

ولما كان ذلك مظنة التكذيب والاختراع والإنشاء ؛ أرسله الله تعالى  
أميا لا يقرأ ولا يكتب ؛ ليكون أبعد عن الظنة والريب .

كأن الرسول بأمره

ولم تكن تلك الأمية نقصا في مداركه عليه الصلاة والسلام ؛ بل  
نقصه الله تعالى ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجب عنه القليل ليحلي له  
الكثير .

لقد نقصه الكتابة ، ومنحه مستلزماتها ومقتضياتها . وذلك لأن الكاتب  
يكتب ويقرأ ؛ ليستفيد علما وبلاغة وفهما . وقد وهب صلى الله تعالى  
عليه وسلم سائر العلم والبلاغة والفهم .

بلاغة الرسول  
وأدبه

لقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أديبا وخطيبا وبليغا . إذا احتاج  
في موقف الى الأدب ؛ كان أديب الأدباء . أو الى الخطابة ؛ كان أخطب  
الخطباء . أو الى البلاغة ؛ كان أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء .

كان إذا أطال الكلام ؛ قصر عنه كل مطيل . وإذا قصر القول ؛  
أتى على غاية كل خطيب .

وأين من يدعون الدعاوى العريضة ، ويخطبون الخطب الطوال ؛  
في محاربة الدكتاتورية والأرستقراطية ؟ أين كلامهم الطويل الممل ، من  
دعوته صلى الله عليه وسلم للديمقراطية بتلك الكلمة القصيرة الموجزة  
« لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى » .

دعوته إلى  
الديمقراطية

وقد وصف الجاحظ كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : هو الكلام  
الذي قَلَّ عددُ حروفه ، وكَثُرَ عددُ معانيه . وَجَلَّ عن الصَّنَعَةِ ، وَتَنَزَّهَ عن  
التكلف . وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد : ﴿ وَمَا أَنَا  
مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وصف الجاحظ  
لبلاغة الرسول

ومن عجب أن يبعثه الله تعالى أمياً فيأتي بالقرآن الذي حير البلغاء ،  
وأخرس الفصحاء . وينطق بجوامع الكلم ؛ فَيَسْبَحُ الكُتَّابُ والمتعلمون  
في بحر لُحَى من علمها ، وأدبها ، وبيانها ، وتشريعها ، وهداها !  
لقد كان ذلك النبي الأُمِّي يخطب الناس ؛ فيتدفق البيان من فيه ،  
وتخرج العبارات دقيقة متناسقة ، من غير حصر ولا عي .

أمي بهر الخطباء  
والأدباء والمتعلمين

حقاً إنها لأُمِّيَةٌ عجيبة ، بهرت المتعلمين والدارسين ، وأعجزت  
الأدباء والكاتبين !

ولم يكن ذلك إلا لأنها معجزة للرسول صلوات الله وسلامه عليه .

## أُمَّيَّةُ الْعَرَبِ

عجز كاتب المصحف  
الأول في الإملاء.

لما كان أهل العصر الأول قاصرين في فن الكتابة، عاجزين في الإملاء،  
لأُمَّيَّتِهِمْ وَبَدَاؤَتِهِمْ، وبعدهم عن العلوم والفنون؛ كانت كتابتهم للمصحف  
الشريف سقيمة الوضع، غير محكمة الصنع. بغضات الكتبة الأولى مزيجا  
من أخطاء فاحشة، ومناقضات متباينة في الهجاء والرسم كما سنبين فيما بعد.

وليس هذا غمطا لحقهم، ولا انتقاصا لفضلهم. فهم من نعرف من  
النبيل والفضل، والسبق في الخيرات والمكرمات. لكنهم كانوا أُمَّيِّينَ قبل  
كل شيء. بل والأُميَّة — التي تعتبر نقصا ومسبة للناس — هي  
إحدى مفاخرهم.

قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ».  
ويؤخذ من ذلك، ومن تاريخ الأمة العربية؛ أنها بلغت الغاية في الأُميَّة،  
أو أنها تغلب عليها.

وليس من المعقول أن أُمَّةً قد اتَّسَمَتْ بِالْأُمِّيَّةِ، وصارت الأُميَّة اسمًا  
لها، وعلمًا عليها؛ أن يبلغ بعض أفرادها — مهما أوتوا من علم — الدرجة  
المطلوبة، والغاية المرجوة في علم الهجاء وفن الكتابة.

(١) الغمط: الاحتقار والازدراء.

وإنما الذى يستسيغه العقل ، ويؤيده الدليل والبرهان ، أنه إذا تعلم فرد الكتابة فى أمة أمية ، فإن تعلمه لها يكون محدودا ، ويكون عرضة للخطأ فى وضع رسم الأحرف والكلمات .

ولا يصح — والحال كما قدمنا — أن يؤخذ رسمه هذا أنموذجا تسير عليه الأمم التى ابتعدت عن الأمية بمراحل ، وأن نوجب عليها أخذه على علّاته ، وفهمه على ما فيه من تناقض ظاهر ، وتساوٍ بين .

وذلك بدرجة أن العلماء الذين تخصصوا فى فن رسم المصحف ؛ لم يستطيعوا أن يعللوا هذا التباين ، إلا بالتجاهم الى تعليقات شاذة عقيمة .

التعليل السقيم  
للفظ الوارد  
فى إملاء المصحف

فمن قائل : إن هذه الكلمة قد رسمت بالتاء ، مع نطقها بالهاء ؛ لصحة الوقوف عليها بالتاء فى بعض القراءات . ومن قائل : إن هذه الكلمة قد رسمت بصيغة النفى ، مع نطقها بصيغة التوكيد ؛ للإشارة إلى أن التوكيد لم يحصل .<sup>(١)</sup>

وأمثال هذه الترهات كثير فى تعليقاتهم وتحملاتهم .

على أنهم رغم هذه التمثلات ؛ قد وقفوا أمام بعض المتناقضات حائرين مشدوهين . لم يستطيعوا أن ينتحلوا لها عذرا ، أو يحيروا عنها جوابا . كما سنبينه فى مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد كانت الكتابة فى العرب قليلة نادرة .

(١) انظر ما كتبناه عند فصل « التناقض الموجود فى رسم المصحف » .

(٢) شدة الرجل ، بضم الشين وكسر الدال : دهش . كالتالى : (١)

تعلم الكتابة  
في الأمة الإسلامية

ذكر هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره : أن بشر بن عبد الملك  
أخا أكيدر<sup>(١)</sup> دومة ، تعلم الكتابة من الأنبار ، ثم قدم مكة فترجح الصهباء  
بنت حرب بن أمية ، أخت أبي سفيان : صخر بن حرب بن أمية ؛ فتعلم  
حرب بن أمية وابنه سفيان الكتابة من بشر ، وتعلمها عمر بن الخطاب من  
حرب أيضا ، وتعلمها معاوية من عمه سفيان .  
وهكذا سرت الكتابة بين العرب على قلة وضعف .

أول من تعلم  
الكتابة من العرب

وقيل : ان أول من تعلم الكتابة من الأنبار : قوم من طيء ، ثم هذبوها  
ونشروها في جزيرة العرب ؛ فتعلمها الناس .

ولما كانت الكتابة بين العرب في أول عهدهم بالإسلام ، ولم يتموا  
إتقانها ، ومعرفة سائر فنونها : وقع في كتابة المصاحف اختلاف كبير  
في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة ورسمها ، لا من حيث معاني  
الكلمات ومدلولها .

اختلاف الهجاء  
لا يغير النطق

من الأمور المسلم بها : أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا يطلب  
منها ما يتثقل عليها . وقد نزل القرآن الكريم لهداية الناس كافة ، خصوصا  
عامتهم وجهالهم .

وقد كتب المصحف في العصر الأول بالهجاء الذي تعارفوه ، والرسم  
الذي ألفوه . وذلك غاية جهدهم ، ومبلغ علمهم .

(١) أكيدر : صاحب دومة الجندل . وهو حصن بين الشام والمدينة ، يفصل بين الشام  
والعراق .

(٢) الأنبار : بلدة قديمة بالعراق ، وقرية ببلخ ، وسكة بمرور . ولعل المقصود هنا : بلدة العراق .

ولم يكلفهم ربهم تعالى بأن يكتبوه بهيئة تشق عليهم ، وتصعب  
على مداركهم .

وإن الإملاء مهما تطوّر رسمه ، وتعددت مناحيه ، فإنه لا يغير نطقاً ،  
ولا يحزف معنى .

وإذا سلمنا بما يقوله بعضهم ، من أن الرسم القديم يتفق مع كثير  
من القراءات ؛ لوجب علينا أن نكتب المصحف المصرى بما يوافق اللهجة  
المصرية من القراءات .

وإلا فكيف نكلف العامة — بل الخاصة الذين لم يحفظوا القرآن —  
قراءة ما لم يحيطوا به علماً ، ولم يستطيعوا له فهماً .

قال أشهب رضى الله تعالى عنه : سئل مالك رحمه الله تعالى : أرايت  
من استكتب مصحفا اليوم ، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس  
من الهجاء ؟

رأى مالك في هجاء  
المصحف

فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتّبة الأولى .

فسأله السائل عن نَقَطِ القرآن . فقال : أما الإمام من المصاحف<sup>(١)</sup>  
فلا أرى أن ينقط ، ولا يزداد في المصاحف ما لم يكن فيها<sup>(٢)</sup> ، وأما المصاحف  
التي يتعلم فيها الصبيان ؛ فلا أرى بذلك بأساً .

(١) الإمام من المصاحف : هو المصحف الذي يعتبر أصلاً لها . ويعنى به المصحف الذي  
أمر بكتابه عثمان رضى الله تعالى عنه : وهو إمام المصاحف كلها .

(٢) وقد زيد في المصاحف : النقط ، والشكل ، وفواصل الآى ، وتقسيمه إلى أجزاء  
وأعشار ، وأرباع . ولم تقف الزيادة عند هذا الحد ؛ بل وضعت فيه علامات وإشارات ليست منه .  
كقلى ، وصلى . إشارة إلى أن الوقف أولى ، والوصل أولى ، وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر .



مخالطة علماء الرسم  
في رأى مالك

ومن العجيب أن علماء الرسم ، ومن لف لفهم ؛ يوردون من قول مالك رضى الله تعالى عنه ، ما يتفق ورأيهم ، فيذكرون منه إلى قوله : ولكن يكتب على الكتبة الأولى ، ويسكتون عن باقيه ، وهو جواز كتابة المصاحف بالرسم الحديث ؛ لمن يتعلمون القرآن .

وقد أصبح الناس جميعا في زماننا هذا — عالمهم وجاهلهم — في حكم الصبيان الذين يتعلمون القرآن . عدا بضع نفر ممن أكرمهم الله بفهمه .<sup>(١)</sup> ونهى مالك رضى الله تعالى عنه عن كتابته بخلاف الرسم الأول ؛ إنما هو نهى عن التلاعب بأصله ، المؤدى لضياعه وتحريفه .

ونحن إذا جارينا علماء الرسم ، واتبعنا مالكا فيما أمر به ونهى عنه ؛ لوجب علينا أن نتبعه أيضا في عدم النقط ، وعدم وضع علامات رءوس الآى ، وعلامات الأحزاب والأرباع ، وعدم وضع أية إشارة لم يضعها عثمان رضى الله تعالى عنه في مصحفه ، الذى أجمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

وإذا فعلنا ذلك ؛ فإن أى مسلم ، بالغ ما بلغ من التعلم والثقافة ؛ لا يستطيع قراءته ، ولا يقوى على تلاوته .

ولكن مالكا رضى الله تعالى عنه ؛ قد أباح كتابته على الهجاء الحديث ، وأجاز نقطه لمن يتعلمون القرآن ويتلقونوه ، مع بقاء المصحف الإمام ، والمحافظة على أصله كما هو ، بدون نقط ، ولا إحداث شئ فيه .

(١) وهذا مما يدعو إلى الأسف الشديد ؛ أن ينصرف المتعلمون والمتأدبون ، عن منبع العلم والأدب . ينصرفون عما ينفعهم في الدين والدنيا ، ويتهافون تهافت الدباب ، على قراءة الروايات البذيئة ، المحشوة بالأباطيل والأضاليل .

وهذا هو الرأى الذى نستصوبه ، وندعو إليه ، ونرغب فيه . وهو أن  
يُكْتَبَ المصحف الإمام ، كصحف عثمان رضى الله تعالى عنه تماما :  
لا ينقط ، ولا يشكل ، ولا يدخل فيه ما ليس منه ، ويبقى كأصلٍ يُحْفَظُ  
أثرا لبقاء الرسم الأول . وتكتب باقى المصاحف بالإملاء الحديث .

كرهه إحداث  
شئ في المصحف

وقد جاء عن ابن عمر ، وقتادة ، وإبراهيم ، وهشام ، وابن سيرين :  
كرهه نقط المصاحف ، وإحداث أى تحسين أو تميق بها . وقد أغلظوا  
فى ذلك ، وأعظموا فى إثمه .

وها نحن أولاء : قد نَقَطْنَا المصحف ، وَتَمَقَّنَاهُ ، ووضعنا به علامات ،  
وأدخلنا فيه إشارات وعبارات ، ليست منه وليس منها .

أليس كل ذلك لتسهيل قراءته ، وتبيين عبارته ، وتعريف وقفاته ،  
وتبين مواضع سكاته ، ومواطن سجدهاته ؟

فحيث أدخلنا عليه ما كرهه الأوائل ، ولم يرضوا عنه ، ولم يفتوا به .  
وذلك لمصلحة رأيناها ، وحكمة تبيناها . ولأجل أن يستطيع القارئ أن  
يقراه ، والمتفهم أن يفهمه ؛ فلا أقل من أن نكتبه بالهجاء الذى تداوله  
الناس ، واصطاحوا على علمه ومعرفته .

ولا بأس أن يحفظ أصل المصحف الإمام : مصحف عثمان رضى الله  
تعالى عنه . بغير نقط ، ولا تعشير ، ولا إحداث شئ فيه . كما أفتى بذلك  
علم المدينة ، وإمام الأئمة مالك رضى الله تعالى عنه .

قال الجعبرى فى سياق كلامه عن هجاء المصحف ، ما نصه :

وأعظم فوائده : أنه حجاب منع أهل الكتاب أن يقرأوه على وجهه .  
( انتهى كلامه ) .

قول بعض  
المدافعين عن  
الرسم القديم

يمثل هذا الهراء، ينطق أحد أئمة القراء ، ويمثل هذا الكلام يحتاج القائلون بوجوب الهجاء القديم . مع أن هذا القول واضح البطلان ، بادي الخسران ، مردود على قائله . لا يقبله من عنده أدنى تفهم وتعقل .

الرد على هذا القول

يا للعجب ! كأن الله تعالى لم يرد إيمان أهل الكتاب ، ولم يخاطبهم بالقرآن ، ولم يقل لهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا ﴾ . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا ﴾<sup>(٤)</sup> . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

الخلاف بين  
الرسم القديم  
والهجاء الحديث

ونحن إذا أردنا أن نحصر الألفاظ التي وردت في المصحف مختلفة عن رسم الهجاء الحديث ، لضاق بنا المقام .

ولكننا نكتفي بأن نورد طرفاً يسيراً منها ، ليتبين القارئ مقدار الخلاف ، ومدى تشويبه للنطق ، ومبلغ صعوبته لو كلفنا المسلم الذي لم يحفظ القرآن — مهما أوتى من علم ، وفهم ، وثقافة ، ورقى — أن يقرأ في المصحف على رسمه القديم .

وها هو جدول ببعض الكلمات كما وردت بالرسم القديم ، وما يقابلها من الهجاء الحديث :

- |                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة آل عمران . آية ٦٤ . | (٢) سورة النساء . آية ١٧١ . |
| (٣) سورة آل عمران . آية ٦٥ . | (٤) سورة المائدة . آية ٥٩ . |
| (٥) سورة المائدة . آية ١٩ .  |                             |

رسمها الاملائي	رسم الكلمة في المصنف	رسمها الاملائي	رسم الكلمة في المصنف
شَفَعَاءُ	شُفَعَلُوا	يَبْدَأُ	يَبْدُوا
يَعْفُو	يَعْفُوا	يَا صَالِحُ	يَصْلِحُ
وَمَلَئِهِمْ	وَمَلَأِيهِمْ	طَاعِينَ	طَعِينُ
المَشَارِقِ	المَشْرِيقِ	لَيْسُوهُ	لَيْسُوا
نَشَاءُ	نَشُوا	ضَلَالٍ	ضَلَلِ
يَيَاسِ	يَايَسِ	لِشَيْءٍ	لِشَأْيٍ
جِيءَ	جَاءَ	صَاقَاتٍ	صَقَّتِ
لَكِنَّ	لَكِنَّا	أَتَلُوا	أَتَلُوا
الْوَلَايَةِ	الْوَلِيَّةِ	الآنَ	الآنَ
يَا بِنَ أَمْرٍ	يَبْنُو مَرَّ	سَائِحَاتٍ	سَئِحَتِ
نُنَجِّي	نُجِّي	بِهَادِي	بِهَدٍ
الشَّهَادَةِ	الشَّهَدَةِ	وَأَوْلَاتٍ	وَأَوْلَتِ
سَأْرِيكُمْ	سَأُورِيكُمْ	إِيَّائِي	إِيَّايَ
أَتَانِي	ءَاتِنِي	خِلَالِهِ	خِلَالِهِ
لَأَذْبَحَنَّهُ	لَأَذْبَحَنَّهُ	عَضْبَانِ	عَضْبَانِ
أَفَانِ	أَفَانِ	جَلَّهَا	جَلَّهَا
وَجَزَاءُ	وَجَزَاؤُا	لَاغِيَةً	لَاغِيَةً
بِلَاةٍ	بَلَّغُوا	أَنْبَاءُ	أَنْبَأُوا
بِأَيْدِي	بِأَيْدِي	الْأَيْكَةِ	لِئَيْكَةٍ
اللاتِي	اللتِي	البَلَاغِ	البَلِّغِ
الْأَوْلِيَانِ	الْأَوْلِيَيْنِ	العُلَمَاءِ	العُلَمَاءُ

هذا مع ملاحظة أن القرآن قد كتب في المصحف الإمام ، بالرسم  
الأول بدون نقط ، ولا شكل .

وفي هذه الحال تزداد الكلمات عجمة على عجمة ، والتباسا على التباس<sup>(١)</sup> ،  
وتصير قراءة القرآن على صحته مستحيلة أو أشبه بالمستحيلات .

وذلك لأن القارئ فيه لا يستطيع أن يفرق بين لفظة « يَصَالِحُ » ، ولفظة  
« يَصُلِّحُ » . لأن رسمها مجردة من النقط والشكل هكذا : « يصلح » .  
ولا بين « لَيْسُوا » ، و « لَيْسُوا » . ولا بين « صَافَاتٍ » ، و « صَفَتْ » .  
ولا بين « الْآن » ، و « الْآن » . ولا بين « أَنْبَاء » ، و « أَنْبُوا » . ولا بين  
« الْبَلَاغُ » ، و « الْبَلِغُ » . ولا بين « حَيَّ » ، و « جَاءَ » .

وقد قال ببقائه على حاله هذه من ألزم باتباع الرسم القديم . فهل  
هذا في الإمكان ؟

أخطأ الرسم  
لا تحمد

وليس ما أوردناه بهذا الباب هو كل ما جاء برسم المصحف من  
متناقضات ومتباينات ، إذ هي أشياء تفوق الحصر ، وتخرج عن حد الوصف .  
وقد أوردنا ما أوردنا على سبيل المثال . وهو من الوضوح بالمكان الذي  
لا يقبل دفاعاً ولا جدلاً . بل كل ما قيل في الدفاع عن الرسم القديم ، والجدال  
حول صحته ؛ لا يخرج عن كونه لغواً وعبثاً يجب أن تصان أفعال العقلاء  
وأقوالهم عنه .

كتاب  
شيخ المقاري

وقد اطلعت على كتيب لشيخ المقارئ الحالى<sup>(٢)</sup> أسماه « سميع الطالبين » ،  
وقد نحا فيه إلى التزمّت ووجوب التمسك بالرسم القديم ، وأورد تعليقات

(١) وذلك للنظا الموجود في الرسم الإملائي ، ولانعدام النقط والشكل .  
(٢) وهو الشيخ علي محمد الضباع ، الذي كان مراجعا للصحف قبل توليته مشيخة المقارئ .

عقيمة لما في هذا الرسم من تناقض . وقد كان إيرادها بالغاً غاية العجب ،  
ونهاية الغرابة .

فقد اضطرت به بعض هذه التناقضات إلى التسليم والتسرب من رسم  
المصحف الذي أقزه سلفه شيخ المقارئ السابق ، وأجمعت عليه القراء —  
وشيوخ المقارئ الحالي واحد منهم — وقد وضع خاتمه بالاجازة على عشرات  
الألوف من نسخه ، ولا يزال يجيزه بسائر ما فيه حتى الآن .

تسربه من  
رسم المصحف

فقد جاء في كتابه هذا عند ذكر « حذف ألف جمع المذكر السالم » :  
حذفها من (( طَاغِينَ )) . في سورتي الصافات ون . و (( لِلطَّاغِينَ ))  
في سورتي ص والنبأ .

حذف ألف  
جمع المذكر  
السالم

وقد أحس بعد ذلك أن المصحف الأميري برسمه الحالي فصل في الرسم  
بين « طَاغِينَ » الصافات ون ، وبين « طَاغِينَ » ص والنبأ ، فحذف  
الألف من الأولى ، وأثبتها في الثانية . فعلق على ذلك بالهامش بأن الصحيح  
ما قاله هو ، لا ما ثبت بالمصحف .

مخالفة شيخ  
المقارئ لرسم  
المصحف

ومن المعلوم بالضرورة : أن الحق لا يتعدد ؛ فإما أن يكون ما قاله  
شيخ المقارئ الحالي في كتابه : خطأ ، أو أن يكون ما أجمع عليه القراء حتى  
اليوم — وهو أحدهم — مبنياً على الخطأ .

وعلم الله تعالى أن كلاهما منخطئ ، وكلاهما لغو وباطل ، لا يعبا به ولا  
يعول عليه . فليس هناك فرق بين سائر لفظة « طَاغِينَ » الواردة بالقرآن حتى  
يفترق بينها مثل هذا التفريق . وإنما هو خطأ الكاتب الأول كما قلنا آنفاً .

(١) هو المرسوم الشيخ محمد علي خلف الحسيني ، الذي أخرج المصحف بشكاه الحالي .

منع الناس عن  
قراءة القرآن

وذكر أيضا في كتابه عند « ما يجب على كاتب المصحف » : بأن كتابته على مقتضى الرسم القياسي مخالف للأحاديث وخرق لإجماع الصحابة وجميع الأمة ، وأن من لا يعرف هذا الرسم من الأمة يجب عليه ألا يقرأ في المصحف حتى يتعلمه ، وأن الطعن في كتابة المصحف كالطعن في تلاوته .

تكفير من ينقص  
أو يزيد  
في الرسم

ولم يكتف بهذه المغالاة فقط ؛ بل ذكر عن بعضهم أن من نقص حرفا أو زاد حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف كان كافرا !

وقد علم هو ومن نقل عنه أن نسبة الكفر إلى المسلم كفر ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « إِذَا قُلْتَ لِإِخِيكَ الْمُسْلِمِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُكُمَا » .

وهل إذا نقصت ألفا من قوله تعالى : ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ . وجعلتها كما يرضى العلم والعقل : ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ . أكون في عداد الكافرين ؟

وهل إذا زدت ألفا في قوله تعالى : ﴿ طَغِينَ ﴾ . وجعلتها كما ينطق بها اللسان ، وتسمعها الآذان : ﴿ طَاغِينَ ﴾ . أكون فيمن استوجب الخلود في النار ، ولم ينفعه دعاء الصالحين ، ولا شفاعة الشافعين !

من قال بعدم  
جواز الكتابة  
بالرسم الأول

ومن عجب أن يورد بعد ذلك رأى الإمام العزبن عبد السلام ، الذي قال بعدم جواز كتابة المصحف بالرسم الأول<sup>(١)</sup> لثلا يوقع في تغيير من الجهال . ويرد عليه بأن هذا العلم أحد أركان القرآن ، ولا يصح تركه مراعاة لجهل الجاهلين .

وقد فاته أن الجهل بالجهل علم ، وأن العلم بالجهل جهل . وأن ما قصده العزبن عبد السلام بالجهال : هم الذين لم يحفظوا القرآن ، فيلتبس عليهم

(١) وهو قول نيس ، يوافق العلم والعقل والدين :

ذلك الرسم المشوّش الذى ليس له ضابط ولا اصطلاح ولا نظام؛ ويقرأون  
الجمع مفردا، والمفرد جمعا، والنفى إثباتا، والإثبات نفيا. إلى ما لا نهاية له.  
وقد زعم أيضا أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذى أمر بكتابه على  
هئئته هذه بزيادة ما جاء فيه من زيادات، ونقصان ما جاء فيه من نقصان؛  
وذلك لأسرار لا تهتدى إليها العقول إلا بفتح ربانى، وهو سر من الأسرار  
خص الله تعالى به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية. فكما أن نظم  
القرآن معجز، فرسمه معجز أيضا<sup>(١)</sup>.

النبي لم يأمر  
بهذا الرسم  
لأنه أمى

وهو كلام لا يحتاج إلى رد إطلاقا. فالرسول عليه الصلاة والسلام كما  
يعلم المسلمون جميعا أمى لا يقرأ ولا يكتب، ولم يخط بيده حرفا واحدا.  
وقد وصفه الله تعالى بذلك فى القرآن: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾<sup>(٢)</sup>.  
ولم يقل بعدم أميته سوى الكافرين والمعاندين، الذين قالوا باختلافه  
لهذا القرآن.

وليس من الحكمة فى شيء، ولا من الدين فى شيء أن يجعل الله تعالى  
إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم: إرساله بالقرآن مع أميته؛ فنوافق  
الكفار فى نفى الأمية عنه، وإثبات مظنة اختراع القرآن وتأليفه.

ومن أشنع ما يتصف به إنسان سليم العقل صحيح العرفان؛ ما ذكره  
الضباع هذا فى كتابه: من أن فوائد هذا الرسم كثيرة، وأسراره شتى.  
منها: عدم الاهتداء إلى تلاوته على حقه إلا بموقِّف، شأن كل علم نفيس  
يتحفظ عليه. (كذا).

زعمهم بأن المراد  
بالرسم عدم  
الاهتداء للتلاوة

(١) انظر ما كتبناه عند «قول بعض المدافعين عن الرسم القديم».

(٢) سورة الأعراف. آية ١٥٧.



يا للدهاية الدهياء ! لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات ، واللوغارتمات ،  
والطلسمات ، والاصطرلابات ، وضرب الرمل ، والتنجيم . وما شاكل  
ذلك . من العلوم التي يزعمون نفاستها لما تحتويه من أسرار لا تنال إلا بجهد  
جهيد ، وتلقَّ طویل الأمد .

القرآن الذي نزل ليفهمه سائر الناس ، لا يجوز تلاوته إلا إذا تلقيناه  
عن بعض الناس .

والرسول عليه الصلاة والسلام الذي كلف بتبليغه لسائر الناس قد تأمر  
عليه مع صحابته رضوان الله تعالى عليهم ، فأحاطوه بسياج كثيف من المبهمات ؛  
لئلا يهتدى الناس إلى تلاوته حق التلاوة !

يا معشر القراء ، إن الرسول والاسلام منكم براء . حتى تتوبوا عن  
هذا الهراء !

يقول الله تعالى لعباده : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ <sup>(١)</sup> . وأتم تزعمون  
أنه أبعدهم منه ، وأضلهم عنه ، فما أكبر هذا الزعم ، وما أعظم هذه القرية !  
لقد أرسل الله تعالى القرآن الكريم في أمة هي كالأنعام ، بل أضل  
سبيلا منها ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ  
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ <sup>(٢)</sup> قد انصرفوا إلى عبادة الأصنام والأوثان ، ووأد  
البنين خشية الفقر ، والبنات خشية العار ، وبلغوا من التعصب والجاهلية

(١) سورة القمر . آية ١٧

(٢) سورة الفرقان . آية ٤٤

حدًا لا يقبل مزيدًا . فهل إذا أراد أحد المخلوقين العقلاء أن يخاطبهم في شئونهم ؛ ويصرفهم عما اعتادواه وألفوه ، ووجدوا آباءهم عليه ، وأشرب حبه في عقولهم وقلوبهم ؛ أكان يكتب لهم بالأحاجي والمعميات ، ويرمز لهم الرموز ، ويكنى لهم بالإشارات ؛ أم يكتب لهم بما يقرب من أذهانهم ، وتستسيغه عقولهم ؟

لا شك أنه ما من أحد يقول إلا بالرأى الأخير المعقول المقبول . فإذا كان هذا شأن العباد المخلوقين ، فما بالك برب الأرباب وأحكم الحاكمين !  
( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ <sup>(١)</sup> إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ) .  
وإليك ما احتواه الرسم القديم من تناقضات واضحة فاضحة :

---

(١) سورة الكهف . آية ٥

## التناقض الموجود في رسم المصحف

والناظر لهذا الاختلاف - الذي أوردنا بعضه - يرى أن الرسم القديم يقاب معاني الألفاظ ، ويشوّهها تشويها شديدا ، ويعكس معناها بدرجة تكفر قاريه ، وتحذف معانيه .

وفضلا عن هذا فإن فيه تناقضا غريبا ، وتنافرا معيبا ، لا يمكن تعليقه ، ولا استطاع تأويله .

تحريف صيغة  
التوكيد الى  
صيغة النفي

وإلا فقل لي أيها المسلم المنصف : كيف يقرأ المتلقي للقرآن قوله تعالى : ( لا أذبحنه )<sup>(١)</sup> ؟ وقد وردت بأداتى توكيد : لام القسم ، ونون التوكيد الثقيلة .

كيف يقرؤها القارئ ، وهي مرسومة أمامه هكذا : ( لا أذبحنه )<sup>(٢)</sup> ؟ بصورة نفي الذبح ، لا تأكيده .

هذا مع أن قوله تعالى : ( لا أذبحنه )<sup>(٢)</sup> في نفس السورة ، وفي نفس الصفحة ، بل وفي السطر عينه ؛ مرسومة حسب النطق تماما ؛ بأداتى توكيدها .

فما السبب في اختلاف هذين الرسمين ، وتناقض هاتين الكلمتين ؟ وما حجة القراء ، والمتمسكين بالرسم القديم في هذا ؟

(١) سورة النمل . آية ٢١ . (٢) سورة النمل . آية ٢١ .

وإذا كانت حجتهم في بعض التناقضات ، هو احتمال بعض القراءات لها . فما حجتهم الآن ؟

وهل يوجد قارئ يقرأ : ( لَأَذْبِحَنَّهُ ) بنفى الذبح : ( لَأَذْبِحَنَّهُ ) كما ورد في الرسم القديم ؟

وقد جاء في بعض كتبهم دفاعا عن هذا : أنه إشارة الى أن الذبح لم يحصل .

وجوابنا على ذلك : ان التعذيب أيضا لم يحصل . فليم لا يزداد

في : ( لَأَعَذَّبَنَّهُ ) ألف ، مثل : ( لَأَذْبِحَنَّهُ ) ؟

وجاء في سورة الفرقان لفظة : ( وَعَتُوا ) بدون ألف أمام الواو ، في حين

أنه في نفس السورة يوجد لفظنا : ( آتُوا ) و ( دَعُوا ) بإثبات الألف .

وليس ثمت فرق في الحالتين .

وجاء في سورة فاطر : ( يَدْعُوا حِزْبَهُ ) بإثبات ألف أمام الواو ، مع

أنها ليست بواو جماعة ، ولا داعي لزيادتها ، مهما اتحلنا لها من أعدار ،

وتحلنا لها من علل .

هذا في حين أنها قد وردت كثيرا بصيغة الجمع بدون ألف . كقوله

تعالى : ( وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ) . وقوله جل شأنه : ( وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ) .

(١) سورة الفرقان . آية ٢١ « لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا » .

(٢) سورة الفرقان . آية ٤٠ « ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطرا السوء أفلم يكونوا

يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا » .

(٣) سورة الفرقان . آية ١٣ « وإذا ألقيوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا » .

(٤) سورة فاطر . آية ٦ « إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » .

(٥) سورة البقرة . آية ٦١ (٦) سورة الأعراف . آية ١١٦

نقص الألف  
وزيادتها  
بغير موجب

فقد رسمت في المصحف - رغم أنف علماء الرسم ، والتهجئة ، وذوى العقول - بدون ألف ، هكذا : ﴿ جَاءُوا ﴾ و ﴿ بَاءُوا ﴾ .

وجاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى : ﴿ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، زيادة ياء في ﴿ نَبِيٍّ ﴾ ، هكذا : ﴿ نَبِيَّيْ ﴾ .

زيادة أحرف  
وتقصانها في بعض  
الكلمات دون

بعض

في حين أنه قد جاء في سورة القصص : ﴿ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى ﴾<sup>(٢)</sup> ، بدون هذه الزيادة .

وقد قالوا في ذلك : إن زيادة الياء في لفظة ﴿ نَبِيٍّ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، إشارة الى قراءة حمزة وهشام : ﴿ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ في هذا الموضع فقط .

وجاء في سورة فصلت : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾<sup>(٣)</sup> ، بحذف الألف الأولى التي بعد الميم من : ﴿ سَمَوَاتٍ ﴾ . وإثبات الألف التي بعد الواو . في حين أنها محذوفة الألفين في سائر المصحف ؛ هكذا : ﴿ سَمَوَاتٍ ﴾ .

وجاء في سورة النساء ، عند قوله تعالى : ﴿ وَبَنَاتِكُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> . ﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ﴾ . بإثبات الألف في لفظة : ﴿ بنات ﴾ . في حين أنها في كثير من مواضع المصحف محذوفة الألف .

(١) سورة الأنعام . آية ٣٤ « ولقد جاءك من نبي المرسلين » .

(٢) سورة القصص . آية ٣ « نلوا عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون » .

(٣) سورة فصلت . آية ١٢

(٤) سورة النساء . آية ٢٣

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾<sup>(١)</sup> ، فاذا قلنا : إن علة الحذف وجود أداة التعريف ؛ وجدنا قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقْبِمِمْ أَرْبَابَ الْبَنَاتِ وَلَهُمْ الْبَنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله جل شأنه : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، مثبتة الألف مع وجود أداة التعريف . وفي هذا ما فيه من التناقض البين .

وجاء في سورة الكهف ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، زيادة ألف في ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ ؛ هكذا : ﴿ لِشَأْيٍ ﴾ .

في حين أنه قد جاء في سورة النحل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(٥)</sup> ، بدون هذه الزيادة .

وجاء في سورة الأعراف ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ ﴾<sup>(٦)</sup> ، برسمها المعروف في الإملاء ، وهو الذي يوافق العقل أيضا .

غير أنه جاء في سورة طه ، هكذا : ﴿ قَالَ يَدْنَؤُمَّ ﴾<sup>(٧)</sup> ، بهذا الرسم العجيب الذي لا يتفق مع الإملاء الحديث ، ولا الإملاء القديم ، ولا الإملاء المقبل إلى يوم القيامة .

وجاء في سورة البقرة : ﴿ وَيَا أَوْلِيَّ الدِّينِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى ﴾<sup>(٨)</sup> . باثبات الألف في ﴿ إِحْسَانًا ﴾ في حين أنه جاء في سورة النساء : ﴿ وَيَا أَوْلِيَّ الدِّينِ إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَى ﴾<sup>(٩)</sup> بحذف الألف من ﴿ إِحْسَانًا ﴾ هكذا : ﴿ إِحْسَنًا ﴾ .

(١) سورة النحل . آية ٥٧ (٢) سورة الصافات . آية ١٤٩

(٣) سورة الصافات . آية ١٥٣ (٤) سورة الكهف . آية ٢٣

(٥) سورة النحل . آية ٤٠ (٦) سورة الأعراف . آية ١٥٠

(٧) سورة طه . آية ٩٤ (٨) سورة البقرة . آية ٨٣

(٩) سورة النساء . آية ٣٦

وكأنى ببعض المتعصبين للرسم القديم ، وقد قدح زناد فكره ، وسبح  
في بحار أوهامه وخيالاته . ثم انبرى يدافع عن هذا التناقض الغريب .  
فيقول : نعم إن هناك فرقا بين الكلمتين ، وشتان بين الإحسانين ؛ فالذى  
جاء في سورة النساء : ﴿ إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَى ﴾ . أما ما جاء في سورة  
البقرة فهو : ﴿ إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَى ﴾ . بدون الباء ؛ فوجب أن تعوض بإثبات  
الألف ، ليتساوى القولان وتتعادل الآيتان .

وإلا فماذا يقال في مثل هذا المقام غير هذا الهراء ؟

وجاء في سورة البقرة : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ <sup>(١)</sup> ﴾ ،  
بإثبات الألف في لفظة ﴿ إِصْلَاحٌ ﴾ .

في حين أنه قد جاء في سورة النساء : ﴿ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ <sup>(٢)</sup> ،  
بمحذوف الألف هكذا : ﴿ إِصْلَاحٌ ﴾ .

ولعل المدافعين يقولون : إن السبب في ذلك أن أحدهما مجرور ،  
والآخر مرفوع . أو أن أحدهما بمعنى الصلح ، والآخر بمعنى الإصلاح .

وجاء في سورة المائدة : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، بمحذوف الألف من  
﴿ جَزَاءُ ﴾ هكذا : ﴿ جَزْؤًا ﴾ . مع زيادة الألف في آخرها بدون موجب .

وفي السورة نفسها : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، بإثبات الألف كرسم  
الاملاء الحديث .

(١) سورة البقرة . آية ٢٢٠ (٢) سورة النساء . آية ١١٤

(٣) سورة المائدة . آية ٢٩ (٤) سورة المائدة . آية ٨٥

ولعل حجّتهم في ذلك أنه لا يستوى الجزاءان : جزاء الظالمين ،  
وجزاء المحسنين ؛ فوجب إنقاص : (جزاء) الظالمين ، وإكمال (جزاء)  
المحسنين .

ولست أرى لهم حجة غير ذلك ، خصوصا إذا علمنا أن الألف محذوفة  
أيضا في سورة الحشر عند قوله تعالى : (وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) <sup>(١)</sup> . ومثبته  
في سورة الزمر ، عند قوله عز من قائل : (ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) <sup>(٢)</sup> .

فوضح لنا من هذا : أنهم ما قصدوا سوى إثباتها للحسنين ، وحذفها  
لِلظالمين .

وجاء في سورة البقرة : (وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) <sup>(٣)</sup> ، برسم لفظة :  
(نِعْمَةٌ) بالتاء المفتوحة هكذا : (نَعِمَتٌ) ، في حين أنها جاءت في سورة  
المائدة : (وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) <sup>(٤)</sup> ، بالتاء المربوطة مع أن لفظ  
الآيتين واحد لا اختلاف فيه .

رسم التاء  
مفتوحة في بعض  
الكلمات دون  
بعض .

وجاء أيضا في سورة فاطر : (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ  
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) <sup>(٥)</sup> ، بالتاء المفتوحة في لفظ (سنة)  
في الثلاثة مواضع التي في هذه الآية . هكذا «سُنَّتٌ ، لِسُنَّتٍ» وفي مواضع  
أخر من القرآن .

- (١) سورة الحشر . آية ١٧ (٢) سورة الزمر . آية ٣٤  
(٣) سورة البقرة . آية ٢٣١ (٤) سورة المائدة . آية ٧  
(٥) سورة فاطر ، آية ٤٣



هذا في حين أنها جاءت في سورة الفتح عند قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ  
الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا <sup>(١)</sup> ﴾ ، بالتاء المربوطة في هذين  
الموضعين من هذه الآية . وفي مواضع أخر من المصحف .

وجاء في سورة الواقعة : ﴿ وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ <sup>(٢)</sup> ﴾ ، بالتاء المفتوحة هكذا :  
﴿ وَجَنَّتِ ﴾ ، في حين أنها في سائر القرآن بالتاء المربوطة .

وجاء في سورة آل عمران : ﴿ فَجَعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ <sup>(٣)</sup> ﴾ ، بالتاء  
المفتوحة هكذا : ﴿ لَعَنْتَ ﴾ .

وفي نفس السورة : ﴿ إِنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ <sup>(٤)</sup> ﴾ ، بالتاء المربوطة . وهكذا  
في كثير من مواضع المصحف الكريم .

وجاء في مواضع كثيرة من المصحف ؛ هذه الألفاظ برسمها : ﴿ أَمْرَاتُ  
عِمْرَانَ <sup>(٥)</sup> ﴾ و ﴿ مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ <sup>(٦)</sup> ﴾ و ﴿ فِطْرَتِ اللَّهِ <sup>(٧)</sup> ﴾ و ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ <sup>(٨)</sup> ﴾  
و ﴿ شَجَرَتِ الرَّقُومِ <sup>(٩)</sup> ﴾ و ﴿ قُرْتُ عَيْنٍ <sup>(١٠)</sup> ﴾ و ﴿ رَحْمَتِ اللَّهِ <sup>(١١)</sup> ﴾ بالتاء المفتوحة .

(١) سورة الفتح . آية ٢٣ (٢) سورة الواقعة . آية ٨٩

(٣) سورة آل عمران . آية ٦١ (٤) سورة آل عمران . آية ٨٧

(٥) سورة آل عمران . آية ٣٥ « إذ قالت امرأة عمران رب انى ندرت لك ما فى بطنى محررا . »

(٦) سورة المجادلة . آية ٨ « ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول . »

(٧) سورة الروم . آية ٣٠ « فطرة الله التى فطر الناس عليها . »

(٨) سورة هود . آية ٨٦ « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . »

(٩) سورة الدخان . آية ٤٣ « ان شجرة الرقوم طعام الأثيم . »

(١٠) سورة القصص . آية ٩ « وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك . »

(١١) سورة البقرة . آية ٢١٨ « أولئك يرجون رحمة الله . »

وفي مواضع أخر كثيرة : هذه الكلمات نفسها بالتاء المربوطة ؛ كالإملاء  
الحديث المعقول المقبول .

ومن العجيب أن علماء الرسم يتلمسون الأسباب الواهية لهذا الوضع  
الغريب ، وينتحلون الأعذار الواهنة لهذا التخطي . فيقولون : إن قراءة  
حفص توجب النطق بالتاء في هذه المواضع وصلا ووقفا ؛ لذا وجب رسمها  
بالتاء المفتوحة . وفي غير هذه المواضع توجب النطق بها وصلا لا وقفا ؛  
لذا وجب رسمها بالهاء .<sup>(١)</sup>

تلبس الأسباب  
الواهية لهذا  
الاختلاف

وكأنهم بقولهم هذا ؛ يقزرون أن القرآن ليس بعربي ، أو أنه أنزل بلغة  
أخرى لا تمت للعربية بصلة ، وليس للنطق والبلاغة والعقل دخل فيها .

والإفلاماذا يوقف على : (( نعمة )) التي في سورة البقرة بالتاء ، وعلى  
(( نعمة )) التي في سورة المائدة بالهاء ؟

مع أن نطق الآيتين واحد ، ولفظهما واحد ، لا فرق فيه مطلقا :  
(( وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ))<sup>(٢)</sup>

وهذا التمثل الذي يتملونه ؛ غاية في التكلف ، ونهاية في التعسف ،  
ولم يقولوا به إلا حين وجدوا بالمصحف القديم لفظ : (( نعمة )) . أحدها  
مرسوم بالتاء ، والآخر بالهاء .

(١) اجمع يقرأونها كذلك ، عدا ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، فانهم يقرأونها  
بالتاء وصلا ، وبالهاء وقفا .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٣١ . والمائدة . آية ٧ .

ونحن ننكر عليهم أن حفصا قد قرأ بالوقف بالتاء في مواضع ، وبالهاء في مواضع أخر ، مع تشابه الموضعين وتماثلهما .

فإن أصروا على إسنادها إلى حفص ؛ فنحن ننكر على حفص أيضا هذا التصرف ؛ إذ أن القرآن أسمى من أن يكون فيه اختلاف في ألفاظه ، أو معانيه ، أو نطقه ، أو صورته ، أو حروفه .

وذلك لأنه من وضع الخالق ، المتعالى عن النقص والاختلاف . وإنما الاختلاف في الرسم فقط ، وهو من وضع البشر وصنعهم .

وإذا كان النقص والاختلاف ليس من شأن بعض المخلوقين ؛ فما بالنا بأحسن الخالقين ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> .

وقد جاء أيضا في المصحف لفظة ﴿ بسطة ﴾ بالسين ، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

إبدال السين صاد  
في بعض المواضع

إلا أن هذه اللفظة بذاتها رسمت بالصاد هكذا : « بصطة » ، عند قوله تعالى : ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾<sup>(٣)</sup> . بغير موجب .

وجاء أيضا لفظ ﴿ قال ﴾ بدون ألف هكذا : ﴿ قل ﴾ ، بغير ما سبب لهذا الحذف . وفي مواضع كثيرة بإثبات الألف .

حذف الألف  
من « قال »  
في بعض المواضع

فقد جاء عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، بحذف الألف من ﴿ قال ﴾ ، وفي نفس السورة : ﴿ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>(٥)</sup> ،

(١) سورة النساء . آية ٨٢ (٢) سورة البقرة . آية ٢٤٧

(٣) سورة الأعراف . آية ٦٩ (٤) سورة المؤمنون . آية ١١٢

(٥) سورة المؤمنون . آية ١١٤

بجذف الألف أيضا ، وقوله جل شأنه : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ <sup>(١)</sup> ﴾ ، بجذف الألف أيضا .

هذا في حين أنه قد جاء في نفس السورة ؛ عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ  
لِأَيُّهِمْ قَوْمِهِ <sup>(٢)</sup> ﴾ بإثبات الألف . وأيضا عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ  
أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ <sup>(٣)</sup> ﴾ . و ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>(٤)</sup> ﴾ . و ﴿ قَالَ بَلْ  
فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا <sup>(٥)</sup> ﴾ . و ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا  
وَلَا يَضُرُّكُمْ <sup>(٦)</sup> ﴾ . كل هذا بإثبات الألف .

وجاء في آخر السورة : ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ <sup>(٧)</sup> ﴾ ، بجذف الألف . وجاء  
أيضا في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أُولُو جُنُودِكُمْ <sup>(٨)</sup> ﴾ ، بجذف الألف أيضا .

هذا في حين أنه قد جاء في الآية التي تليها : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيُّهِ  
قَوْمِهِ <sup>(٩)</sup> ﴾ ، بإثبات الألف .

ومثل هذا التناقض كثير جدا . وإذا سألتهم عن العلة في ذلك ، قالوا :  
لاحتيال قراءة ﴿ قل ﴾ بصيغة الأمر ، لا بصيغة الماضي .

بطلان ما زعمه  
القراء من احتيال  
قراءة « قل »

هذا في حين أنها جاءت في مواضع كثيرة ؛ لا تحتمل هذا التأويل الفاسد ،  
وهذا التوجيه الباطل .

(١) سورة الأنبياء . آية ٤

(٢) سورة الأنبياء . آية ٥٤

(٣) سورة الأنبياء . آية ٦٣

(٤) سورة الأنبياء . آية ١١٢

(٥) سورة الزنurf . آية ٢٦

(٦) سورة الأنبياء . آية ٥٢

(٧) سورة الأنبياء . آية ٥٦

(٨) سورة الزنurf . آية ٢٤

(٩) سورة الزنurf . آية ٢٦

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ، بحذف الألف ، فإنها لا تحمل هذه القراءة ، إذ أن الآية التي تليها : ﴿ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . ولا يجوز أن يقول : ﴿ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ . إلا بتقدير : قل كم لبئتم في الأرض عدد سنين . فقال لهم ذلك ، فقالوا : لبئنا يوما أو بعض يوم . وهذا واضح البطلان .

وجاء أيضا عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ أُولُو جِحْتِكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، بحذف الألف ، مع أن تمام الآية يأبى قراءة ﴿ قل ﴾ بصيغة الأمر . وذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ قَالَ أُولُو جِحْتِكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ . فإذا كان بصيغة الأمر ، احتاج إلى تقدير : قل أولو جحتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم . فقال لهم ذلك ، فقالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون .

وهذا التقدير مغل بنظم الكتاب الكريم . وليس في الأمر أكثر من خطأ الكاتب الأول للمصحف .

وإذا قلنا - كما يزعم القراء - : إن كل رسم جاء في المصحف مخالف حذف الألف من « الأيكة » في بعض المواضع  
رسم لفظة ﴿ الأيكة ﴾ هكذا : « لَشَيْكَة » ؟<sup>(٤)</sup>

(١) سورة المؤمنون . آية ١١٢ (٢) سورة المؤمنون . آية ١١٣

(٣) سورة الزخرف . آية ٢٤ - (٤) سورة الشعراء . آية ١٧٦ ، وهي اسم

القرية التي كانوا فيها ، أو هو اسم غيضة تبنت ناعم الشجر .

ورب مجيب من سادتنا القراء يقول : نعم إنها رسمت هكذا لموافقها  
لإحدى القراءات « لَيْكَة » <sup>(١)</sup> بحذف الهمزة .

وردنا على ذلك : وما الفرق بين قوله تعالى : ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ <sup>(٢)</sup> الْمُرْسَلِينَ ) ، في سورة الشعراء ، وقوله : ( وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِعَ <sup>(٣)</sup> ) ، في سورة ق .

فإنها جاءت في سورة الشعراء هكذا : ( لَيْكَة ) ، وفي سورة ق هكذا : ( الْأَيْكَة ) .

ولعلمهم يقولون : إن القارئ يقرأ هذه بالهمزة ، وتلك بدونه .

وهنا فقط نكون في حل من أن تقول لهم : رحماكم معشر القراء في كلام  
مولاكم ، رحماكم فإن ما تقولونه وتدعونوه لغو وباطل وهذيان ، لا يقتره  
إنسان . ونعيد على مسامعكم قوله تعالى : ( وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا <sup>(٤)</sup> فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ) .

وأنا أول المؤمنين بأن هذا القرآن من عند الله ، وأنه تعالى برىء  
مما تنسبونه له من التناقض والاختلاف .

وجاء أيضا عند قوله تعالى : ( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ <sup>(٥)</sup> ) ، بحذف نون  
( فَإِنْ لَمْ ) هكذا : ( فَلَمْ ) . وجاء عند قوله تعالى : ( فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ <sup>(٦)</sup> ) ،

حذف النون  
من « فان لم »  
في بعض المواضع

(١) هي قراءة نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو جعفر : « لَيْكَة » بالفتح ، على

أنها ممنوعة من الصرف . (٢) سورة الشعراء . آية ١٧٦

(٣) سورة ق . آية ١٤ . (٤) سورة النساء . آية ٨٢

(٥) سورة هود . آية ١٤ . (٦) سورة القصص . آية ٥٠

بإثباتها . مع أن الموقف واحد في الحالتين . وليس لذلك من تعليل ؛ إلا أن يقول المكابرون المتفعون : إن النون قد أثبتت في الثانية ؛ لتحل محل ميم الجمع في الأولى .

وقد جاء في كتاب « فتح المنان ، على مورد الظمان » لابن عاشر ؛ وهو من أهم الكتب المعتمدة في الرسم :

الخلافا الموجود  
في كتابة المصاحف

اختلفت المصاحف في قوله عز وجل : (( سَوَّاهُمَا <sup>(١)</sup> )) . ففى بعضها بإثبات الألف ، وفى بعضها بالحذف ، وكلاهما حسن ؛ فليكتب الكاتب من ذلك ما أحب .

ترجيح رسم  
على آخر  
بلا موح

وقد أورد علماء الرسم في قوله تعالى : (( تُكذَّبَانِ <sup>(٢)</sup> )) ، حذف الألف ، على خلاف بينهم ، وترجيح عدم إثباتها . ولكن القائمين بأمر طبع المصحف المصرى ؛ رجحوا الرأى المرجوح ، وأثبتوا الألف ، متبعين الرأى الأضعف في نظر علماء الرسم ، وكأنهم بهذا قد اتبعوا ما استحسنته هم ، لا ما استحسنته علماء الرسم الثقا .

أين رسم  
مصحف عثمان

فأين رسم مصحف سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه ؛ الذى يريدون أن يفرضوا علينا اتباعه أيا كان ، وكيف كان ؟ وهل كتبه عثمان بالوجهين ؟ وإلا فهاذا تفسر هذا التحسين وهذا التوجيه ؟

قصور كاتب  
المصحف في الهجاء

وعلم الله تعالى أن هذا الرسم لم يناقض بعضه بعضا ؛ إلا لتوهم الكاتب للمصحف الأول ، وقصوره في فن الهجاء ، وخطئه .

(١) سورة طه . آية ١٢١ . (٢) سورة الرحمن . آية ١٣ وما بعدها . (٣)

نعم أقولها واضحة جلية ، بدون موارد ، فالحق لا يقبل المحاباة ،  
ولا المداجاة .

لأن ذلك الكاتب من البشر ، وسائر البشر يحوز في حقهم السهو ،  
والخطأ ، والنسيان ، والقصور .

وقد قال بذلك ؛ عائشة ، وابن عباس ، وغيرهما من فضلاء الصحابة  
الذين أخذنا عنهم الشريعة ، والدين ، والقرآن .

أما إنا نقول : لمنهم بهجائهم هذا أدري منا في علم الرسم ، وأخبر في فن  
الهجاء ، ويجعل هذا الرسم توقيفيا ، كأن الله تعالى أنزله برسمه هذا من  
السماء ، وكأن هذا الاختلاف ضرب من ضروب إعجاز القرآن . كما قال  
بعضهم <sup>(١)</sup> : <sup>(١)</sup> سأل الله .

هذا مع العلم بأن الله تعالى قد أنزل القرآن على نبي أمي ، لا يقرأ  
ولا يكتب . وهو أيضا مبعوث إلى أمة أمية ، لا تقرأ ولا تكتب . وقد  
أنزله الله تعالى بلفظه ؛ لا بصورته ، وبمعناه ؛ لا برسمه .

ولا حرج مطلقا في أن يكتب المصحف كاتب ، أو يطبعه طابع ؛ بأى  
هجاء شاء . ما دام لا يخرج عن النطق المطلوب ، كما أنزله الله تعالى ، وكما  
تنطق به العرب .

جواز آية  
المصحف وطبعه  
بأى هجاء .

وإذا تصورنا — مثلا — أن الرسول الأمي ، عليه أفضل الصلاة  
والسلام ؛ أنزلت عليه آية من القرآن — وهو غير مستطيع للكتابة والقراءة

(١) انظر ما كتبناه عند « ما قاله بعض المدافعين عن الرسم القديم » .



طبعاً - فطلب من أحد كتبة الوحي كتابتها . فكتبها بأى صورة ، وعلى  
أى هجاء . ثم تلاها الكاتب على الرسول كما أملاها عليه ، أكان يقول له :  
أنت خاطئ ، أو أنت آثم . أو لم تكتبها بالألف دون الياء ؟ أو بالياء  
دون الألف ؟ .

طبعاً لا يختلف اثنان من المؤمنين المنصفين ، فى أن المراد بالقرآن هو  
الفاظه ومعانيه ، ومقاصده ومرامييه ، لا هجاؤه ورسمه وهيكله .

سبب الرسم  
الأول للصحف

ولو تساءلنا : هل وضع رسم المصحف ليقرأ ، أو ليكون رمزاً ، ويظل  
طليماً ، يتناقله القراء وحدهم ، ويلقنونه لمن يريدون تلقينه ، ممن يتلف  
إليهم بماله ونفسه ، ويمعنونه عنم يريدون منعه ، ممن لم يرزق جاهاً ولا مالاً ؟  
إذا بحثنا ذلك ، وجدنا أن القرآن الكريم ما رسم بهذا الرسم ، ولا كتب  
بهذا الهجاء ، إلا لأنه هو الهجاء المعروف المتداول فى العصر الأول .

ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه موجوداً فى هذا العصر ، لما وسعه  
إلا كتابة المصحف بالرسم الحديث ، والتهجئة الحديثة : الواضحة ، المعقولة ،  
المقبولة . التى يستطيع تلاوتها كل مسلم ، ويقوى على قراءتها كل مؤمن .

صعوبة قراءة  
الرسم القديم  
وتعسرها

وفضلاً عن ذلك ، فإن هذا الهجاء لم يتزل من لدن المولى جل وعلا ،  
ولم يلزمنا به الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإنما هو من وضع المخلوقين ،  
لصالح المخلوقين .

(١) الطلم : الاشارات والخطوط التى يرسمها السحرة والمشعوذون ، فلا تفهم

ولا تقرأ .

ونحن إذا أحضرنا شخصا — بالغا ما بلغ من العلم والثقافة — وكلفناه قراءة بعض القرآن برسمه القديم ؛ لَمَّا استطاع أن ينطق به على وجهه ، بل وخلط فيه خلطا شديعا ؛ وقرأ الجمع مفردا ، والمفرد جمعا ، والإثبات نفيا ، والنفي إثباتا . ولأخل بالمعنى إخلالا بينا . ولا نقلب القارئ — لو آخذناه على نطقه — من التعبد إلى الكفر والعياذ بالله !

وقد رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ؛ الكثير من هذا . وشاهده وسمعه الكثيرون .

قال العلامة ابن خلدون — في سياق كلامه عن الخط العربي —  
ما نصه :

فكان الخط العربي لأقل الإسلام ، غير بالغ إلى الغاية من الإحكام ، والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط ؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع .

وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف ؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير محكمة في الإجادة ؛ فخالف الكثير من رسومهم ؛ ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها .

ثم اقتنى التابعون من السلف رسمهم فيها ؛ تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده ، المتلقون لوحيه ؛ من كتاب الله تعالى وكلامه . كما يقتنى لهذا العهد خط وليّ ، أو عالم تبركا ، ويتبع رسمه خطأ أو صوابا .

رأى ابن خلدون  
في كتابه المصحف

وأين نسبة ذلك من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فيما كتبوه ، فاتبع ذلك وأثبت رسماً ، ونبه علماء الرسم على مواضعه .

ابن خلدون يقول  
بتفغل علماء الرسم  
وتحكّمهم

ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين ؛ من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ، ليس كما يتخيل ؛ بل لكلها وجه .

ويقولون في مثل زيادة الألف في (لَأَذْبَحَنَّه<sup>(١)</sup>) أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع . وفي زيادة الباء في (بِأَيْدِي<sup>(٢)</sup>) أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك ؛ مما لا أصل له إلا التحكم المحض .

وما حملهم على ذلك ؛ إلا اعتقادهم أن في ذلك تزيها للصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ عن توهم النقص في قلة إجادة الخط .

وحسبوا أن الخط كمال . فترهّوهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجارة من رسمه ؛ وذلك ليس بصحيح .

الخط ليس  
كالا في حق  
الامة العربية

واعلم أن الخط ليس بكامل في حقهم ؛ إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية ، والكامل في الصنائع إضافي ، وليس بكامل مطلق ؛ إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ، ولا في الخلال . وإنما يعود على أسباب المعاش ، وبجسب العمران والتعاون عليه ، لأجل دلالاته على ما في النفوس .

(١) سورة النمل . آية ٢١ انظر ما كتبناه في « تحريف صيغة التوكيد إلى صيغة التثنية »

(٢) سورة الذاريات . آية ٤٧ .

وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أميا ، وكان ذلك كمالا في حقه ،  
وبالنسبة إلى مقامه ، لشرفه وتزهه عن الصنائع العملية ، التي هي أسباب  
المعاش والعمران كلها .

الأمية كمال  
في حق الرسول

وليست الأمية كمالا في حقنا نحن ، إذ هو منقطع إلى ربه ، ونحن  
متعاونون على الحياة الدنيا ، شأن الصنائع كلها ، حتى العلوم الاصطلاحية ،  
فإن الكمال في حقه ، هو تزهه عنها جملة بخلافنا .

« انتهى كلام ابن خلدون »

ورأى العلامة ابن خلدون هذا : يؤيد ما ذهبنا إليه كل التأييد ،  
ويدل دلالة قاطعة ، على أن الرسم الإملائي للمصحف ، ليس على قاعدة علمية  
صحيحة ، وليس على نظام قويم ، ولا يجوز أن يكون حجة ، ولا مرجعا .  
وكثيرا ما نجد بعض جهلة الكتاب ، وصغار المتعلمين ، يكتبون كلمات  
ناقصة مبتورة ، وأخرى زائدة . ويرون أن ما يكتبونه هو عين الصواب ،  
ونهاية الصحة .

رسم المصحف  
ليس بحجة

ولقد رأيت من بعض العلماء من يكتب في خطاباته ما يستوجب  
السخرية ، ويشير الضحك . في حين أنه لم يتصف بالأمية ، كاتصاف  
أفراد الأمة العربية .

والأعجب من هذا أن شيخ المقارئ المصرية<sup>(١)</sup> — بعد أن حضر القراءة  
في المصحف ، وأنكر كونها قرآنا ، وأنكر قرآنية المصحف التي على غير الرسم  
التقديم — قال ما نصه :

إخلال رسم  
المصحف  
بأصول الرسم  
العربي

(١) هو المرحوم : الشيخ محمد خلف الحسيني . الذي أشرف على إخراج المصحف الجديد  
برسمه الحالي .

ولو كان الأخذ من المصاحف كافياً ؛ لكان مقتضى الرسم العثماني صحيحاً في القراءة في كل موضع ، وليس كذلك . بل قد يُجِلُّ بها في مواضع خالف فيها خط المصحف ؛ أصول الرسم العربي إخلالاً بينا .

وهذا القول من شيخ المقارئ رحمه الله تعالى ، يعتبر اعترافاً واضحاً ، وإقراراً صريحاً ؛ بأن المصحف العثماني قد أدخل بأصول الرسم العربي إخلالاً بينا . وهو الذي فترناه ، وقلناه آنفاً .

ليس هناك  
إجماع على  
الرسم القديم

قد يقول قائل : وكيف نخالف الرسم الأول ، وقد أجمعت الأمة على وجوب اتباعه ؟

وجوابنا على هذا : ان الأمة الاسلامية ؛ لم تجمع مطلقاً على وجوب اتباع هذا الرسم . بدليل اختلاف تهجئة المصاحف ؛ باختلاف العصور ، وها هي دور الكتب مלאى بالمصاحف المختلفة الخطوط ، والإملاء ، والتهجئة .

إنعقاد الإجماع  
على مخالفة  
الرسم القديم

بل ان الإجماع انعقد زمناً طويلاً على مخالفة الرسم القديم ، حتى عام ١٣٣٧ هجرية ، حيث طبع المصحف المصري بهذا الرسم ، الذي أشرف على وضعه ، وقام بكتابته : المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية . وعقد إجماع القراء عليه في الديار المصرية فحسب .

وقد كان ذلك بعد دعاية واسعة النطاق ، لم يقصد بها سوى احتكار تلقين القرآن الكريم وتلقيه . : *تلقين القرآن الكريم وتلقيه .*

الإجماع لا يكون  
حجة على السنة  
وإذا سلمنا جدلاً بانعقاد الإجماع على الرسم القديم ، فهل يكون الإجماع  
حجة على السنة ؟ هل يكون إجماع الناس المعرضين للخطأ والزلل ؛ حجة على  
قول الرسول الكريم المعصوم ، عليه الصلاة والسلام .

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم « نَحْنُ أُمَّةٌ أَمِيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ »  
فهل معنى هذا الحديث : أننا نجعل هذه الأمة الأمية ؛ قدوة لنا في فن  
الهجاء ، ومرجعاً في فنّ الإملاء .

يقول الرسول عليه السلام : يا أيها الناس نحن أمة لا نتقن الكتابة ؛  
فلا تأخذوها عنا ، بل خذوها عن غيرنا ممن أحسنها وأتقنها . أما المعاني فلنا  
فيها شأن وأى شأن ؛ فقد أوتيت جوامع الكلم .

فهل بعد هذا يحتاج إنسان بالإجماع على الرسم القديم ، وأنه أفضل  
الهجاء ، وأحكم الإملاء .

وقد جاء أن عثمان رضی الله تعالى عنه ، قال — حين عرض عليه  
المصحف في كَتَبْتِهِ الأَخيرة : — أرى فيه لحناً ، وستقيمه العرب  
بألسنتها .

قول عثمان  
بأن في كتابة  
المصحف لحناً

ولا شك أن عثمان يقصد بذلك اللحن الذي ستقيمه العرب بألسنتها ؛  
انخطأ البادى في الهجاء ، والتناقض الموجود في رسم المصحف القديم .

روى أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة  
أم المؤمنين رضی الله تعالى عنها أنها قالت :  
فول عائشة  
بخطأ كاتب  
المصحف الأول

ثلاثة أحرف في كتاب الله تعالى ، هي خطأ من الكاتب : ﴿ إِنْ هَذَا نِ  
لَسَاخِرَانِ ﴾<sup>(١)</sup> ، و ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، و ﴿ لَكِنَّ  
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ  
قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

أما وقد ثبت لنا الآن من قول عائشة رضی الله تعالى عنها ، ومن قول  
كثير من فضلاء الصحابة : خطأ الكاتب للمصحف الأول ، فلا معنى  
للتمسك بهذا الرسم ، الذي ثبت خطؤه بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ،  
وقول عثمان رضی الله تعالى عنه ، وقول عقلاء الأمة وأدبائها ومفكرها .

<sup>(٤)</sup>  
وقد كان هذا الرسم سببا في خطأ بعض القراء المشهورين ، كما سنبينه  
في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

(١) سورة طه . آية ٦٣

(٢) سورة المائدة . آية ٦٩ .

(٣) سورة النساء . آية ١٦٢ — انظر ما كتبناه في « رأى عائشة رضی الله عنها » .

(٤) انظر ما كتبناه في « رأى الامام الزمخشري في بعض القراءات » .

1. The first part of the book is devoted to a general

introduction to the subject of the history of the

people of the region, and to a description of the

country and its resources. The second part of the

book is devoted to a description of the

people and their customs, and to a description of

the government and the laws of the country.

The third part of the book is devoted to a

description of the religion and the

philosophy of the people, and to a description of

the arts and the sciences of the country.

The fourth part of the book is devoted to a

description of the literature and the

history of the country, and to a description of

the present state of the country and its

prospects for the future.

The fifth part of the book is devoted to a

description of the natural history and the

geography of the country, and to a description of

the climate and the seasons of the country.

The sixth part of the book is devoted to a

description of the minerals and the

products of the country, and to a description of

the commerce and the industry of the country.



ثَلَاوَةَ الْفَرَاقِ وَقَرَاءَةَ الشَّرِّ

قَائِلًا عِنْدَ نَبِيِّكُمْ ذِي عَوْجٍ

## فصل تلاوة القرآن

لا ريب أن القرآن الكريم ، هو منبع الخيرات ، ومصدر البركات ،  
ومهبط الرحمات ؛ وتلاوته من أفضل القربات ، وأعظم الحسنات ،  
الموصلة الى أعلى الدرجات ، في نعيم الجنات .

القرآن  
منبع الخيرات

قال تعالى مثنيا على من كان دأبهم تلاوة القرآن : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ  
آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ .

من جعلوا دأبهم  
تلاوة القرآن

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي آثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ  
اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » .

وقال أيضا : « أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ » .

وجاء في الأثر : « مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرَنِي عَنْ مَسَائِي ؛ أُعْطِيَهُ  
أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ » .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » .

شفاة القرآن

وقال أيضا : « نَوِّرُوا مَنَازِلَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » .

القرآن نور  
المدور والقصور

فالقُرآن الكريم ، هو نور الدور والقصور ، ونور القلوب والعيون ،  
فياسعادة من جعل ديدنه ترتيله ، وشاغله تأويله . ويا فوز من اتخذه  
إماما وسندا ، وهاديا ومرشدا ، وملاذا وملجأ ، وشفاعة ومنعة !

التعوذ  
قبل القراءة

ويجب التعوذ قبل البدء في قراءة القرآن ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ  
الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾<sup>(١)</sup> .

صيغة التعوذ

وصيغة التعوذ التي انبى عليها الإجماع ، هي : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ  
الرَّجِيمِ » .

وقد كان جماعة من فضلاء السلف ، يستحبون قول : « أعوذ بالله  
السميع العليم ، من الشيطان الرجيم » .

وعن حميد بن قيس : « أعوذ بالله القادر ، من الشيطان الغادر » .

وعن أبي السمال : « أعوذ بالله القوي ، من الشيطان الغوى » .

وعن قوم : « أعوذ بالله العظيم ، من الشيطان الرجيم » .

وعن آخرين : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إنه هو السميع  
العليم » .

وقصارى القول : انه ليس لها حد ينتهى اليه . فمن شاء زاد ، ومن  
شاء نقص . والأولى اتباع ما انعقد عليه الإجماع : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ  
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .

ومن لطف الله تعالى بعباده ، ورأفته بحليقته ؛ أنه لم يكلفهم ما يشق  
بهم ، ولم يلزمهم ما يعسر عليهم .

القراءات إنما  
جعلت للتيسير  
لا للتعسير

ألا ترى الى القراءات ووجوهها ، والقراء ومذاهبهم ؟ فهذا يرقق  
الراء ؛ لأنها لغة إحدى القبائل ، وذلك يفخم اللام ؛ لأنها لهجة قبيلة  
أخرى ، وهذا يسهل الهمز ، وهذا يقصر المدود ، وآخر يمد المقصور .

وهكذا الى ما لاحصر له من التسهيل ، والتزول الى حيث مدارك  
الناس وأفهامهم - على اختلافها وتباينها - شفقة عليهم ، ورحمة بهم .

## تَعْسِفُ الْقُرْآنَ ، وَتُنْطَعِمُهُمْ

روى ابن قتيبة ، في كتابه عيون الأخبار : « حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خُنَيْسٍ ، عَنْ  
ضَرَّارِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : قُرَأَ الْقُرْآنُ ثَلَاثَةً : رَجُلٌ أَخَذَهُ بَضَاعَةٌ  
يُنْقَلُهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مِصْرَ ، يُطَلَبُ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ .<sup>(١)</sup>  
<sup>(٢)</sup>

وقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، واستدروا به الولاة ، واستطالوا  
به على أهل بلادهم<sup>(٣)</sup> — وقد كثرت الله تعالى هذا الضرب في حملة القرآن  
وَلَا كَثَرَهُمُ اللَّهُ —

ورجل قرأ القرآن ، فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه<sup>(٤)</sup> ،  
فسهر ليله ، وهمت عيناه . تسربلوا الخشوع ، وارتدوا الحزن ، وركدوا  
في محاربيهم ، وجثوا في برانسهم . فبهم يسقى الله الغيث ، ويُنزِلُ النصر ،  
ويرفع البلاء . والله لهذا الضرب في حملة القرآن ، أقل من الكبريت الأحمر .

(١) « من مصر الى مصر » أى : من مدينة الى مدينة .

(٢) وهم أمثال القزاة في عصرنا الآن .

(٣) وهم حفظة القرآن اليوم ، الذين يتكسبون بتلقيته .

(٤) قال تعالى « وشفاء لما في الصدور » وهؤلاء هم الذين يتلون القرآن حق تلاوته

كما أنزله الله تعالى على نبيه صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وكما نطق به الصحابة والتابعون  
رضى الله عنهم — فلم يتعسفوا في نطقه ، ولم يبالغوا في غشه ومدّه ، بل كان كل ديدنهم :  
فهم معانيه ، وإدراك مراميه ، والتعبد بما جاء فيه ، وقليل ما هم .

والقراءات — كما قدمنا — إنما جعلت على ألسنة القبائل ولهجاتها ؛

تلطفا بالناس ، وتسهيلا عليهم ، وتقريبا لأذهانهم .

لأنهم إذا سمعوا القرآن بلهجة غير لهجتهم ؛ ثقل ذلك على أسماعهم ،

وإذا كُفِّوا قراءته بغير ما أَلْفُوهُ ؛ شَقَّ على ألسنتهم .

فأراد الله تعالى — رحمة بعباده — ألا يكلم أحدا إلا باللهجة التي سكن

إليها ، ودرج عليها .

وليس معنى هذا : أن نأخذ قراءة أقوام ، فنسَمِعُها آخرين ؛ حيث

يثقل عليهم علمها وفهمها ، وإنما نقرأ لكل شعب من الشعوب ، وقبيلة

من القبائل ؛ بما يتناسب ونطقهم . هذا رغم تأكدنا من أن القراءات قد

نسخت جميعها بأمر عثمان رضي الله تعالى عنه ، حين جمع مصحفه ، ودعا

الناس إلى قراءة واحدة ، وأقره سائر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم <sup>(١)</sup> .

وسنورد أمثلة من القراءات التي لو تليت على غير أهلها ؛ لأفسدت

معاني القرآن ، وشوَّهت طلاوته وعدوبته :

أنظر — مثلا — إلى القارئ المصري ، حين يقرأ على عامة المصريين :

﴿ أَهْدِنَا الزَّرَّاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . مكان : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

إذا جازت  
قراءة القراءات  
فعل أهلها

القراءات المشوَّهة  
لمعاني القرآن

(١) انظر ما كتبناه عند فصل « كتابة المصحف » .

(٢) سورة فاتحة الكتاب . آية ٦ والذي قرأ « الزراط » هو خلاد عن حمزة ، والأعجب

من هذا أن هذه الصاد تبدل زايا في هذه اللفظة دون مثيلاتها في سائر القرآن . حتى اللفظة

الواردة في الآية التالية لهذه الآية .

فنكون قراءتهما « اهدنا الزراط المستقيم » صراط الذين أنعمت عليهم .

وقرأ خلف عن حمزة : جميع لفظ « صراط » في سائر المصحف بالزاي ، وكذا الصادات

الساكنة التي يعقبا دال . كقوله تعالى « أصدق » و « يصدر » هكذا « أزدق » و « يزدر » .

أو (إِنَّا نَبْشُرُكَ) . مكان : (إِنَّا نَبْشُرُكَ<sup>(١)</sup>) . أو (أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ) .  
و (أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) و (يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ) . مكان : (أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ<sup>(٢)</sup>) .  
و (أَيُّهُ الثَّقَلَانِ<sup>(٣)</sup>) . و (يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ<sup>(٤)</sup>) .

السكت على  
الساكن قبل الهمز

أو حين يقرأ — على طريقة من يسكت على الساكن قبل الهمز، وعلى  
الممدود قبلها — مثل « هَا ... وُلَا ... ءِ » و « السَّمَا ... ءِ » و « أَوْلَا ... نِكَ »  
وأمثال ذلك .

انظر — مثلاً — الى القارئ حين يقرأ بهذه القراءة قوله تعالى :  
(كَلَّا نُبَدِّلُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ<sup>(٦)</sup>) . فانه يقرأها هكذا :  
(كَلَّا نُبَدِّلُهَا ... وُلَا ... ءِ وَهَا ... وُلَا ... ءِ مِنْ عَطَا ... ءِ رَبِّكَ) .  
أو قوله جل شاناه : (مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِآلِ هَؤُلَاءِ وَلَا لِآلِ هَؤُلَاءِ<sup>(٧)</sup>) .  
فانه يقرأها هكذا : (لَا ... إِلَى هَا ... وُلَا ... ءِ وَلَا ... إِلَى هَا ... وُلَا ... ءِ  
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَنْ يُجِدَ لَهُ سَبِيلًا) .

- (١) سورة مريم . آية ٧ والذي قرأ « نبشرك » بفتح النون ، وسكون الباء ، وضم الشين  
والراء هو حمزة . وتماها « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » .  
(٢) سورة النور . آية ٣١ « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .  
والذي قرأ « أيه » في سائر مواضعها . هو ابن عامر .  
(٣) سورة الرحمن . آية ٣١ « سنفرخ لكم أيها الثقلان » .  
(٤) سورة الزمر . آية ٤٩ « وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك » .  
(٥) وهي قراءة حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة .  
(٦) سورة الإسراء . آية ٢٠ .  
(٧) سورة النساء . آية ١٤٣ .

أو قوله عز من قائل : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ  
أَجْنَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ <sup>(١)</sup> ﴾ . فانه يقرؤها هكذا : ﴿ إِذْ ... أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْ... أَرْضِ  
وَإِذْ ... أَنْتُمْ ... أَجْنَةً ﴾ .

أو قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَسْكُونَ <sup>(٢)</sup> ﴾ . فانه يقرؤها هكذا :  
﴿ وَجَا ... وَا ... آبَاهُمْ عِشَا ... ءَ يَسْكُونَ ﴾ .

أو قوله جل وعز : ﴿ بَخَاءَتُهُ إِحْدَاهُمَا تَمَشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي  
يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا <sup>(٣)</sup> ﴾ . فانه يقرؤها هكذا : ﴿ بَخَا ... ءَتُهُ  
إِحْدَاهُمَا تَمَشِي عَلَى اسْتِحْيَا ... ءِ قَالَتْ ... إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ .

فانظر أيها المؤمن الى أى حد بلغ تشويه المعنى ، حين يصل القارئ  
الى قوله تعالى : ﴿ عَلَى اسْتِحْيَا ﴾ . وبعد السكت يقول : ﴿ ءِ قَالَتْ ﴾ .  
فيصير كأنه يقول : ﴿ إِنَّ قَالَتْ ﴾ . بنطق « إن » الشرطية .

وإذا قرأ القارئ بنفس هذه الطريقة ، قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى  
إِنِّي أَنَا اللَّهُ <sup>(٤)</sup> ﴾ . فانه يقرؤها هكذا : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ... إِنِّي ... أَنَا اللَّهُ ﴾ .

فانظر الى أى حد بلغ فساد المعنى ؛ حين يسكت عند قوله تعالى :  
﴿ يُوحَى ﴾ . ثم ينطق بقوله : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ . وحين يسكت ثانية ، بعد  
قوله : ﴿ إِنِّي ﴾ . ثم ينطق بقوله تعالى : ﴿ أَنَا اللَّهُ ﴾ .

(١) سورة النجم . آية ٣٢

(٢) سورة يوسف . آية ١٦

(٣) سورة القصص . آية ٢٥

(٤) سورة طه . آية ١٣



أو حين يقرأ قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّا  
نُبَدِّلُكُمْ تَسْؤُكُمْ ) . فانه يقرأها : ( لَا تَسْأَلُوا عَنْ ... أَشْيَاءَ ... إِنَّا  
نُبَدِّلُكُمْ تَسْؤُكُمْ ) .

فانظر الى التحريف البالغ بسبب هذه القراءة ، حيث ينتقل المعنى  
من تقرير حصول الاساءة فعلا في حالة بدو هذه الأشياء المسئول عنها ،  
الى الاستفهام هكذا : ( أَيْنَ تُبَدِّلُكُمْ تَسْؤُكُمْ ) ؟ أى : هل تسؤكم إذا بدت ؟

وانظر أيضا الى القارئ ، حين يقرأ هذه الكلمة : ( وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ ) .  
في قوله تعالى : ( وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) . هكذا : ( وَإِمْمِيَّةٌ ) .  
إدغام الهمز .  
إدغام النون في الميم الأولى ، والألف في الميم الثانية .

وأیضا هذه الكلمة : ( مَنْ آمَنَ ) . في قوله تعالى : ( مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) . فان القارئ يقرأها هكذا : ( مَنْمَانٌ ) . كأنه يقول :  
( منامننا بالله ) . من النوم ، لا من الإيمان .

وانى أتحدثى القراء أنفسهم : أن ينطق أحدهم هذه الألفاظ بمفردها  
مجردة عن باقى الآية بنطقها الصحيح ، أو يفهمها كما هي مرسومة .

وهذه القراءات ، معروفة متواترة . وقد قال بعضهم : بعدم تواترها ؛  
وذلك لأنها عبارة عن كیفیات لأداء القرآن ، وكيفية الأداء لا تنضب .  
من قال بعدم  
تواتر القراءات

- (١) سورة المائدة . آية ١٠١ (٢) سورة فاطر . آية ٢٤  
(٣) وهى قراءة ورش • (٤) سورة المائدة . آية ٦٩  
(٥) وهى قراءة ورش أيضا .

وقال آخرون : بأن المتواتر من القراءات ، هو غير الأداء منها ؛ كالمدا ،  
والتسهيل ؛ لعدم الوقوف على كَيْفِيَّتِهِ <sup>(١)</sup> بالسمع .

من دون القراءات ولم يزل القراء يتداولون القراءات وروايتها ، الى أن كتبت العلوم  
ودوّنت ، فكتبت القراءات فيما كتب من العلوم والفنون ، وصارت  
صناعة مخصوصة ، وعلمها منفردا .

وتناقله الناس بالمشرق والأندلس جيلا بعد جيل ، الى أن ولي شرق  
الأندلس مجاهد من موالى العامريين <sup>(٢)</sup> - وكان معتزيا بفنّ القراءات -  
واختص بعد ذلك بإمارة دانية <sup>(٣)</sup> ، والجزائر الشرقية ، فنفت بها سوق <sup>(٤)</sup>  
القراءة .

أبو عمرو الداني وقد ظهر في عهده : أبو عمرو الداني <sup>(٥)</sup> ، وبلغ الغاية فيها ، ووقفت  
عليه معرفتها ، واتته الى روايته أسانيدها ، وتعددت تأليفه فيها ، وعوّل  
الناس عليها ، وعدلوا عن غيرها .

وقد ألف فيما ألف : كتاب التيسير . وقد كتب أيضا في علم الرسم  
كتبا عدّة . أشهرها : كتابه « المقنع » وأخذ به الناس ، وعوّلوا عليه .  
ونظمه أبو القاسم الشاطبي <sup>(٦)</sup> ، في قصيدته الرائية المشهورة .  
الشاطبي

(١) قال بذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته ؛ عند الكلام في القراءات .

(٢) العامريين : نسبة الى المنصور بن أبي عامر .

(٣) دانية : بلد بالمغرب . (٤) نفتت : راجت .

(٥) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الداني .

(٦) نسبة الى شاطبة : بلد بالمغرب .

ثم ظهر بعد ذلك بأجيال : أبو القاسم بن فيره<sup>(١)</sup> ، فعمد الى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه ، فنظم ذلك كله في قصيدة استوعب فيها فن القراءات استيعابا حسنا ، وعنى الناس بحفظها وتلقينها للولدان ، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس .

وظهر من المتأخرين بالمغرب الخراز<sup>(٢)</sup> ، ونظم أرجوزة أخرى ، زاد فيها على كتاب « المقنع » واختلف معه . واشتهرت هذه الأرجوزة بالمغرب ، واقتصر الناس على حفظها ، وهجروا بها سائر الكتب المتقدمة في هذا الفن .

وأمثال هذا كثير ، وكثير جدًا . وإنه ليضيق صدرى ، ولا ينطلق لسانى ! ولست بقائل إلا ما قاله القراء : من أنها قراءة صحيحة معتمدة .

ونحن إذا سامنا بهذا القول ، فانما نسلم به جدلا . ونقول : إن مثل هذه القراءة — التي تضيع من الألفاظ بهجتها ، وتسلب من الكلمات معانيها وعذوبتها — إذا صح سندها ، وحسنت روايتها ، فلا يصح استعمالها وقراءتها ، فقد مات أهلها ، ومن ينطقون بها .

وإذا كان أهلها على قيد الحياة ، فليس هذا مكانهم ، ولا هذه البلاد أوطانهم .

ولقد أجريت بنفسى أبحاثا خاصة ، لتعرف هذه اللهجات . فعلمت — بعد التحرى الزائد من أصدقاء لى بسوريا ، وفلسطين ، والعراق ،

(١) من علماء الرسم والقراءات . وكان من أهل شاطبة ( إحدى بلاد المغرب ) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم القاسم ، الشهير بالخراز .

ابن فيره

لا يجوز قراءة  
القراءة التي  
مات أهلها

لا أصل  
لهذه اللهجات

وشرق الأردن ، والمدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وغيرها من البلاد -  
بأنه ليس لأهل هذه اللهجات وجود إطلاقا . بل وأنكروا احتمال وجود  
مثل هؤلاء في سابق الأزمان .

جاء عن الإمام ابن الجزرى ما نصه :

ساد بعض  
القراءات لغة

وكم من قراءة أنكراها بعض أهل النحو ، أو كثير منهم . ولم يعتبر  
إنكارهم . كما سلك : (( بَارِئِكُمْ )) و (( يَأْمُرُكُمْ )) وخفض (( وَالْأَرْحَامِ ))  
ونصب (( لِيَجْزَى قَوْمًا )) والفصل بين المضافين في قوله تعالى :  
(( قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ )) . وغير ذلك .  
« انتهى كلام ابن الجزرى »

(١) سورة البقرة . آية ٥٤ ، والذي قرأها أبو عمرو . والقراءة المشهورة « إنكم ظلمتم أنفسكم  
بأنتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم » بكسر الهمزة . وحجة من أسكن الهمز : أنها لغة بني أسد  
وتميم . طلبا للتخفيف ، عند اجتماع ثلاث حركات ثقيل من نوع واحد .

(٢) سورة البقرة . آية ٦٧ ، والذي قرأها أبو عمرو . والقراءة المشهورة « إن الله يأمركم  
أن تذبحوا بقرة » بضم الراء .

(٣) سورة النساء . آية ١ ، والذي قرأها حمزة . والقراءة المشهورة « واتفقوا الله الذي  
تسألون به والأرحام » بفتح الميم .

(٤) سورة الجاثية . آية ١٤ ، والذي قرأها يزيد بن القعقاع . والقراءة المشهورة  
« ليجزى قوما بما كانوا يكسبون » ، ومقتضى العربية في قراءة « ليجزى » بضمير الغائب :  
أن تكون « ليجزى قوم » لا « قوما » .

(٥) سورة الأنعام . آية ١٣٧ ، وهي قراءة ابن عامر . والقراءة المشهورة « وكذلك زين  
لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم ويلبسوا عليهم دينهم » أنظر ما كتبناه عند  
« رأى الإمام الزنجشى في بعض القراءات » .

ويقاس على ما أورده ابن الجزرى قراءة من قرأ : ( وَيُخْرَجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا )<sup>(١)</sup> . وأمثال ذلك كثير .

وكأن ابن الجزرى يريد بقوله هذا : أن القرآن ليس عربياً بجملة وتفصيله . فى حين أن الله تعالى يقول : ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا )<sup>(٢)</sup> .

ونستطيع أن نقول — ونحن آمنون مطمئنون — إن هذه القراءات وأمثالها ليست صحيحة ؛ لمناقاتها اللغة العربية ، ومناقاتها نظم القرآن الكريم . وإن جميع ذلك من خطأ المتلقين فى سماعهم ، أو خطأ الكتّابين فى كتابتهم .

أخرج الحاكم فى مستدركه ، من طريق حمّان بن أعين ، عن أبى الأسود الدؤلى ، عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه . قال : « جَاءَ أُعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ . فَقَالَ : لَسْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ » .

ولكن القراء — أناهم الله — يأبون إلا أن قراءة « نبيء »<sup>(٣)</sup> بالهمز . قراءة صحيحة ، متواترة . يأثم جاحدها ، ويكفر منكها .

وأنا أشهد الله تعالى وملائكته ورسله ؛ أنى بها أول الجاحدين ، ولكلام القراء أول المكذبين ، ولحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم — الذى أنزل عليه القرآن — أول المصدقين .

(١) سورة الإسراء . آية ١٣ ، القراءة المشهورة « ونخرج له يوم القيامة كتابا » ومقتضى العربية فى قراءة « ونخرج » أن تكون « ونخرج له يوم القيامة كتاب » لا « كتابا » .

(٢) سورة يوسف . آية ٢

(٣) قرأ بها نافع بن أبى رويم .

## قراءة بعض الصحابة رضوان الله عليهم

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قرأ من سورة الفاتحة :

قراءة

عمر بن الخطاب

﴿ صِرَاطٌ مِّنْ أُنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّالِّينَ ﴾ .

ومن سورة آل عمران : ﴿ اَلَمْ . اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّمُ ﴾ (٢)

ومن سورة المدثر : ﴿ فِي جَنّٰتٍ يَتَسَاءَلُوْنَ يَا فُلَانُ مَا سَلَكَكَ فِي سَقَرٍ ﴾ (٣)

وروى عن عليّ رضى الله تعالى عنه : أنه قرأ من سورة البقرة :

قراءة عليّ

ابن أبي طالب

﴿ اٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْهِ وَاٰمَنَ الْمُؤْمِنُوْنَ ﴾ .

وروى عن أبيّ بن كعب رضى الله تعالى عنه : أنه قرأ من سورة النساء :

قراءة

أبيّ بن كعب

﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى فَاَنْتُمْ اَجْرُهُنَّ ﴾ .

(١) سورة الفاتحة . آية ٧ ، والقراءة المشهورة « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب

عليهم ولا الضالين » .

(٢) سورة آل عمران . آية ١ و ٢ ، والقراءة المشهورة « الحي القيوم » . والقيام والقيوم :

بمعنى . وهو الذي لا تدله .

(٣) سورة المدثر . آية ٤٠ - ٤٢ ، والقراءة المشهورة « في جنات يتساءلون عن المجرمين

ما سلككم في سقر » .

(٤) سورة البقرة . آية ٢٨٥ ، والقراءة المشهورة « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه

والمؤمنون » .

(٥) سورة النساء . آية ٢٤ ، والقراءة المشهورة « فما استمتعتم به منهن فأنوهن أجورهن »

بغير زيادة : « إلى أجل مسمى » .

ومن سورة البقرة : ( لِلَّذِينَ يُقِيمُونَ <sup>(١)</sup> ) . و ( فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup> ) .  
إِلَّا يَطُوفَ بِهِمَا ) .

ومن سورة المائدة : ( فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ <sup>(٣)</sup> ) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : أنه قرأ من سورة النساء  
قراءة عبد الله  
ابن مسعود ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ نُجْمَةٍ <sup>(٤)</sup> ) .

ومن سورة آل عمران : ( وَأَرْكَمِي وَأَسْجِدِي فِي السَّاجِدِينَ <sup>(٥)</sup> ) .

ومن سورة البقرة : ( مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَثُومِهَا <sup>(٦)</sup> ) .

وقرأ أيضا من سورة البقرة : ( وَتَزَوَّدُوا وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى <sup>(٧)</sup> ) .

و ( لِأَجْنَحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ فَابْتَغُوا حَيْثُ <sup>(٨)</sup> ) .

(١) سورة البقرة . آية ٢٢٦ ، والقراءة المشهورة « للذين يؤلون » والإيلاء بمعنى القسم :  
آل ، وائتلى ، وتأل : أقسم .

(٢) سورة البقرة . آية ١٥٨ ، والقراءة المشهورة « فلا جناح عليه أن يطوف بهما »  
وهي في معناها بتقدير « لا » كقراءة أبي بن كعب .

(٣) سورة المائدة . آية ٨٩ ، والقراءة المشهورة « فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم » .

(٤) سورة النساء . آية ٤٠ ، والقراءة المشهورة « إن الله لا يظلم مثقال ذرة » والذرة :  
الخملة الصغيرة ، أو هي دابة أصغر منها . ولعل المقصود : الهباء المنتثر في الهواء .

(٥) سورة آل عمران . آية ٤٣ ، والقراءة المشهورة « واسجدى واركمى مع الراكعين » .

(٦) سورة البقرة . آية ٦١ ، والقراءة المشهورة « وفومها » مكان « وثومها » والفوم : الثوم .

(٧) سورة البقرة . آية ١٩٧ ، والقراءة المشهورة « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » .

(٨) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا

من ربكم » . بدون هذه الزيادة .

و﴿ أَمْيُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ ﴾<sup>(١)</sup> . و﴿ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> . و﴿ مَا نُنسِكُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومن سورة المائدة : ﴿ بَلْ يَدَاهُ بَسِطَانِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومن سورة التوبة : ﴿ قُلْ أَدْنُ خَيْرٍ وَرَحْمَةٌ لَكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup> .

ومن سورة يونس : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ يَكُمُ ﴾<sup>(٦)</sup> .

ومن سورة مريم : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَالَ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

ومن سورة العصر : ﴿ وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، وَإِنَّهُ فِيهِ إِلَى

آخِرِ الدَّهْرِ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾<sup>(٨)</sup> .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، أنه قرأ من سورة البقرة :

قراءة ابن عباس

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾<sup>(٩)</sup> . وكان يقول : لا تقولوا ﴿ بِمِثْلِ ﴾

(١) سورة البقرة . آية ١٩٦ ، والقراءة المشهورة « وأموا الحج والعمرة لله » .

(٢) سورة البقرة . آية ١٤٤ ، والقراءة المشهورة « وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

وشطره ، وقبله : بمعنى .

(٣) من النسيان .

(٤) سورة البقرة . آية ١٠٦ ، والقراءة المشهورة « ما نسخ من آية أو نسأ » .

(٥) سورة المائدة . آية ٦٤ ، والقراءة المشهورة « بل يداه مبسوطان » .

(٦) سورة التوبة . آية ٦١ ، والقراءة المشهورة « قل أدن خير لكم » .

(٧) سورة يونس . آية ٢٢ ، والقراءة المشهورة « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم » .

(٨) سورة مريم . آية ٣٤ ، والقراءة المشهورة « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق » ،

ويمترون : يجادلون .

(٩) سورة العصر . آية ١ - ٣ ، والقراءة المشهورة « والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ،

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

(١٠) سورة البقرة . آية ١٣٧ ، والقراءة المشهورة « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » .



فإن الله تعالى ليس له مثل . قولوا : ( فَإِنِ آمَنُوا بِالَّذِي آمَنُمُ بِهِ )  
أو ( بِمَا آمَنُمُ بِهِ ) .

وقرأ أيضا من سورة البقرة : ( فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لَّا يَطُوفَ بِهِمَا ) .  
(٢) و ( أَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ ) . و ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا  
مِّن رَّبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ ) . و ( حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى  
وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ) .

ومن سورة آل عمران : ( وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ) . و ( إِنَّمَا ذَلِكُمُ  
الشَّيْطَانُ يَخُوفُكُمُ أَوْلِيَاءَهُ ) .

ومن سورة النساء : ( فَآسْتَمْتِعْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) .  
و ( طَيِّبَاتٍ كَانَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ ) .

(١) يؤخذ من ذلك : أنه رضى الله تعالى عنه ، كان يجيز القراءة بالمعنى . وهو مذهب  
بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . انظر ما كتبناه عند فصل « من قرأ القرآن بالمعنى »  
و « عدم جواز قراءته بالمعنى » .

وقدره ابن أبي داود على هذا : بأن التعبير بالمثل جائز سائق في لغة العرب . وقد جاء بها  
الكتاب الكريم في قوله تعالى : « ليس كمثلته شئ » .

(٢) سورة البقرة . آية ١٥٨ ، والقراءة المشهورة « فلا جناح عليه أن يطوف بهما »  
وهي في معناها بتقدير « لا » كقراءة ابن عباس ، وأبي بن كعب .

(٣) سورة البقرة . آية ١٩٦ ، والقراءة المشهورة « وأتموا الحج والعمرة لله » .

(٤) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « في مواسم الحج » .

(٥) سورة البقرة . آية ٢٣٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « وصلاة العصر » .

(٦) سورة آل عمران . آية ١٥٩ ، والقراءة المشهورة « وشاورهم في الأمر » .

(٧) سورة آل عمران . آية ١٧٥ ، والقراءة المشهورة « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » .

(٨) سورة النساء . آية ٢٤ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « إلى أجل مسمى » .

(٩) سورة النساء . آية ١٦٠ ، والقراءة المشهورة « طيبات أحلت لهم » بغير « كانت » .

- ومن سورة يس : ( يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ )<sup>(١)</sup> .  
ومن سورة النصر : ( إِذَا جَاءَ فَتْحُ اللَّهِ وَالنَّصْرُ )<sup>(٢)</sup> .

قراءة ابن الزبير وجاء عن عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما : أنه قرأ من سورة

البقرة : ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ )<sup>(٣)</sup> .

ومن سورة آل عمران : ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا آصَابَهُمْ )<sup>(٤)</sup> .

ومن سورة المائدة : ( فَيُصْبِحُ الْقَسَاقُ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ )<sup>(٥)</sup> .

ومن سورة الفاتحة : ( صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ )<sup>(٦)</sup> .

وهذه القراءات التي قدمناها في هذا الباب ثابتة في مصاحف أصحابها،

مصاحف

بعض الصحابة

ومتنقولة عنها .

وقد وجد اختلاف يسير ، في مصاحف أئمة من مصاحف الصحابة

رضوان الله تعالى عليهم ؛ كمصحف عبد الله بن عمرو ، ومصحف

أم المؤمنين عائشة ، ومصحف حفصة ، ومصحف أم سلمة .

(١) سورة يس . آية ٣٠ ، والقراءة المشهورة « يا حسرة على العباد » .

(٢) سورة النصر . آية ١ ، والقراءة المشهورة « إذا جاء نصر الله والفتح » .

(٣) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « في مواسم الحج » .

(٤) سورة آل عمران . آية ١٠٤ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « ويستعينون بالله على

ما أصابهم » .

(٥) سورة المائدة . آية ٥٢ ، والقراءة المشهورة « فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم

نادمين » .

(٦) سورة الفاتحة . آية ٧ ، والقراءة المشهورة « صراط الذين أنعمت عليهم » .

وكذا مصاحف التابعين رضی الله تعالى عنهم ؛ فقد جاء فيها ما لا يخرج مصاحف التابعين عما قدمناه في مصاحف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقراءاتهم . وقد اكتفينا بما ذكرناه عن إيراد باقيه ؛ لضيق المقام .

وقد ذهب بعضهم إلى أن أغلب ما وجد من الخلاف ؛ إنما هو من الزيادة في المصاحف تفسير لبعض الكلمات وضع بعض كلمات بين الأسطر ، تفسيراً لما في المصحف - فظنها القارئ من جنس القرآن خطأ - وليست من القرآن .

وهذا القول لا بأس به فيما كان زائداً على الكلمات . أما الكلمة التي أبدلت بكلمة أخرى من معناها ؛ فهي - ولا شك - قراءة أخرى ، وليست بتفسير .

وقد تنوّل تفسير بعض القرآن الكريم عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وتداول ذلك التابعون من بعدهم ، ونقل ذلك عنهم ، ولم يزل ذلك متناقلاً في الصدر الأول ، حتى صارت المعارف علوماً ، ودوّنت الكتب . فكتب الكثير من ذلك ، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين . واتهى جميع ذلك إلى أئمة التفسير . أمثال : الطبري ، والواقدي ، والثعالبي ، وأضرابهم . فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه . وقد جمع المتقدمون في ذلك الشيء الكثير . إلا أن كتبهم اشتملت على الغث والسمين ، والمقبول والمردود<sup>(١)</sup> .

(١) وهذا واضح في شتى كتب التفسير من إيرادهم لقصص اليهود وإفكهم : كقصة زينب بنت جحش ، وقصة داود عليه السلام ، والفرانيق ، وأمثال ذلك مما يكاد إجماعهم أن يتعقد عليه رغم ظهور بطلانه . وذلك للأسباب التي ذكرناها ، والتي أشار إليها العلامة ابن خلدون عند الكلام في التفسير .

وسبب هذا : أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ، ولا علم . وإنما غلبت عليهم البسادة والامية . فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تنوق إلى معرفته النفوس البشرية ، في أسباب المكنونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ؛ فإنهم يسألون عنه أهل الكتاب . ويستفيدونه منهم ( وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى ) وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ كانوا من أهل البادية أمثالهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب . ومعظمهم من حمير ، الذين كانوا على دين اليهودية<sup>(١)</sup> ، فلما أسلموا ؛ بقوا على ما كان عندهم من الأكاذيب والأباطيل ، فامتلات كتب التفاسير مما نقل عنهم ، وتساهل في أخذه المفسرون . عدا بعض أئمة التفسير والعربية : كالإمام القرطبي ، فإنه قد ألف تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » فلم يدقن به ما أخذ من اليهود ، ودقونه المفسرون في كتبهم ( وهذا الكتاب من أجل كتب التفسير ) والإمام الزمخشري في تفسيره « الكشاف » غير أن بعض من تسموا بأهل السنة ، يأخذ عليه الاعتزال في العقائد ، وفي قولهم نظر .

سبب تهرب الخطأ  
إلى التفسير

كتب التفسير  
الصحيحة

ولسنا الآن بسبيل مخالفته أو تأييده . وكل ما نستطيع أن نقوله : إن هذا التفسير انتهى إليه ضروب البلاغة والإعجاز ، وقد أحاط بكل ما يراد معرفته من فنون اللغة وآدابها . وقد نقله بأحرفه الإمام النسفي ، وأدعى تأليفه ، بعد أن أسقط منه ما ادعوه من الاعتزال .

(١) وهم : كتب الأخبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم .

من قرأ القرآن  
بالمعنى

وروى ورقاء ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي  
ابن كعب ، أنه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ  
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> :

﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا آمَهُلُونَا ﴾ ، ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا آخَرُونَا ﴾ ، ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا  
أَرْقَبُونَا ﴾ .

وكان يقرأ قوله تعالى : ﴿ كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهَا ﴾<sup>(٢)</sup> :

﴿ مَرَّوًا فِيهَا ﴾ ، ﴿ سَعَوْا فِيهَا ﴾ .

قال الطحاوي في ذلك :

إنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات . وذلك  
لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش ، وقراءة رسول الله  
صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لعدم علمهم بالكتابة والضبط ، وإتقان الحفظ .  
وهذه الرخصة كانت في أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر ، وتيسر  
الحفظ ، وكثرة الضبط ، وتعلم الكتابة .

شذوذ هذه  
القراءات

وقد انعقد إجماع القراء على أن هذه القراءات المتقدمة شاذة ، ولا تصح  
تلاوتها لعدم تواترها ، وهذا بالرغم من ورودها في أمهات كتب الحديث  
الصحيحة المعتمدة .

(١) سورة الحديد . آية ١٣

(٢) سورة البقرة . آية ٢٠

(٣) أنظر ما كتبه عند فصل « نزول القرآن على سبعة أحرف » .

وهذه القراءات مهما تنوزع فيها ، وقيل بشأنها ؛ فإنها لا تختلف في الحدود ، ولا الفرائض ، ولا شيء من شرائع الإسلام - قل أو أكثر - بل هي مما اقتضته الفطرة اللغوية ، واختلاف اللهجات والألسن ؛ مما قام وقت نزول القرآن ، ولم تعد للناس به حاجة ، خصوصا بعد إجماع عثمان وسائر الصحابة على تركه .

القراءات لم تختلف في التشريع

وقد اشتهر من القراء في صدر الإسلام سبعة . وهم : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري . وعنهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين . ومن عجب أن للقراءات الشاذة أئمة عرّف بهم التاريخ والمؤلفون ؛ فهناك ابن سَنَبُودَ المتوفى سنة ٣٢٨ ، وكان رجلا كثير اللحن ، قليل العلم ، في سلامة وحمق وغفلة ؛ فكان من أشهر قراء الشواذ .

القراء في صدر الإسلام

أئمة قراء الشواذ

ثم أخذ في سبيله أبو بكر العطار النحوي المتوفى سنة ٣٥٤ ، وكان من أئمة نحاة الكوفيين ، ومن أعرف الناس بالقراءات ، وإنما أفسد عليه أمره أنه من نحاة الكوفيين . يخالف الإجماع ، واستخرج لقراءته وجوها من اللغة والمعاني ما أنزل الله بها من سلطان .

فمن ذلك قراءته في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾<sup>(٢)</sup> ، فإنه قرأها ﴿ نُجْبًا ﴾ ، فأزال بذلك الآية عن أحسن وجوه البيان العربي . وقد انفرد في سائر قراءته ؛ كعادة الكوفيين في الرواية .

(١) أى أنه كان يعتقد صحة ما يقرأه ؛ رغم بطلانه عقلا ونقلا .

(٢) سورة يوسف . آية ٨٠ .

هذا وقد أورد ابن النديم في كتابه « الفهرست » أسماء كثيرة من أهل الشواذ في كثير من الأمصار .

من قرأ القرآن  
بالمعنى متعمدا

وقد أجاز بعض المتقدمين قراءة القرآن بالمعنى ، لمن لا يحسن القراءة ؛  
ويسىء فهم بعض الكلمات .

فمن ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ؛ أنه كان  
يأقن أعرابيا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوِمِ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴾<sup>(١)</sup> . فكان الأعرابي  
يقول : ﴿ طَعَامُ الْيَيْمِ ﴾ . فلما رأى عمر منه عدم استطاعة النطق بلفظ :  
﴿ الْأَيْمِ ﴾ . قال له : ﴿ طَعَامُ الْفَاجِرِ ﴾ . فقرأها الأعرابي : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوِمِ  
طَعَامُ الْفَاجِرِ ﴾ . على معنى أن الفاجر هو الأيم ، والأيم هو الفاجر .

عدم جواز  
القراءة بالمعنى

ولسنا في هذا المقام ندعو الى قراءة القرآن بالمعنى ؛ فقراءته يجب أن  
تكون بالفاظه وحروفه التي نزل بها . ولكنا نريد أن نثبت أن القراء أبعاد  
الناس عن فهم القرآن ، وأنهم يتعسفون كل التعسف ، ويخطئون كل الخطأ ،  
ويأثمون كل الإثم ؛ بتضييقهم على عباد الله ، وبتصعيبهم كلام الله ، وجعله  
مقيدا بقيود ثقيلة ، مشروطا بشروط مرهقة ما أنزل الله بها من سلطان .

جهل القراء

قد يقول بعض القراء : إن الذى حدا بك الى ما تقول ؛ هو جهلك  
بما تعلمه ، والإنسان بطبعه عدو لما يجهل .

وجوابى على هذا : أننى — بفضل الله تعالى — قد علمت ما تعلمون ،  
وفوق ما تعلمون ، ودرست ما درستوه ، وفوق ما تدرسون . ولكنكم

(١) سورة الدخان . آية ٤٣ و ٤٤

أتم الذين تجهلون ما أقول ولا تفهمونه ، فأتهم الأعداء لما تجهلون  
وما تعلمون .

ويعلم الله تعالى والعقلاء أن القرآن الكريم ما نزل لتلقاه عنكم ،  
وناخذه منكم . بل لناخذه عن أنزل إليه ، وكما أنزل إليه .

ولعلمكم تقولون : هكذا أنزل ، وهكذا البينا وصل ، فهو كما نتلوه عليكم  
بحركاته وسكاته ، لا كما تقول أنت من التفريط والمساهلة .

وجوابي على هذا أيضا : أني لا أطلب إلا بقراءته كما أراد منزله تعالى ،  
وهو القائل : ﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾<sup>(١)</sup> . وكما أراد من  
نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكما تنطق العرب بلهجاتها ولغاتها . وهم  
ينكرون الكثير مما تدعونه من القراءات ، كما بينا ونبين .

قال الإمام الزمخشري في تفسيره « الكشاف » عند قوله تعالى :  
﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> :

رأى الزمخشري  
في بعض القراءات

وأما قراءة ابن عامر : ﴿ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ برفع القتل ، ونصب  
الأولاد ، وجر الشركاء ؛ على إضافة القتل الى الشركاء ، والفصل بينهما بغير  
الظرف ؛ فشيء لو كان في مكان الضرورات — وهو الشعر — لكان سمحا  
مردودا ؛ كما سمح ورد :

\* زَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ \*

(١) سورة القمر . آية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام . آية ١٣٧ .



فكيف به في الكلام المشور ، فكيف به في القرآن ، المعجز بحسن نظمه وجزالته .

والذي حمّله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف : ( شُرَكَائِهِمْ ) مكتوباً بالياء<sup>(١)</sup> . ولو قرأ بجزّ الأولاد والشركاء - لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم - لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب .

وقال الإمام الزمخشري أيضاً في تفسيره ، عند قوله تعالى : ( فَيَغْفِرُ<sup>(٢)</sup> لِمَنْ يَشَاءُ ) :

ومدغم الراء في اللام : ( فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ) لَاحِنٌ ، مخطئ خطأ فاحشاً ، وراويّه عن أبي عمرو ، مخطئ مرتين : لأنه يلحن ، وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهد عظيم .

والسبب في نحو هذه الروايات : قلة ضبط الرواة . والسبب في قلة الضبط : قلة الدراية .

« انتهى كلام الزمخشري بلفظه » .

والذي نستخلصه من كلام الإمام الزمخشري رضي الله تعالى عنه : أن من القراءات المعتمدة ، التي بلغت مبلغ التواتر والصحة ، ما هو خارج عن المعقول ، وغير جائز لغة . بل وباطل سمح مردود .

ويؤخذ منه أيضاً : أن الرسم الأول ، كان سبباً في خطأ ابن عامر . وهو أحد القراء السبعة ، المشهود لهم بالحفظ والدقة والدراية ، ومعرفة العربية .

(١) أي أن الذي حمل ابن عامر على الوقوع في هذا الخطأ هو انحراف الرسم ، وكتابة لفظ « شركائهم » بالياء ، وأمثال ذلك كثير في المصحف .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٨٤

فكيف بنا الآن بعامة هذه الأمة في هذا العصر ، حين نكلفهم بأخذ القرآن عن هذا الرسم العقيم ، وبهذا الإملاء السقيم ، وبهذه القراءات الفاسدة المتناقضة .

وقد قال الأخفش - وهو من كبار أئمة العربية - حين سمع قراءة أبي عمرو لقوله تعالى : ﴿ فَرِهَانَ مِقْبُوْضَةٍ ﴾ <sup>سورة قمر</sup> بإسكان الهاء : إنها قبيحة شاذة . كما أنكرها كثير من فضلاء المتقدمين .

انكار الأخفش لإحدى القراءات

وقد علمت مما سبق أننا أن عثمان رضي الله تعالى عنه ؛ لم يكتب المصحف إلا خشية الاختلاف في القراءات ، والتغالي فيها ، وتفضيل إحداها على الأخرى .

وجوب اتباع قراءة قریش

لذا وجب علينا اتباع القراءة التي كتب عليها المصحف لا غير . وهي القراءة التي تتفق ولغة قریش - التي نزل بها القرآن الكريم - حيث قال عثمان رضي الله تعالى عنه لمن انتدبهم لكتابة المصحف ، من أجلاء القراء ، وكتابة الوحي : إذا اختلفتم في شيء فردوه الى لغة قریش ، فإنما نزل القرآن بلسانها .

وعثمان رضي الله تعالى عنه ، لم يجمع القرآن الكريم ؛ لغرض جمعه بعد أن كان مفرقا ؛ بل بقصد جمع الناس على قراءة واحدة .  
وإنما جمعه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

لم يجمع عثمان القرآن إلا لتوحيد القراءة

(١) سورة البقرة . آية ٢٨٣ ، والقراءة المشهورة : « فرهان مقبوضة » .

(٢) أنظر ما كتبناه في « جمع القرآن في زمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه » .

قال الحارث المحاسبى : المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان ،  
وليس كذلك ؛ إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد ، على اختيار  
وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار ، لما خشى الفتنة عند  
اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات <sup>(١)</sup> .

فأما قبل ذلك ؛ فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات ،  
على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن .

فأما السابق إلى جمع الجملة ؛ فهو الصديق رضى الله تعالى عنه .

وقد قال على كرم الله وجهه : لو وليت ؛ لعملت بالمصاحف الذى  
عمل بها عثمان <sup>(٢)</sup> .

من أين بدأ  
الاختلاف  
في القراءات

ويرجع تاريخ الاختلاف في القراءات ، إلى زمن الصحابة رضوان الله  
تعالى عليهم ، وهو الذى حدا بعثمان رضى الله تعالى عنه إلى كتابة مصحفه ،  
وجمع الناس على قراءة واحدة .

إجماع الصحابة  
على قراءة واحدة

وقد أخرج ابن أبى داود - بسند صحيح - عن سويد بن غفلة ، قال :  
قال على رضى الله تعالى عنه : لا تقولوا في عثمان إلا خيرا ، فوالله ما فعل  
الذى فعل في المصاحف ، إلا عن ملامنا . قال : ما تقولون في هذه القراءة ؟  
فقد بلغنى أن بعضهم يقول : إن قرأتى خيراً من قرأتك . وهذا يكاد يكون

(١) أنظر ما كتبناه في « اختلاف الناس في القراءات » .

(٢) أى : لو وليت الخلافة ؛ لعملت في المصاحف مثل عمل عثمان بها ، من توحيد

القراءة ، وجمع الناس عليها ، ورفض ما عداها .

كفرا . قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد ،  
فلا تكون فرقة ولا اختلاف . قلنا : فنعيم ما رأيت !

ولسنا نحن بأفضل من عثمان ، ولا بأعلم منه ، ولن يسعنا — وقد بلغ  
الاختلاف في القراءات الآن حدًا لا مزيد عليه — إلا ما وسع عثمان رضى الله  
تعالى عنه ، في الدعوة إلى جمع الناس على قراءة واحدة ، وفي مصحف واحد .

وجوب الدعوة  
الى قراءة واحدة

وقد قال كثير من أئمة المحدثين بأن جمع أبي بكر رضى الله تعالى عنه  
للمصحف ؛ إنما كان خشية أن يذهب من القرآن شيء يذهب بحفظه ،  
لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد ، بل كان متفرقا ؛ فجمعه في صحائف ،  
ورتب آياته وسوره ، على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم .

سبب جمع أبي بكر  
للمصحف

أما جمع عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلم يكن إلا لكثرة اختلافهم  
في وجوه القراءة ، حتى أنهم قرأوه بسائر لغاتهم ، على اتساع تلك اللغات ؛  
فأدى ذلك إلى اختلافهم ، وتخطئة بعضهم بعضا ، فلما خشى عثمان تفاقم  
الأمر ، واختلافهم على الكتاب المجيد ، كما اختلفت اليهود والنصارى  
على كتبهم جمع المصحف مقتصرًا على لغة قريش ، محتجا بأنه قد نزل  
بلغتهم ، وإن كان قد وسَّع في قراءته بلغة غيرهم ، دفعا للحرج والمشقة  
في ابتداء الأمر .

سبب جمع عثمان  
للمصحف

وقد رأى عثمان أن الحاجة لتلك التوسعة قد انتهت ، ولم تعد فائدة  
في بقائها ، ولم ييسق إلا ما خلفته من ضرر محقق ، وهو الاختلاف ؛  
فاقتصر على لغة واحدة .

وليس لإنسان ، كائنا من كان ، أن يضرب برأى عثمان بن عفان  
عرض الحائط — وهو من أجلاء الصحابة ، وأحد الخلفاء الراشدين ،  
الواجب الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم — وينادى بوجوب قراءة القرآن  
بالقراءات المختلفة ، واللغات المتباينة ، واللهجات التي بادت قبائلها ، ولم  
يوجد منها متكلم ، وليس لها سامع ولا فاهم .

قد يقول قائل : إن عثمان رضي الله تعالى عنه قد كتب المصحف  
برسم وهجاء ، يحتمل الكثير من القراءات المعتمدة المتواترة .

زعم القراء بأن  
اختلاف رسم  
المصحف لأوجه  
القراءات

وجوابنا على هذا : أن سبب كتابة عثمان للمصحف ، هو رغبته في توحيد  
القراءة لاختلاف المسلمين فيها ، وخشية تطاول هذا الاختلاف ، فيكون  
كاختلاف اليهود والنصارى .

فلا يعقل أن يهرب من اختلاف القراءات ، الى اختلاف أشد منه  
في القراءات . وإذا قلنا بذلك ، فما معنى تصريحه الكاتب المصحف بأنهم  
إذا اختلفوا في شيء فليردوه الى لغة قريش ؟

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه الى أنه رضي الله تعالى عنه  
أحرق ما عدا ذلك من المصحف المدون بها اختلاف القراءات . وعلى هذا  
أجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وكانوا زهاء اثني عشر ألفا .

وقد كان القرآن الكريم مجموعا من عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه  
— كما قدمنا — ولا حاجة لإعادة جمعه من جديد . بل الذي فعله عثمان هو  
توحيد القراءة فقط ، وإيجاب قراءة واحدة بلغة قريش .

قد يقول بعض القراء : إن القراءات نفسها داخلة في لغة قريش .  
وجوابنا على هذا : قد يكون ما يقولونه حقا ، إلا أن ثمة اختلاف  
في القراءات بين قريش نفسها ، على عهد عثمان رضي الله تعالى عنه ، وقد  
سعى لإزالة أسباب هذا الاختلاف ، بتوحيد القراءة ، بموافقة جل الصحابة  
رضوان الله تعالى عليهم ، كما بينا .

والذي حدا ببعض القراء إلى قراءة ما يقرأونه ، هو اختلاف رسم  
المصحف .

فقد التبس على بعضهم رسم بعض الكلمات بالياء ، مكان الألف ،  
كقوله تعالى : ( مَجْرِيهَا ) و ( مُوسَى ) و ( يَحْيَى ) و ( الضُّحَى ) و ( سَبْحَى )  
و ( قَلَى ) و ( يَغْشَى ) و ( تَجَلَّى ) و ( الْأَشْقَى ) و ( الْكُبْرَى ) و ( ضُحَاهَا )  
و ( تَلَاهَا ) . وأمثال ذلك . فأراد أن يتوسط بين الألف والياء ، فأمال ،  
واتبعه الكوفيون .

اختلاف رسم  
المصحف أدى  
إلى اختلاف القراء .

الإمالة

وأخرج ابن أشتة عن أبي حاتم ، قال : احتج الكوفيون في الإمالة  
بأنهم وجدوا في المصحف : الياءات في موضع الألفات ، فاتبعوا الخط  
وأمالوا ، ليقتربوا من الياءات .

- (١) جميع هذه الكلمات ترسم إملاء بالياء ، وتنطق بالألف . ولعل القارئ الذي قرأ بالإمالة  
غاب عنه ذلك ، فأمال كل ما هو مرسوم بالياء ، منطوق بالألف .  
(٢) هكذا رسمت في المصحف . وصحتها في الإملاء : « ضحاها وتلاها » .  
(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وغيرهما .

أما من قال من القراء بأن الفتح لغة أهل المجاز ، والامالة لغة أهل نجد ؛ فهو غير صادق في دعواه . وها هي نجد تنطق بالفتح ، وليس فيها من يميل مطلقا ، وهكذا تلقوا لغتهم عن آبائهم وأصولهم .

رأى الزركشى في  
القرآن والقراءات

قال الإمام الزركشى في كتابه « البرهان » :

القرآن والقراءات : حقيقتان متغايرتان . فالقرآن : هو الوحي المنزل على عهد صلى الله تعالى عليه وسلم ، للبيان والإعجاز .  
والقراءات : اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها ؛ من تخفيف وتشديد وغيرهما .

تواتر القراءات  
السبع

والقراءات السبع متواترة عند الجمهور . وقيل : بل مشهورة . والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة<sup>(١)</sup> .

أما تواترها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه نظر .

« انتهى كلام الزركشى »

وقول الزركشى : ان تواتر القراءات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه نظر . دليل على أن القراءات متواترة من أصحابها إلينا فقط .

أما تواترها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إليهم ؛ فهو ما لا يوافق عليه ، ولا يقتره ، أو هو على الأقل موضع شك ، وبحث ، ونظر .

القراءات لا يجوز  
قراءتها على غير  
أهلها .

وليس فيما قدمنا منقصة ، أو طعن في القراءات الصحيحة الثابتة ، فحاشا أن ننكر ما أجمعت عليه الأمة .

(١) يعنى بهم القراء السبعة .

إلا أن القراءات: إذا صح بعضها، بالإجماع عليها، وتواتر روايتها، وجاز تلقيها وعلمها وحفظها؛ فإنه لا يجوز أن تقرأ على غير أهلها—وأين هم؟— إذ ليس من الحكمة في شيء، أن نجعل ما أنزله الله تعالى للتيسير على عباده؛ سبباً في التعسير عليهم .

وقد قال أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتابه «الإبانة»: ومنع عثمان رضي الله تعالى عنه القراءة بما خالف خط المصحف، وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين، وكان المصحف قد كتب بلغة قريش، وعلى حرف واحد، ليزول الاختلاف بين المسلمين .

منع القراءة بما  
يخالف خط  
المصحف



## نزول القرآن على سبعة أحرف

روى البخارى فى صحيحه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ،  
أنه قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ فى صلاته سورة الفرقان ، فاستمعت  
لقراءته ، فإذا هو يقرأ قراءة لم يقرئها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ،  
فكدت أساوره فى الصلاة <sup>(١)</sup> . فصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه ، وقلت :  
من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرئها رسول الله صلى  
الله تعالى عليه وسلم . فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه  
وسلم قد أقرئها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله  
تعالى عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان  
على حروف لم تقرئها . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أرسله <sup>(٢)</sup> .  
وقال له : اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ . فقال رسول الله  
صلى الله تعالى عليه وسلم : كذلك أنزلت . ثم قال لى : اقرأ يا عمر . فقرأت  
القراءة التى أقرأني . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : كذلك  
أنزلت « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَاقْرَأُوا مَا تيسرَ مِنْهُ » .

(١) أساوره : أى أخذ برأسه .

(٢) فلببته بردائه : أى جمعت ثوبه عند عنقه . كما يفعل الناس بأعدائهم عند الخصومة .

والمعنى : أنه خنقه بثوبه ، حنقا وغيظا .

(٣) أرسله : أى أتركه . ودع إمسالك بخناقه .

قال أبو عبيد : معنى « أُزِيلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » : أى أنزل على  
سبع لغات ، لسبع قبائل . وهم : قريش ، وكنانة ، وأسد ، وهذيل ،  
وبنو تميم ، وضبة ، وقيس .

رأى أبو عبيد في  
نزول القرآن على  
سبعة أحرف

وهم الذين اتهمت إليهم الفصاحة ، وسلمت لغاتهم من الدخيل بسبب  
مخالطة الأعاجم .

وقال الإمام الكرمانى فى شرحه على البخارى ، عند ذكر هذا الحديث :  
وسبعة أحرف : أى لغات . وقيل : الحرف الإعراب . يقال :

رأى الكرمانى  
فى ذلك

فلان يقرأ بحرف عاصم . أى بالوجه الذى اختاره من الإعراب . وقال  
الأكثر : هو حصر فى السبعة . وقيل : هو فى صورة التلاوة من إدغام ،  
وإظهار ، ونحوهما . ليقرا كل بما يوافق لغته ؛ فلا يكلف القرشى : الهمز .  
ولا الأسدى : فتح حرف المضارعة . وقيل : بل السبعة كلها لمضر وحدها .  
« انتهى كلام الكرمانى » :

وقال القاضى عياض : هى توسعة ، وتسهيل ، لم يقصد به الحصر .

رأى القاضى عياض

وقال ابن قتيبة : قد تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءات ، فوجدتها

رأى ابن قتيبة

سبعة أحرف :

أولها : الاختلاف فى إعراب الكلمة ، وفى حركات بنائها ؛ بما  
لا يزيلها عن صورتها فى الكتابة ، ولا يغير معناها .

اختلاف القراءة  
بغير تغيير معناها  
وبقاء صورة الكتابة

نحو قوله تعالى : ( هُوَ لَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ )<sup>(١)</sup> و ( أَطْهَرُ لَكُمْ )<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة هود . آية ٧٨ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٢) وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وغيرهما .

و ( هَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ ) و ( هَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ) . و ( يَأْمُرُونَ  
النَّاسَ بِالْبَخْلِ ) و ( بِالْبَخْلِ ) . و ( نَظَرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ) و ( إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ) .

والوجه الثاني : أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة ، وحركات  
بنائها ، بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة :

نحو قوله تعالى : ( رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ) و ( رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ  
أَسْفَارِنَا ) . و ( إِذْ تَلَقَوْهُ بِاللَّيْلِ ) و ( تَلَقَوْهُ ) . و ( ادَّكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ )  
و ( بَعْدَ أُمَّةٍ ) .

- ( ١ ) سورة سبأ . آية ١٧ ، وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وغيرهما .
- ( ٢ ) وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- ( ٣ ) سورة النساء . آية ٣٧ ، وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- ( ٤ ) وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، وخلف .
- ( ٥ ) سورة البقرة . آية ٢٨٠ ، وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- ( ٦ ) وهي قراءة نافع .
- ( ٧ ) سورة سبأ . آية ١٩ بصيغة الطلب والدعاء . وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- ( ٨ ) بصيغة الماضي . وهي قراءة يعقوب . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وهشام « بعد »  
بتشديد العين المكسورة ، من التباعد .
- ( ٩ ) سورة النور . آية ١٥ ، وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- ( ١٠ ) لوق : بفتح اللام . يلق بكسرهما : أسرع . و « إذ تلقونه بالسنتم » بكسر اللام أي :  
تسرعون في قرأته بالسنتم . وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء .
- ( ١١ ) سورة يوسف . آية ٤٥ ، وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- ( ١٢ ) الأمة : بفتح الألف والميم : النسيان . وهي قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ،  
وهي شاذة لم يقرأ بها أحد .

اختلاف القراءة  
مع تفسير المعنى  
وبقاء صورة الكتابة

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة، دون إعرابها،  
بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها :  
نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا <sup>(١)</sup> ﴾ و ﴿ نُنشِرُهَا <sup>(٢)</sup> ﴾ .  
وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ <sup>(٣)</sup> ﴾ و ﴿ فُرِغَ عَن قُلُوبِهِمْ <sup>(٤)</sup> ﴾ .

اختلاف القراءة  
مع تفسير المعنى  
والحروف وبقاء  
صورة الكتابة

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها  
في الكتابة، ولا يغير معناها :  
نحو قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً <sup>(٥)</sup> ﴾ و ﴿ زَقِيَّةً وَاحِدَةً <sup>(٦)</sup> ﴾  
و ﴿ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ <sup>(٧)</sup> ﴾ و ﴿ كَالْعِهْنِ <sup>(٨)</sup> ﴾ .

اختلاف القراءة  
بتغيير صورة الكتابة  
وعدم تغيير المعنى

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها :  
نحو قوله عز وجله : ﴿ وَطَلَعِ مَنضُودٍ <sup>(٩)</sup> ﴾ في موضع ﴿ طَلَحِ مَنضُودٍ <sup>(١٠)</sup> ﴾ .

اختلاف القراءة  
بتغيير المعنى  
وصورة الكتابة

- ( ١ ) سورة البقرة . آية ٢٥٩ ، و « نشرها » أى : نحيا . وهى قراءة ابن عباس رضى  
الله تعالى عنهما . و « أنشره » الله تعالى : أحياء . ومنه قوله تعالى : « ثم إذا شاء أنشره » .  
( ٢ ) « النثر » بسكون الشين : المكان المرتفع . و « إنشاز » عظام الميت : رفعها إلى  
مواضعها ، وتركيب بعضها على بعض . وهى القراءة المشهورة « حفص » .  
( ٣ ) سورة سبأ . آية ٢٣ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .  
( ٤ ) وهى قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد .  
( ٥ ) سورة يس . آية ٢٩ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .  
( ٦ ) « زقية » : أى صيحة . وهى قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد من القراء .  
( ٧ ) سورة القارعة . آية ٥ ، وهى قراءة شاذة .  
( ٨ ) « العهن » : الصوف . وهى القراءة المشهورة « حفص » .  
( ٩ ) سورة الواقعة . آية ٢٩ ، « والطلع » : ما يطلع من النخلة ، ثم يصير تمراً . وهى قراءة  
شاذة ، لم يقرأ بها أحد .  
( ١٠ ) « الطلح المنضود » : الموز المرصوص . وهى القراءة المشهورة « حفص » .

اختلاف القراءة  
بالتقديم والتأخير

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير .  
نحو قوله عز وجل : ( وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ <sup>(١)</sup> ) في موضع  
( وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ <sup>(٢)</sup> ) .

اختلاف القراءة  
بالزيادة والنقصان

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان .  
نحو قوله تعالى : ( وَمَا عَمَلَتْ <sup>(٣)</sup> أَيْدِيهِمْ ) . ( وَمَا عَمَلَتْهُ <sup>(٤)</sup> أَيْدِيهِمْ ) .  
وقوله : ( إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ <sup>(٥)</sup> ) . و ( إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ <sup>(٦)</sup> ) .  
وقرأ بعض السلف ، رضوان الله تعالى عليهم : ( إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَّهُ لُتِسَعٌ <sup>(٧)</sup>  
وَتِسْعُونَ نَجَّةً أَنْتَ ) . و ( إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ <sup>(٨)</sup>  
أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا <sup>(٩)</sup> ) .

« انتهى كلام ابن قتيبة »

رأى الباقلائي  
في السبعة أحرف

وحكى الباقلائي عن بعض العلماء : أن وجوه القراءات ترجع إلى  
سبعة أشياء :

منها ما تتغير حركته ، ولا تتغير صورته ولا معناه . مثل : ( وَيَضِيقُ <sup>(١)</sup>  
صَدْرِي ) . ( وَيَضِيقُ <sup>(٢)</sup> ) .

- (١) سورة ق . آية ١٩ ، وهي قراءة شاذة .
- (٢) وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- (٣) سورة يس . آية ٣٥ ، وهي قراءة عاصم ، وحزة ، والكسائي .
- (٤) وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- (٥) سورة لقمان . آية ٢٦ ، وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- (٦) وهي قراءة نافع ، وابن عامر .
- (٧) سورة ص . آية ٢٣ ، وهي قراءة شاذة . والقراءة المشهورة بدون لفظ « أنت » .
- (٨) هي ليست بقراءة ، وإنما هو تفسير كتبه الكاتب . فظن الناقل أنه من القرآن خطأ .
- (٩) سورة الشعراء . آية ١٣ ، والقراءة المشهورة بالرفع . وقرأ يعقوب بالنصب ، على أنه عطف على « أن يكذبون » .

ومنها ما لا تتغير صورته، ويختلف معناه . مثل : ( وَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ  
بَيْنَ أَسْفَارِنَا ) . و ( بَاعِدْ<sup>(١)</sup> ) .

وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف . مثل : ( نَشْرُهَا ) .  
و ( نَشْرُهَا<sup>(٢)</sup> ) .

أو بالكلمة مع بقاء المعنى . مثل : ( كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ) و ( كَالصُّوفِ  
الْمَنْفُوشِ<sup>(٣)</sup> ) .

أو باختلاف الكلمة ، واختلاف المعاني . مثل : ( وَطَلَّحَ مَنْضُودٍ ) .  
و ( طَلَّحَ مَنْضُودٍ<sup>(٤)</sup> ) .

أو بالتقديم والتأخير . مثل : ( وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ) .  
و ( سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ<sup>(٥)</sup> ) .

أو بالزيادة . مثل : ( تَسِعُ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً أَنْثَى ) . ( وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ  
كَافِرًا وَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ ) ( فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ لَهْتَنٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٨)</sup> ) .  
« انتهى كلام الباقلافي »

(١) سورة سبأ . آية ١٩ ، والقراءة المشهورة « باعد » بصيغة الطلب والدعاء . و « باعد »  
بالفعل الماضي ، قراءة يعقوب .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ ، وهي قراءة ابن عباس ، والقراءة المشهورة بالزاي .

(٣) سورة القارعة . آية ٥ ، والقراءة المشهورة « كالعهن » والصوف : هو العهن أيضا .

(٤) سورة الواقعة . آية ٢٩ ، والقراءة المشهورة « وطلح » بالحاء . أما بالعين فقراءة شاذة .

(٥) سورة ق . آية ١٩ ، والقراءة المشهورة « سكرة الموت بالحق » أما الأخرى فشاذة .

(٦) سورة ص . آية ٢٣ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « أنثى » .

(٧) سورة الكهف . آية ٨٠ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « كافرا وكان » .

(٨) سورة النور . آية ٣٣ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « لهتن » .

ما قيل في معنى  
الأحرف السبعة

وقال قوم : إنها : الحلال ، والحرام ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمثال ،  
والإنشاء ، والإخبار .

وقال غيرهم : إنها : الناسخ ، والمنسوخ ، والخاص ، والعام ،  
والجمل ، والمبين ، والمفسر .

وقال آخرون : إنها : الأمر ، والنهي ، والطلب ، والدعاء ،  
والخبر ، والاستخبار ، والزجر .

وقال جماعة : إنها : الوعد ، والوعيد ، والمطلق ، والمقيّد ،  
والتفسير ، والإعراب ، والتأويل .

القراءات ليست  
هي السبعة أحرف

وقد زعم بعض القراء : أن معنى حديث « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَيَّ  
سَبْعَةَ أَحْرُفٍ ، فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ » هو القراءات السبع .

وهذا القول إن دل على شيء ، فلا يدل إلا على سعة جهل قائله ،  
وقلة تبصرهم .

قال أبو شامة : ظنّ قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن ، هي التي  
أريدت في الحديث . وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظنّ  
ذلك بعض أهل الجهل .

وقال مكّي : من ظنّ أن قراءة هؤلاء القراء ؛ كنافع ، وعاصم ،  
وأمثالهم ؛ هي الأحرف السبعة التي في الحديث ، فقد غلط غلطا عظيما .

كانت القراءات  
للتيسير

والذي يدل تمام الدلالة على أن القراءات لم تكن إلا للتيسير : ما رواه  
الترمذى ، عن أبي بن كعب رضی الله تعالى عنه . قال : « لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل ، فقال : يا جبريل انى بعثت الى امة اميين ،  
منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ  
كتاباً قط . قال : يا محمد ان القرآن أنزل على سبعة احرف .

ومعنى ما تقدم من الأحاديث فى هذا الباب : أن القرآن قد أنزل بسبعة  
أوجه ، وذلك بسبب اختلاف ألسنتكم ، ولهجاتكم ، وضعفكم ، وأميتكم .  
فأقرأوا ما تيسر لكم من هذه الأوجه ، وما كان سهلاً عليكم ، قريباً من  
نطقكم وفهمكم .

وذلك لأنه لو أراد كل فريق من المسلمين ، أن يزول عن لفته ،  
وما جرى عليه اعتياده طفلاً ، وناشئاً ، وكهلاً ، لأشد ذلك عليه ، وعظمت  
المحنة فيه ، ثم لم يمكنه ذلك ، إلا بعد رياضة طويلة للنفس ، وتذليل  
لسان ، وقطع للعادة . فأراد الله عز وجل بلفظه ورحمته : أن يجعل لهم  
متسعا فى اللغات ، ومتصرفاً فى الحركات ، كتيسيره عليهم فى الدين .

ومن عجب أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « فأقرأوا ما تيسر  
منه » . ونحن نأبى إلا أن نقرأ ما تعسر منه على ألسنتنا ، وشذ على أسماعنا ،  
وشق على أفهامنا .

ويؤخذ أيضاً من معانى الأحاديث التى تقدمت فى هذا الباب ، ومما  
قدمناه : أن هذه القراءات ، جعلت للتسهيل والتيسير .

قراءة القرآن  
حسب الاستطاعة

(١) هو بحرفه فى الحديث الذى قدمناه فى « اختلاف عمر مع هشام بن حكيم فى القراءة »  
وهو بلفظه فى القرآن الكريم سورة المزمل . آية ٢٠



بل وأكثر من هذا فقد جاء في الحديث الأخير ، الذي رواه الترمذى ،  
ما يفيد جواز قراءة الأُمى - الذى لم يقرأ كتابا قط - للقرآن ، قدر طاقته  
وحسب استطاعته .

ويكون المقروء قرآنا ، له حرمة ومكانته . ويصح العمل به ، والتعبد  
بتلاوته .

وبهذا يبطل ما يدعيه القراء ، من وجوب القراءة بطرق معينة ،  
ومدود مقدرة ، وقلقلة ، وإدغام ، وإشمام . إلى غير ذلك مما هو مدون  
في كتبهم أراحنا الله تعالى منها .

تضييق القراء  
وتعسفهم

وقد بلغ من تضييق القراء وتعسفهم : أن جعلوا القرآن الكريم ، السهل ،  
السمح ، الميسر للتدبر والتفكير : صعبا ، شديدا ، مغلقا ، مبهما .

لقد شددوا تشديدا كبيرا ، وضيقوا تضييقا بالغا ، بدرجة جعلت قراءة  
القرآن وقفا عليهم هم . في حين أنه قد نزل لسائر الناس ، وطلب العمل  
بما فيه من سائر الناس .

لقد صعبوا كتابته ، وتلاوته ، والنطق به . مع أنه لم يزد عن كونه  
كلاما عربيا ، يتركب من الأحرف التى يتركب منها سائر كلام العرب ،  
ويُنطقُ به كما تنطق العرب بكلامها : ﴿ الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ ، الر تِلْكَ  
آيَاتُ الْكِتَابِ ، المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ .

(١) أى : إن هذا الكتاب المعجز ، وتلك الآيات البليغة : لا تخرج عن كونها مكتوبة  
من أحرف كروفكم تماما : من ألف ، ولام ، وميم . وألف ، ولام ، وراء . وألف ، ولام ،  
وميم ، وراء ، وهكذا .

وقد بلغ من تضيقهم : أن جعلوا بآخر المصحف<sup>(١)</sup> تعريفا لإرشاد القراء إلى الأحرف المزيدة ، والأحرف التي تزداد وصلا لا وقفا ، والإدغام ، والإشمام ، والإخفاء ، والمد ، والإمالة . إلى ما لا نهاية له من العنت والضيق ، والتحكم .

وسنورد مثلا لذلك ليعلم القارئ الحكيم ، مقدار عبثهم واستبدادهم :

جاء في تعريف الإشمام — بآخر المصحف — ما يأتي :

الإشمام

ووضع النقطة الخالية الوسط ، فوق آخر الميم ، قبيل النون المشددة ، من قوله تعالى : ﴿ مَالِكٌ لَا تَمُنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾<sup>(٢)</sup> . يدل على الإشمام . وهو ضم الشفتين ، كن يريد النطق بضمة ، من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق .

فبرك أيها القارئ المنصف : ما لزوم ضم الشفتين ، كمن يريد أن

ينطق بضمة ، من غير أن يظهر أثر ذلك في النطق ؟

أيريد القراء أن يقوم المسلمون — أثناء تلاوتهم قانونهم الأسمى ،

وكتاب ربهم الأعلى — بحركات بهلوانية ، غير مفهومة ، وغير معلومة .

بل وغير لازمة ، كحركات القردة والمهرجين ؟

وإلا فما معنى أن ينطق الإنسان بالحرف مفتوحا ، ثم يطم شفتيه كمن

يريد أن يضم الحرف ، بشرط ألا يظهر أثر ذلك الوضع العجيب في النطق ؟

(١) وهو المصحف الذي طبع بمصر ، وأشرف على طبعه ووضعه شيخ المقارئ السابق

المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني .

(٢) سورة يوسف . آية ١١

ما يقوله القراء  
باطل مردود

إنني أقولها في صراحة الحق ، وجرأة المحق : إن ما يقولونه - ويريدون  
أن يلزموا به سائر المسلمين - باطل ، مردود ، سمج ، مردود ، ممجوج .  
لا يرضى به منزل القرآن جل وعلا ، ولا من نزل عليه القرآن ، صلوات  
الله تعالى وسلامه عليه ، ولا من نزل إليهم القرآن من العقلاء المكلفين .

وهو من العبث ، الذي يجب أن تصان عنه أفعال الراشدين .

رأى كبار القراء  
في قراءة القرآن  
ورسمه

ومن العجيب أن يصرح شيخ المقارئ المصرية السابق - في مؤلفه<sup>(١)</sup>  
له - بأن أخذ القرآن من المصحف لا يجوز ، ولو كان مضبوطا .

وهذه جرأة عظيمة على الحق ، واحتكار لكتاب الله تعالى الذي أنزل  
للعامة قبل الخاصة ، وللجهال قبل العلماء ، وللأشقياء قبل الأتقياء .

وقد قرأت له أيضا مقالا بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٧ شوال  
عام ١٣٥٦ ذكر فيه ما نصه :

ولا ينبغي أن الشيء ينعدم بانعدام ركنه ، فلا يكون المكتوب بغير  
الرسم العثماني ، ولا المتلوبدون مشافهة ، ممن تلقاه بالسند المتصل بالحضرة  
النبوية ، قرآنا . وتاليه كذلك آثم ، لأنه أخرجه عن قرآنيته .

« انتهى كلام الشيخ رحمه الله »

وهو بقوله هذا يقرّر أن المكتوب في سائر المصاحف - عدا المصحف  
الذي قام بوضعه - ليس قرآنا ، وأن القارئ في المصحف - سواء  
في ذلك المصحف العثماني أو غيره - ليس بقارئ للقرآن ، ولا يكون القرآن

(١) هو المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني ، الذي أشرف على إنجازه المصحف الجديد  
برسمه الحالي .

قرآنا ؛ إلا إذا تلقيناه عن أحد شيوخ المقارئ ، أو من في حكمهم ، وأن القرآن لا يكون قرآنا ؛ إلا إذا كتب بالرسم الذي ابتدعه شيخ المقارئ ابتداء ، واختره اختراعا ، وأراد أن يلزم به المسلمين قاطبة ، ويضطرهم إليه .  
وهذا ما لم يقل به أحد ممن يُعتدُّ برأيه ، ويهتدى بهديه .

وها هي دار الكتب المصرية ، ودور الكتب العامة في سائر الأقطار والأمصار ، ملآى بنسخ من المصحف الكريم ، يرجع تاريخها إلى أقدم العصور ، وخير القرون . ولا توجد بها هذه الأوضاع السقيمة ، وتلك الرموز العقيمة .

نسخ المصحف  
بسائر الأقطار  
ليست كصحفنا

وكيف يجوز لإنسان بالغاً ما بلغ ، وكائناً من كان ؛ أن يجعل القرآن المكتوب — على غير ما رسمه هو — ليس بقرآن ، والقرآن المتلو — على غير تلاوته هو — ليس بقرآن .

وليس معنى هذا : أنا نجز قراءة القرآن لمن لم يتعلم القراءة والكتابة على وجهها الأكل ؛ فمثل هذا لا تصح قراءته للقصص والجرائد — فضلا عن القرآن الكريم — أما من استطاع القراءة في الكتب العربية وتفهمها ، فلا حرج عليه مطلقا ، في أن يقرأ القرآن جهدا طاقته ، وأن يتعب بتلك القراءة ، وأن يقرأها غيره ، من الأميين الذين لا يقرأون ، ولا يكتبون .

كيفية قراءة  
القرآن

من المعلوم بالضرورة: أن الحروف ما جعلت إلا لتكوّن منها الكلمات ، والكلمات ما جعلت إلا للدلالة على معانٍ مخصوصة . وليس للحروف ، ولا للكلمات وظائف غير ذلك .

تنطق الحروف  
في مخارج الحروف

فمن التنطع السمج ، والتعسف البارد : أن يتمسك القراء بخارج خاصة للحروف ، غير المخارج الطبيعية ، بدرجة لا تمكن الإنسان من النطق . اللهم سوى من روض نفسه ، وعود لسانه ، على إحراج أحرف معينة ، بصعوبة شديدة ، ليس من الدين ، ولا من القرآن في شيء ، التمسك بها ، وإبطال ما عداها .

أثر تعسف القراء  
في صلاة العامة

وإذا شئت أيها المتأمل المنصف ؛ دليلاً على ما أقول ، فما عليك إلا أن تراقب بعض الناس في صلاتهم ، عند ما يصلون من الفاتحة إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فإنك تجد أكثرهم وقد رددها هكذا « وَلَا الضَّ... وَلَا الضَّ... » وهكذا يظل يردد ، إلى أن يفتح الله تعالى عليه بإحراج باقي الكلمة ، لا من لسانه فقط ، ولا من فمه وحلقه فحسب ؛ بل من قعر بطنه . ويصير مثله في ذلك ، كمثل من يريد أن يتقايأ ، لا أن يقرأ القرآن ، ويتقرب للرحمن .

ويظل المصلي في صلاته هكذا : يراعى مخارج الحروف المتعسفة . كأنه يشتغل بصناعة فنية ، متعبة ، مؤلمة . حتى يخرج بذلك عن معنى الصلاة ، وعن معنى قراءة القرآن ، وعن معنى العبادة ، وعن معنى الوقوف بين يدي الله تعالى . وتنصرف عنه ، وعن قلبه ، وعن ذهنه كل هاتيك المعاني ، ولا يبقى معه سوى الصناعة الرديئة ، والإجادة المتكلفة .

وعلم الله تعالى ، أن هذه ليست بصناعة ولا بضاعة ، وليست بإجادة ولا إفادة .

وهل من القرآن : الخروج عن معاني القرآن ، والتمسك بألفاظه  
ومخارج حروفه ؟

وهل من العبادة : الانشغال عن لب العبادة ، والتمسك بقشورها ؟  
وهل من آداب الوقوف بين يدي الله تعالى : الانصراف عنه بمثل هذه  
الصورة ، التي تدل على عدم المعرفة به ، والجهل بآداب الوقوف بين يديه ؟

قال الغزالي رضى الله تعالى عنه : أكثر الناس قد منعوا من فهم  
القرآن ، لأسباب ومُجِبِّ سَدِّهَا الشيطان على قلوبهم ، فعميت عليهم  
عجائب أسرار القرآن .

رأى الغزالي

منها : أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف ، بإخراجها من  
مخارجها ، وهذا يتولاه شيطان وكل بالقراءة ليصرفهم عن فهم معاني كلام  
الله تعالى .

صرف الشيطان  
عن معاني القرآن

فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف ؛ يُحَيِّلُ إليهم أنها لم تخرج من  
مخارجها . فلهذا يكون تأملهم مقصورا على ذلك ، فَأَنَّى تنكشف لهم المعاني ؟  
وأعظم ضحكة للشيطان : من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس .

ثم قال : وتلاوة القرآن حق تلاوته : أن يشترك فيه اللسان ،  
والعقل ، والقلب .

تلاوة القرآن  
حق تلاوته

فخط اللسان : تصحيح الحروف ، وحفظ العقل : تفسير المعاني ، وحفظ  
القلب : الاتعاظ ، والتأثر ، والالزجار ، والاثمار .  
فاللسان يرتل ، والعقل ينزجر ، والقلب يتعظ .

وقد أجمع علماء القراءات ، على أن التجويد : هو عدم الإخلال بالمعنى  
والإعراب<sup>(١)</sup> .

وهذا بخلاف ما يزعمه قراء اليوم ، من أن التجويد : هو ما يزعمونه من  
الغن ، والمد ، والقلقلة ، والإشمام ، وغيره .

ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ” رَبِّ قَارِيٍّ لِلْقُرْآنِ  
وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ “ .

وقد غاب عنهم أن القرآن يلعن غير العاملين به وبأحكامه ، ويلعن  
أيضا المنشغلين عن معانيه ومبانيه ، وأوامره ونواهيه ، بنزع عبادتهم وترهاتهم .

وهناك ما أسموه تسميلا . وهو من أصعب الصعب : فلو أن مسلما قرأ  
في مصحفهم قوله تعالى : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، أو ﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، لا يبدل الهمزة الثانية ألفا : يكون في نظرهم مخطئا وأثما .<sup>(٤)</sup>

تعسف القراء  
في التسميل

وذلك لأن القراء يحتمون - وأقول القراء ، لأنني على تمام اليقين أن  
هذا التحميم من القراء فحسب ، لا من الرسول صلوات الله تعالى وسلامه  
عليه ، ولا من منزل القرآن جل وعلا - يحتمون قراءة هذا اللفظ بهيئة  
مخصوصة ، ونطق معين ، لا يستطيع أداءه سواهم . وهذا ما لم يقل به  
أحد من عقلاء المؤمنين .

(١) وقد قال بذلك : شيخ الاسلام زكريا الأنصاري وغيره .

(٢) سورة فصلت . آية ٤٤ ، وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، وشعبة .

(٣) وهي قراءة ورش .

(٤) وذلك بالنسبة لقراءة حفص .

فالقراء يريدون أن ينطق المسلمون جميعا بهذه الكلمة — كما رسموها في مصحفهم — هكذا : ( <sup>(١)</sup>اعجمي ) بشرط ألا يكون نطقها ( <sup>(٢)</sup>اعجمي ) باظهار الهمزتين ، ولا ( <sup>(٣)</sup>اعجمي ) بتسهيل همزة الاستفهام ، ولا ( <sup>(٤)</sup>اعجمي ) بإبدال الهمزة الثانية هاء ، ولا ( <sup>(٥)</sup>اعجمي ) بإسقاط الهمزة الأولى .

وإني أتحدى سائر القراء أن يوجدوا لنا واحدا من البشر ؛ يستطيع أن ينطق هذه الكلمة كما يريدون .

وحيث أننا وصلنا إلى هذه الدرجة من التعسف ، والمشقة ، والعنت ؛ فلا أقل من أن نجاهر بأن هذا لا يرضى به الله تعالى ؛ وقد أنزل كلامه لسائر البشر . فلا يرضيه أن يظل القرآن موقوفا على طائفة مخصوصة ، لا يبلغ عددها واحدا في كل عشرة من الملايين . وهو القائل : ( <sup>(٦)</sup>وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لَلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ) .

ولا يخفى أن معنى تيسيره : تيسير قراءته ، وتيسير فهمه ، وتيسير كتابته ، وتيسير نطقه ، وتيسير حروفه .

وتعالى الله من أن يكلف عباده ما يحرجهم ، أو يشق عليهم .

وترى القراء — أئناهم الله — يلزمون القارئ للقرآن ؛ بأشياء مرهقة ، لم ينزل الله تعالى بها سلطانا : كالإظهار ، والإدغام ، والإقلاب ، والإخفاء ،

تعسف القراء  
في المد وغيره

(١) وهي القراءة المشهورة « حفص » .

(٢) وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، وشعبة .

(٣) وهي قراءة ورش .

(٤) لم يقرأ بها أحد من العشرة . (٥) وهي قراءة ابن عامر برواية هشام .

(٦) سورة القمر . آية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠ .



والإشمام . وغير ذلك مما لا حاجة لأحد في حفظ اسمه ؛ فضلا عن إتقانه وعلمه ، ودراسته وإجادته .

المبالغة في المد ويلزمونهم أيضا بمدود معينة ، قد وزنها بموازن في أدمغتهم ، ليس لها أصل في العلم أو الدين ، ولم يقل بها أحد من السلف الصالح ، أو الخلف الراشد .

ويقرطون في هذه المدود إفراطا معيبا ، بل ويجعلونها واسطة لأداء النغمات على وجهها ، ضارين صفعها عن صحة الأداء ، وإظهار معاني الكلمات ، مضيعين بذلك بهجة الألفاظ ورونقها .

فن ذلك إفراطهم في المد الذي قبل الهمز ؛ وهو في الواقع لا أصل له إطلاقا . بل كل ما يطلب من القارئ أن يمد بالقدر الذي يكفى لإظهار الهمز ، وإخراجه من مخرجه . وهذا لا يحتاج إلا لمد قليل جدا ، لا يبلغ عشر ما يفعلونه ، وما هو مدون في كتبهم .

المد المتصل ويقررون أن من هذه المدود ؛ ما هو متصل ؛ وهو الذي يقع قبل الهمزة متصلا بها في نفس الكلمة . نحو : ( جاء ) ، و ( قروء ) ، و ( سماء ) .

المد المنفصل ومنها ما هو منفصل . وهو الذي يقع قبل الهمزة منفصلا عنها في كلمة أخرى . نحو : ( قولوا آمنا ) و ( في أمها ) .

المد اللازم ومنها ما هو لازم ، وينقسم ذلك المد اللازم إلى قسمين : كلي وحرفي ، وهما متقلان ومخفقان ، وغير ذلك مما هو مدون في كتبهم ، ممثلة به أدمغتهم ، ناطقة به ألسنتهم .

ويقَدِّرون كل نوع من هذه المدود بمقادير معينة ، وحركات خاصة ،  
يعتدونها على أصابعهم بهيئة تتنافى مع إنسان عاقل رشيد، يقرأ كتابا عربيا ،  
سهلا ، سمحا ، غضبا .

فالمتصل : يقَدِّرونه بأربع أو خمس حركات . والمنفصل أيضا بأربع  
أو خمس . واللازم بست حركات .

ويظل القارئ يتلو القرآن ، حتى يصل بقراءته إلى أحد هذه المواضع ،  
فيعدّ على أصابعه تارة ، ويحسب العدد المطلوب أخرى . ويدع التأمل  
في معاني ما يقرأ ، ويشغل نفسه وحسه ، في مراعاة المدّ تارة ، والغنّ أخرى ،  
والإعلال ، والإبدال ، والإدغام ، والإشمام . إلى ما لا نهاية له من الأشياء  
التي لم يلزمنا الله تعالى بها ، ولم يأمرنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه  
باتباعها .

وتراهم أيضا يبالغون في الغنّ بدرجة كبيرة ، تجعل القارئ يطنّ كطنين  
الذباب . ويرون أنهم بغير هذا لا يكونون قد أدّوا القراءة على وجهها  
الأكمل .

المبالغة في الغنّ

وقد روى عن حمزة — وهو من كبار القراء ، وأحد السبعة — أنه  
قال لقارئ سمعه يبالغ في الغنّ — وربما كان دون غنّ كثير من قرائنا  
الآن — قال له : أما علمت أن ما فوق اليأض برص ، وما فوق الجعودة  
قطط<sup>(٢)</sup> ، وما فوق القراءة ليس بقراءة .

(١) الشعر الجعد : الذي فيه التواء وتقبض . وهو خلاف المسترسل .  
(٢) شعر قطط : شديد الجعودة . وفي التهذيب : القطط : شعر الزنجي .

ونحن إذا وافقنا القراء فيما ذهبوا إليه : لتركنا الحكمة التي من أجلها  
نزل القرآن . وهي التأمل والتدبر ، والتذكير والتذكور ، والتفكير في معانيه ،  
والبحث في مرامييه ، والعمل بما جاء فيه .

وإلا فما الفائدة من المحافظة على هذه الأشياء الشكلية المتكلفة ؛ إذا  
نحن تركنا روح القرآن ولبه ، والتفهم لعباراته ، والتنبيه لإشاراته .

فالقرآن الكريم لم ينزل لمحض التبرك به في المنازل ، واستجلاب  
الرحمات به في المقابر ، والتحنن به في سهرات المآتم ، وترديد كلماته ،  
وسرد صفحاته ، وتعداد آياته ، ومراعاة مدوده ، والمحافظة على غناته ،  
وملازمة سكاته .

إنما نزل القرآن لتقف على أسراره ، ونسير في أضوائه وأنواره !

ونحن إذا سلمنا جدلا بصحة جميع ما يقرأ من القراءات ؛ فإننا لا نسلم  
بجواز تلاوتها على من لا يعرفونها ، ولا يدرونها .

والقراءات — كما قدمنا — نزلت على السنة القبائل وطبقاتهم ، تلتفقا  
بهم ، وتسهيلا عليهم ، وتقريبا لأذهانهم . لأنهم لو سمعوا القرآن بلهجة غير  
لهجتهم ، ربما ثقل ذلك على أسماعهم ، فأراد الله تعالى — رحمة بعباده —  
ألا يكلم أحد إلا باللهجة التي سكن إليها ، ودرج عليها .

غير أن قراء مصر — أثابهم الله تعالى — قد تباروا في إسماع بنينا ما لم  
يعتادوه ، ولم يألفوه . بل ولم يستطيعوا نطقه من القراءات ؛ التي هي بعيدة  
كل البعد عن لهجة مصر ، ولغة مصر .

القراء في مصر

والذي يناسب مصر من القراءات : هي قراءة حفص <sup>(١)</sup> ، غير بضع كلمات قرئت بالإمالة .

ما يناسب كل قطر  
من القراءات

وهي تناسب أيضا تركيا ، والهند ، وجاوه ، وأغلب البلدان الشرقية .

كما أن قراءة ورش <sup>(٢)</sup> تناسب بلاد المغرب .

وقراءة أبي عمرو <sup>(٣)</sup> تناسب بلاد السودان .

وهكذا كل قراءة من القراءات : تناسب طائفة من الناس ، وقطرا

من الأقطار .

وهذا لا ينافي ما قدمناه من نقد بعض القراءات ، التي ثبت عدم صحتها

لغة ، وعدم وجود من يقرأ بها ماضيا وحاضرا .

فما بال القراء يلزموننا سماع تلك القراءات ؟ ويتعبون العامة بتكليفهم قراءتها في مصر

فهم ما لم يكلفهم الله تعالى به ؟

وما لنا وتفخيم اللامات ، وترقيق الراءات ، وإبدال الأحرف مكان

الأخرى ، وإدغامها في بعضها ، حتى ليكاد السامع لا يفهم ما يقال ، وهو

من أرقى الكلام ، وأحسن النظام !

(١) هو حفص بن سليمان الكوفي ، وهو غير حفص الدوري ، الراوي عن أبي عمرو ، والكسائي .

(٢) هو عثمان بن سعيد بن عدى المصرى ، وقد كان من كبار القراء والفقهاء . وقد بلغ نهاية الصلاح والتقوى . وغلب عليه لقب ورش . وأصله من القيروان ( مدينة بالمغرب ) ومولده ووفاته بمصر .

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء .

هذا غير تعسفهم في الفتن والمد ، بما يخرج الكلام عن تلاوته ،  
واللفظ عن حلاوته .

فتراهم يخطون الأحرف ، ويمضفون الكلمات . وهم في كل ذلك  
مقيدين بفتن القراءة — في عرفهم — ولا يزالون يجودون ، ويعتدون المد  
على أصابعهم ، ويصرفون كل همهم ، ويبدلون كل همتهم في ذلك ؛  
بحيث يشغلهم عن تدبر معاني كتاب الله تعالى ، ويصرفهم عن الخشوع  
في تلاوته .

ويعلم الله تعالى أن القرآن لم ينزل لتتخذة فئة من الناس صناعة لهم ،  
فيقرأون بما لا يفهم الناس ، ولا يفهمونه هم أنفسهم ، ويعتقدون أنه هو  
القرآن . وإذا قرأه غيرهم بما لا تهوى أنفسهم ؛ قالوا : انه ليس بقرآن ،  
وليست له حرمة القرآن .

ويستدلون على تفننهم في هذه القراءة ، وغنمهم ، ومدتهم ، وإدغامهم ،  
وتمطيظهم ، وقلقتهم ، بقوله تعالى : ( وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً <sup>(١)</sup> ) .

وقد غاب عنهم أن هذه الآية بعيدة كل البعد عما يرمون إليه ، لأن  
المقصود منها : القراءة ببطء وتأناً ؛ حتى تفهم وتعلم . أو المراد : كثرة  
التلاوة ، والدأب على القراءة .

أفرايتم لو أن أعرابياً أراد أن يقول : هؤلاء القوم . أو : يا أيها  
الناس ، أو ما أشبه ذلك ؛ أكان يمد في قوله هذا ، كما يمد هؤلاء القراء ،  
العرب

(١) سورة المزمل . آية ٤

الذين قسموا مذهبهم الى أقسام : متصل ، ومنفصل ، وكليبي ، وحرفي ،  
ومثقل ، ومخفف ، وغير ذلك مما يعيى الذهن ، ويوهن العقل .

لقد أنزل الله تعالى القرآن عربيا ، وهياها للتلاوة ، ويسره للذكر ،  
وقال يا معشر الناس : لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر .

فانظروا كيف تنطق العرب بكلامهم ، وانطقوا بالقرآن بمثل  
ما تنطق ، وإلا فما تقرأون به هو الخطأ ، وما تتكلم به العرب هو الصواب .

لقد بلغ من تعسف القراء أنه لو قرأ القرآن أمامهم مسلم ، ونقص  
في أحد المدود ، أو زاد فيها ، أو قصر في غن ، أو إشماع ، أو إبدال ؛  
عنفوه وأسكتوه ، ونسبوه — لا للخطأ فحسب — بل للكفر والعصيان ،  
والخروج على تعاليم الرحمن . ويعلم الله تعالى أيهما المحق ، وأيها المبطل ،  
وأيهما المخطئ ، وأيها المصيب !

القراء يكفرون  
من لا يقرأ على  
قواعدهم

ومن عجب أن يقول القرآن للمسلمين : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ  
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ <sup>(١)</sup> ﴾ ، وذلك لتعليمهم كيف  
يجادلون الكفار وأهل الكتاب . ويزعم القراء أن سائر المسلمين آثمين  
لعدم قراءتهم القرآن بطريقتهم التي اخترعوها وابتدعوها .

وهل لو تكلم أمامنا عربي فصح — وهو الذى يعتبر بحق حكا  
في النطق بالألفاظ ، ومرجعا في الأداء — أكان يمد في ألفاظه بمثل  
ما يمدون ، ويتعسف بمثل ما يتعسفون ؟

كلام العرب

ولو أن أعرابيا . قال — مثلا — : هؤلاء القوم . أ كان يقولها  
كذلك ، أم كان يقولها : « هـ ... هؤلاء ... القوم » كما يزعم القراء ؟

تعسف القراء  
في القلقلة

ومن عجب أنهم يتغالون في التمسك بما يسمونه (القلقلة) ويحدّدون  
حروفها بخمسة ، يجمعها لفظ « قطبجد » فأى حرف جاء سا كذا من هذه  
الأحرف وجبت إماتته الى الكسر .

نعم ان هناك أحرفا لا يستطيع الإنسان النطق بها سهلة ، إلا إذا  
قلقلها من تلقاء نفسه بدون إرشاد .

وتوجد بالقرآن كلمات تنطبق على قياسهم المتقدم ، إلا أنها تشوّه  
تسويها كبيرا لو نطق بها مقلقلة .

وذلك كقوله تعالى : (( بِالْعَدْلِ )) و (( تَطْلُعُ )) و (( يَطْهُرْنَ )) . فإن هذه  
الأحرف لو قلقلت ؛ لصارت ثقيلة على اللسان والآذان ، محزفة في النطق .

وقد تغالى جلّ القراء — إن لم يكن كلهم — في القلقلة ، حتى أنهم  
ليكسرون الحرف كسرا ، وبلغ من تعسفهم أنهم لو سمعوا قارئاً ينطق  
بالحرف سا كذا حركته الأصلية ؛ خَطَّوْهُ وأسكتوه ، بل وكَفَّرُوهُ . في حين  
أنهم يسمع بعضهم بعضاً في القراءة وهم ينطقون بالحرف المقلقل ظاهر  
الكسر ، فلا يعيب أحدهم على ذلك . مع أن هذا فيه فساد للعنى ، وللنطق ،  
وللعربية التي نزل بها القرآن .

تعسف القراء  
في تعطيش الجيم

وتراهم أيضا لا ينطقون الجيم من مخرجها الطبيعي ، المعروف المعتاد ،  
بل يقولون بوجوب تعطيشها .

وتعطيها عندهم : أن يُمِيلُونَهَا إلى الشين . فتصير بينَ بينَ . إلا أنهم يتغالون في ذلك ؛ حتى تصير الجيم أقرب منها إلى الشين .

هذا في حين أن الجيم إذا عطشت كما يرغبون : خرجت من عمر بيتها ، وصارت حرفا أعجميا : جيم تركية (ج) ، أو جيم افرنجية (G) .

وإذا سمعوا أحد القراء لا يراعى بعض هذه القيود ، التي وضعوها ظالما للقرآن ؛ من تعسف في المد ، وإفراط في القفلة ، وتشويه في الإدغام ، وتحريف في الإشمام ؛ لا يستمعون لقراءته ، ولا يراعون للقرآن حرمة ، ويلغون فيه . لأنه ليس بقرآن في زعمهم .

ويعلم الله تعالى أنه هو القرآن ، وأن ما يتصنعونه — بتكلفتهم وتعسفاتهم — ليس من القرآن في شيء . وإنما هو من التنطع المنقوت . وفي الحديث الشريف : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ <sup>(١)</sup> » .

وترى القراء أيضا يلزمون القارئ بالسكت في مواضع من القرآن ، نستطيع أن نقول : إنها تشوّه المعنى تشويها كبيرا ، وتفقد الألفاظ جمالها ، وحسن تنسيقها .

السكت الوارد في المصحف

فمن ذلك السكت عند قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ <sup>(٢)</sup> ﴾ . فإنهم يسكتون بين « بل » و « ران » .

هذا في حين أن « كلا » حرف ردع وزجر ، و « بل » للاضراب ، وإبطال ماسبق وإثبات حكم غيره ؛ وهو : ﴿ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ، أي غطى عليها .

(١) المتنتعون : هم المتعمقون الغالون ، الذين يتعمقون في نطقهم .

(٢) سورة المطففين . آية ١٤



فكيف يسوغ الفصل بالسكت، بين : ( بَلْ ) التي أحد معانيها : إثبات حكم آت ، وبين هذا الحكم . الذي هو : ( رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ) ؟

السكت عند  
« وقيل من راق »

ومن ذلك أيضا سكتهم عند قوله جل شأنه : ( وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ) .  
فإنهم يسكتون بين « من » و « راق » .

هذا في حين أن « من » مبتدأ ، و « راقٍ » خبر . ولا يجوز الفصل بين المبتدأ والخبر بحال .

وهذه السكّات لا معنى لها إطلاقا ، ولا حجة لهم عليها ، سوى أنهم تلقوها من القراء هكذا .

أصل السكت

ولعل أصل هذه السكّات : أن أحد القراء القدماء تنفس بين الكلمتين ، أو ابتلع ريقه ، أو عاقه عن متابعة القراءة عائق ، فقلدوه في ذلك بغير فهم ولا علم .

أما ان الله تعالى أنزله هكذا ، وجبريل عليه السلام أقرأه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا السكت ؛ فهو ما لا نسلم به مطلقا ، ولا تجيزه اللغة العربية .

الوقوف على  
رؤس الآي  
ليس بسنة

وقد اعتاد كثير من القراء التزام الوقوف على رؤس الآي ، والابتداء من أوائلها بدون مراعاة المعنى ، ولا مراعاة الاحتياج الى الوصل .

وحجتهم في ذلك أن الوقوف على رؤس الآي ؛ سنة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد فاتهم أن الرسول عليه السلام ، إنما وقف عليها ؛ ليعلم مكانها .  
وَلِتُدَوِّنَ الْفَوَاصِلُ ، وتعد الآيات .

ولولا وقوف الرسول عليه السلام على رؤس الآي ؛ لما علمنا : كم آية  
نزلت ، ولما أدركنا مواضعها ، وأمكنتها ، وأوائلها .

ولا شك أن الرسول الأمين ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، كان  
يقف على رأس كل آية ؛ فيصل ما يستحق الوصل ، ويدع ما يكون قد  
اكتملت معانيه ، واستتمت مراميه .

ويجوب وصل  
يستحق الوصل  
ما عند الفواصل

أما المحافظة على الفواصل ، لمجرد أنها رؤس آي فحسب ، بدون مراعاة  
لحسن النظم والتثامه ، وارتباطه بما قبله ؛ فليس من الحكمة ، ولا من  
البلاغة في شيء .

وإن من الآيات ما يكون الابتداء به على جانب كبير من الخطأ ، إذا  
لم يوصل بما قبله ؛ ليتم المعنى ، ويبين المغزى .

فمن ذلك قوله تعالى : (( وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ))<sup>(١)</sup> . فإنها رأس  
آية . فإذا ما وقف عليها القارئ ، وابتدأ في الآية التي تليها بدون  
وصل ؛ لفسد المعنى ، واضطرب النظم . وهي قوله تعالى : (( مِنْ دُونِهِ  
فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا )) .

الفصل بين  
الفعل ومنعلقه

ولكنه لو وصل وقراً : (( وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ))  
لاستقام المعنى ، وصح النظم ، وحسن الترتيب .

وذلك لأن ﴿ تَشْرِكُونَ ﴾ : فعل ، و ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ : متعلق الفعل .  
ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .  
فان هذه الآية لها معنى مستقلا . ولكنا لو قرأنا ما بعدها من الآيات ؛  
لوجب علينا الوصل حتما .

وذلك لأن الآية التي تليها : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ . فإذا يفهم من الآية  
الأخيرة ؛ إذا قرئت استقلالا بدون وصل ؟ مع أن المعنى لا يستقيم إلا  
إذا قرئت : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ متصلة .

وذلك لأن : ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ : فعل ، و ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ : متعلق الفعل ،  
ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾<sup>(٢)</sup> . فإذا قرأنا ما بعدها  
بدون وصل ؛ لما صح المعنى . لأن ما بعدها لازم لها ، وينقطع الكلام  
بدونه . وهو قوله : ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ . بل يجب أن يقرأ : ﴿ غُلِبَتِ  
الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ .

وذلك لأن : ﴿ غُلِبَتِ ﴾ : فعل ، و ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ : متعلق  
بـ : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ . ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا  
كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فإذا قرأنا ما بعدها بدون وصل ؛ لما وضح له معنى .

(١) سورة النحل . آية ٤٣

(٢) سورة الروم . آية ١

(٣) سورة الصافات . آية ٢٢

وهو قوله جل شأنه : ( مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيمِ ) .  
بل يجب أن يقرأ : ( وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) .

وذلك لأن ( يَعْبُدُونَ ) : فعل ، و ( مِنْ دُونِ اللَّهِ ) : متعلق به ،  
ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ( أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ <sup>(١)</sup> ) .  
وهي رأس آية . فاذا ما بدأنا بما بعدها ، وهو قوله تعالى : ( مِنْ دُونِ اللَّهِ )  
لَمَّا فُهِمَ لَهُ مَعْنَى ، وَلَكَانَ مُشَوَّهًا مُشَوَّشًا .

وذلك لأن ( تُشْرِكُونَ ) : فعل ، و ( مِنْ دُونِ اللَّهِ ) متعلق به ،  
ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ( وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ <sup>(٢)</sup> ) . فانه لو وقف  
عليها وبدأ في الآية التي تليها بدون وصل ؛ لما جاز .

الفصل بين المستثنى  
والمستثنى منه

وذلك ، لأن ما بعدها : ( إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ) . ومن المعلوم أن  
( إِلَّا ) : أداة استثناء ، و ( مُخْتَلِفِينَ ) : مستثنى منه . ولا يجوز الفصل  
بين المستثنى والمستثنى منه .

ومن ذلك أيضا قوله جل شأنه : ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ <sup>(٣)</sup> ) .  
فان هذه الآية لا تستقيم إلا إذا وصلت بما بعدها ، وهو ( رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ  
تِجَارَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) .

الفصل بين  
الفعل والفاعل

(٢) سورة هود . آية ١١٨

(١) سورة غافر . آية ٧٣

(٣) سورة النور . آية ٣٦

فانظر الى ارتباط الآيتين ، ووجوب الوصل بينهما ؛ لأن المعنى :  
(يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا رَبَّالَّذِينَ) . فكيف تفصل بين الفاعل ، وهو (رِجَالٌ) ، وبين  
الفعل ، وهو (يُسَبِّحُ) ، بدون أن نصل بينهما ؟

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ<sup>(١)</sup>) . فاذا قرأنا  
ما بعدها بدون وصل ؛ لما جاز ذلك إطلاقا . لأن ما بعدها متعلق بها ،  
وهو قوله : (يَنْصُرِ اللَّهُ) . والباء فيها سببية ، أى يفرح المؤمنون بسبب  
نصر الله . ولا يجوز الفصل بين السبب والمسبب .

والذى يقطع بما قدمناه ، ويحزم بوجوب الوصل عند رأس الآي  
مادام المعنى ناقصا وغير تام : قوله تعالى : (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكِهْمُ لَيَقُولُونَ<sup>(٢)</sup>)  
وهو رأس آية . فاذا وقفنا على ذلك بدون وصل ؛ لم يجوز . لأنه إخبار بأنهم  
يقولون ، بدون ذكر لما يقولونه . واذا بدأنا الآية التى تليها بدون وصل ؛  
لكان ذلك مكفرا . لأن البادئ بذلك يقول : (وَلَدَّ اللَّهُ) . كأنه يقترز  
أن الله قد ولد . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !

وفى مثل هذه الحال يجب الوصل وجوبا . فيقول : (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ  
أَفْكِهْمُ لَيَقُولُونَ : وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) .

وذلك لأن (وَلَدَّ اللَّهُ) : مقول القول ، ولا يجوز الفصل بين القول

ومقوله .

(١) سورة الروم . آية ٤

(٢) سورة الصافات . آية ١٥١

وقد أوردنا هذه الآيات على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، ففي القرآن الكريم كثير من أمثال هذه الآيات ، فليلاحظ ذلك وليتدبره من يرجو رحمة الله تعالى ، ويخشى عقابه ؛ ولا يعبا بقول من أوتوا من العلم القشور دون اللباب ، فتعلموا على الناس بغير علم ، وتفاهموا بغير فهم .

وينبغي الوقوف في مواضع ليست برءوس آى . كقوله تعالى :  
 ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾<sup>(١)</sup> . فإنه يجب الوقوف على :  
 ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ . ثم يبدأ بقوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ . لأن ذلك استئناف لا مقولهم ؛ فيقف على ذلك خشية الالتباس .

الوقوف على غير  
 رءوس الآى

وينبغي أيضا على القارئ ألا يقف على المضاف دون المضاف اليه ، ولا المنعوت دون نعته ، ولا الرفع دون مرفوعه ، ولا المرفوع دون رافعه ، ولا الناصب دون منصوبه ، ولا المنصوب دون ناصبه ، ولا المؤكد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البدل دون مبدله ، ولا « إن » ، أو « كان » ، أو « ظن » وأخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته : إسميا أو حرفيا ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا الحرف دون متعلقه ، ولا الشرط دون جزائه .

المواضع التي  
 لا يصح  
 الوقوف عليها

(١) سورة يونس . آية ٦٥

# النسخ والمنسوخ

اختلف المتقدمون اختلافا كبيرا في النسخ والمنسوخ ، ولهم في ذلك مؤلفات شتى .

وقد تغالوا كثيرا في ادعاء نسخ كل الآيات التي لم يتفق لهم فهمها ، أو التي لم يستطيعوا أن يوفقوا بينها وبين باقي الآيات .

وقد قسموا ذلك إلى أقسام : منها ما هو منسوخ الحكم باقي التلاوة ، ومنها ما هو منسوخ التلاوة باقي الحكم ، ومنها ما هو منسوخ التلاوة والحكم معاً .

ولهم في ذلك استدلالات واستنتاجات عقيمة ، لا يؤيدها منطق ، ولا يسندها دليل .

منسوخ الحكم  
التلاوة

فمن ذلك ما ادعاه بعضهم من أن قوله جل شأنه : <sup>(١)</sup> « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » منسوخ بآية السيف : « فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ » .

كأنه والحالة هذه لا يجوز أن نقول للناس حسنا . وإذا راعينا باقي الآية المنسوخة ، لوجدناها تنهى عن عبادة غير الله تعالى ، وتأمُر بالإحسان

(١) سورة البقرة . آية ٨٣ « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » .

(٢) سورة التوبة . آية ٥

الى الوالدين وذى القربى واليتامى والمساكين . ففي حالة النسخ يكون جميع ذلك غير واجب المراعاة .

وأیضا فان هذه الآیة تأمر بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة . فتكونا أيضا غير مفروضتين ، وبالتالي غير واجبتين . اللهم إلا إذا كان النسخ على شرط الآیة الخاص بالقول الحسن فحسب .

هذا فضلا عن أن هذه الآیة وردت في القرآن الكريم حكاية عما أخذه الله تعالى على بنی اسرائیل من الميثاق<sup>(١)</sup> . فهی خبر لا معنى للنسخ فيه مطلقا .

وأغرب من جميع ذلك ، وأشدّ شناعة وقبحا : ادعأؤهم بأن آية السيف المتقدمة نُسخَتْ أيضا فيما نُسخَ بقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقد غاب عنهم أن ربهم هو أحكم الحاكمين ؛ سواء أمر بالقتال ، أو أمر بالسلم ، وسواء قضى بالنعيم ، أو بالعذاب الأليم .

ومن أعجب العجب ادعأؤهم أن بعض الآيات قد نسخت تلاوتها ، وبقى حكمها ، وهو قول لا يقول به عاقل إطلاقا .

منسوخ التلاوة  
باقى الحكم

وذلك لأن نسخ أحكام بعض الآيات ، مع بقاء تلاوتها ؛ أمر معقول مقبول . حيث ان بعض الأحكام لم ينزل دفعة واحدة ، بل نزل تدريجيا ، لتألفه النفوس ، وتستسيغه العقول . وهنا كانت الحكمة جلية ظاهرة في نسخ أحكام بعض الآيات مع بقاء تلاوتها .

(١) وهو قوله تعالى في أول الآیة « وإذ أخذنا ميثاق بنی اسرائیل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذی القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا » .

(٢) سورة التين . آية ٨



أما ما يدعونونه من نسخ تلاوة بعض الآيات مع بقاء حكمها ؛ فأمر لا يقبله إنسان يحترم نفسه ، ويقسّر ما وهبه الله تعالى من نعمة العقل . إذ ماهى الحكمة فى نسخ تلاوة آية مع بقاء حكمها ؟

ما الحكمة فى صدور قانون واجب التنفيذ ، ورفع ألفاظ هذا القانون مع بقاء العمل بأحكامه ؟

ويستدلون على باطلهم هذا بإيراد آية من هذا النوع يدعون نسخها ، ويعلم الله تعالى أنها ليست من القرآن ، واو كانت منه لما أغفلها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، ولدونها السلف الصالح فى مصاحفهم .

وهى : ( الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَاَرْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) .

وفى رواية أخرى : ( الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَاَرْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ بِمَا قَضَى مِنَ اللَّذَّةِ ) .

ويزعمون أن عمر رضى الله تعالى عنه قد همّ بكتابتها فعلا فى المصحف ، لولا أنه لم يجد شاهدين يؤيدانه عليها .

وهذا قول فاسد باطل مردود . فلو أراد عمر كتابتها ما استطاع منعه إنسان ، وهو من هو فى شدته فى الدين ، وجرأته فى الحق .

ومن ذلك أيضا ما يدعونونه من نسخ تلاوة ( إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَا لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ الثَّانِي ، وَلَوْ كَانَ إِلَيْهِ الثَّانِي لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا الثَّلَاثُ ، وَلَا يَمَلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ ) .

ونسخ تلاوة : ﴿ وَإِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْخَفِيَّةَ ، غَيْرَ الْيَهُودِيَّةِ وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ ، وَمَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ ﴾ .

ونسخ تلاوة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُّدٌ هَذَا الدِّينِ بِأَقْوَامٍ لَأَخْلَقَ لَهُمْ ﴾ .

ونسخ تلاوة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبَ شَهَادَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وكثير غير هذا يضيق المقام عن ذكره ، ويعلم العقلاء أنه ليس بكلام الخالق تعالى ، وليست له طلاوته ، وليست به حلاوته وعضوبته ، وليست عليه بهجته . بل ويتبرأ من ركاكته المخلوقون ، فكيف برب العالمين !

بقي سؤال واحد ، وهو : من أين أتى دليل رجم المحسن والمحصنة في الإسلام ؟

من أين دليل  
الرجم ؟

والجواب على ذلك : أنه قد أخذ من تشريع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . ويدخل تحت قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾<sup>(١)</sup> أي ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ فيما يأمركم به في القرآن ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ فيما يأمركم به من الأوامر ، وبينها كم عنه من النواهي ، ويشرعه لكم من الشرائع .

هذا وقد كان رجم الزاني والزانية ( المحصنين ) مشروعاً في سائر الشرائع المتقدمة .

ولولا أن تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم وصيانته ؛ لدس فيه ما ليس منه ، كما دس في الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله ، فلم يبق

فيها سوى ما دخل عليها من ريك الكلام ، وباطل القول . ولكن الكتاب  
الكريم قد نفى كل غريب ، وسلم من الشوائب والدخل ، فلم يبق إلا كلام  
الرب سليما صافيا محفوظا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

ومن آية حفظ الله تعالى له ألا يستقرّ المسلمون على ما ادعاه القراء من  
قراءة القرآن بوضع مخصوص ، وطريق مخصوص ، يغير كلام العرب ونطقهم .

خطأ من قال  
بنسخ التلاوة

ويحوز أن يكون هذا وحيا ، وليس كل وحى بقرآن . ويقاس عليه  
كل ما قرئ وقيل بنسخ تلاوته وبقاء حكمه .

ولا يبعد إطلاقا أن يخطئ مَنْ جَعَلَ مثل هذا الكلام من القرآن ؛ كابن  
مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهما . أو أن يُكذَّب عليهم ؛ كيداً لهذا  
الدين ، وتوهينا لحبل الله المتين .

ورود الخبر  
عن الصحابي  
ليس بحجة

ولا يَتَوَهَّمَنَّ أحد أن نسبة بعض القول إلى فضلاء الصحابة وأجلّهم  
نص في صحة هذا القول . فإنهم رضی الله تعالى عنهم غير معصومين ، وقد  
وردت روايات كثيرة صحيحة بما أخطأ فيه بعضهم من فهم أشياء في القرآن  
وغيره من أمور الدين على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفضلا  
عن ذلك فقد كُذِّبَ عليهم في شتى الأحاديث . فليفهم هذا وليتدبره من  
كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد !

حديث عائشة  
في إرضاع الكبير

ومن كبر عليه ما قلته ، وشقّ عليه ما أوردته ، فليسمع معي حديث  
أم المؤمنين عائشة رضی الله تعالى عنها — وقد ورد في جل الصحاح ، إن  
لم يكن كلها — قالت :

« جَاءَتْ سَهْلَةُ بِبِنْتِ سَهْلٍ أُمِّ امْرَأَةٍ أَبِي حُدَيْفَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُدَيْفَةَ <sup>(١)</sup> مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ - وَهُوَ حَلِيفُهُ - فَقَالَ : أَرْضِعِي سَالِمًا نَحْمَسًا نَحْرُمِي بِهَا عَلَيْهِ » .

فانظر معي أيها المنصف الحكيم ، واعجب لدين يحترم النظر إلى الأجنبية  
( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) <sup>(٣)</sup> ، ويديح ارتضاع ثديها !

وانظر معي أيضا لزوج يَغَارُ على امرأته أن يراها أجنبي ؛ فَيُذْهِبُ هذه الغيرة بأن تكشف له عن مواضع من جسدها ، ولا يُكْتَفَى بكشف هذه المواضع فحسب ؛ بل ولمسها . وليس لمسها فحسب ؛ بل ومصها . وليس المص مرة واحدة فحسب ؛ بل يظل يرتضع ثديها خمس مرات .

أنظر معي أيها المؤمن وتدبر : هل ترى تصديق مثل هذا ؟ أو أنت أميل إلى التكذيب ، وإن لم يكنه ، فإلى أن هذا الحديث وأمثاله مما دسه الدساسون الأفاكون ؛ ليذهب بهاء ذلك الدين التويم ! وحاشا أن يقول الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ما لم يقله الله تعالى ؛ بل ويتناقض كل التناقض مع ما ورد في الكتاب المحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد <sup>(٤)</sup> .

(١) أرى في وجهه : أى من دلائل الكدر والغيرة ، لدخول رجل أجنبي على امرأته .

(٢) الحليف : المعاهد . وحالفة : عاهده . والمراد هنا : شريكه .

(٣) سورة النور . آية ٣٠ .

(٤) وقد تلبس بعضهم تعليلا لهذا : أن الرضاع لم يكن بطريق الامتصاص من الثدي ، بل بواسطة شرب اللبن بعد حلبه من المرأة . ويرد على هذا أن الشرب لا يعطى معنى الرضاع الوارد في الحديث ، وعلى فرض حصوله بالشرب فإنه لا يضع الغيرة الذى طلب الرضاع من أجلها .

بطلات  
هذا الحديث

ومذهب علي ، وآبن عمر ، وآبن مسعود ، وجمهور التابعين . كل أولئك علي خلاف ما قيل بوروده عن عائشة .

وهناك الكثير من أمثال هذا الحديث ، مما يناقض العقل والمروءة ، والآداب ؛ وقد وردت جميعها في أمهات الكتب الصحيحة المعتمدة ، وسأورد طرفا منها على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر .

طواف الرسول  
على نسائه  
فمن ذلك ما روى عن إحدى أمهات المؤمنين رضی الله تعالى عنهن قالت :  
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه في الليلة الواحدة  
بفسيل واحد » . وقد جاء هذا الحديث بروايات أخرى ، وعن طرق شتى  
بهذا المعنى .

بطلان  
هذا الحديث  
والحديث كما ترى : يرفضه الذوق السليم ، وتمجه النفوس السامية .  
فإذا ما حاولنا أن نبحث طريق وصوله لراويته — أو لراويته — عجبنا  
كل العجب ، وحق لنا أن نعجب . إذ ليس له سوى طريقين  
لا ثالث لهما :

أولهما : أن يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه لإحدى زوجاته :  
لقد مررت في هذه الليلة على سائر ضرائك ، وفعلت بهن كيت وكيت .  
وهذا ما نستبعد وقوعه من عصاة الأمة وطغاتها ، فما بالنا بأكرم مخلوق  
تحلى بأعظم الأخلاق ، وحاشا أن يفعل الرسول عليه السلام ما يستوجب  
اللوم ، أو ما يوجب الزرابة . ولا أحظ من أن يذكر مثل هذا أمام إحدى  
الضرائر .

ثانيهما : أن يكون دخل عند راوية الحديث ، فأفضى إليها كما يفضى الرجل إلى امرأته ، ثم تركها ، فبعتته ، فدخل عند إحدى زوجاته الأخرى فنظرت من شق الباب ورأت ما رأت ، وخرج من عند الأخرى إلى غيرها فبعتته الأولى ونظرت إليهما أيضا من شق الباب ، وهكذا حتى طاف على نسائه جميعهن بغسل واحد كما جاء في هذا الحديث المكذوب .

ومن أعجب العجب ألا يتعرض شراح الأحاديث لمثل هذا الحديث بتجريح أو تصحيح . بل كل ما يقولونه ، ويصرفون الجهد فيه هو : هل كان نساء الرسول صلوات الله وسلامه عليه - اللاتي مر عليهن في ليلة واحدة - تسعا أم سبعا في هذا العهد .

وإني أترك المؤمن الذي لا يتقيد بالتقليد الأعمى ، ولا يتبع الأسماء الزانية ، التي دس الدساسون ، وأبطل المبطلون تحت ستارها ، وهي من كل هذا براء . إني أتركه ليفكر في نفسه : هل مثل هذا صحيح ؟ وهل نشر مثله على سواد الأمة جائز ؟

ومن ذلك أيضا ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : « أوتيت قُوَّةَ أربعينَ في البَطْشِ والجماع » .

قوة الرسول  
في الجماع

بالدهاية الدهياء ، والخطبة العمياء ! الرسول الكريم الذي يقول : « إنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . والذي ورد من صفاته وشمائله : أنه كان يستحي كاستحياء البكر في خدرها ، والذي يقول الله تعالى فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

آفة الرسول  
ما قالوا

(١) سورة القلم . آية ٤

هذا الرسول ، وتلك صفاته وأخلاقه ، وهذه شهادة الله تعالى له ، يزعمون أنه قد جالس بين صحابته وقال : يا أيها الناس أنا أوتيت قوة أربعين منكم في الجماع !

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! وأستغفره تعالى مما نسب إلى الرسول الطاهر المطهر ، الذي بعث ليقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ . لا ليقول : يا أيها الناس أنا أقوى من أربعين في إتيان النساء .

وتعالى الله من أن يرسل رسولا هذا شأنه ، وتلك رسالته في الحياة .

على أن هذه الأحاديث وأمثالها ، سواء صح سندها أو لم يصح ، فهي — على ضعفها وظهور بطلانها — قلة لا يعتد بها ، ما دام إلى جانبها إجماع الأمة ، وتظاهر الأحاديث الصحيحة التي تدمغها ، وتظهر أغراض الدين والمشرع بأجل مظاهرها . فلا يفتخمن مجترى ، ولا يبألغن مبطل ، ولا يفتقرين مفتر . إن هي إلا فتنة امتحننا الله تعالى بها ، وكأتمنا عنها بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ .

ولقد كانت الديانات الأخرى محاطة بسياج من العراويل ، مشوبة بكثير من الأباطيل ، فقد اخترع لها واضعوها ومرجوها رموزا وطقوسا ، وأقاموا السدود والقيود ، وحددوا بقاعا ضيقة من الأرض لا يجوز التعبد

الديانات  
قبل الإسلام

الإبها، ولا طلب المغفرة إلا فيها؛ بعد بنجور وعبور، وطبول وزمور؛ كأنما يتقربون للشيطان، أو يستحضرون عقريةً من الجان.

بساطة الاسلام

بفاء الدين الإسلامي فوسع الضيق، وأطلق المقيد، وخلص النفوس

من الزلل، وأبرأ القلوب من العلل، ونقى محيط العبادة من الظواهر الكاذبة،

والمظاهر الباطلة، وجعل الأرض كلها مكان عبادة<sup>(١)</sup>. وجعل روح الدين

روح الاسلام

في البيت وفي الشارع وفي السوق كروحه في المسجد تماماً؛ فروحه في البيت

في البيت والشارع

والسوق

والشارع والسوق: عبادة عملية، وفي المسجد: عبادة نظرية؛ هي أقرب

ما يكون إلى تصفية وجرد شئون الحياة كلها.

ولو فهم الناس أن الدين في البيت والسوق أهم منه في المسجد؛

الدين المعاملة

لاستطاعوا أن يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة!

فالمسلم في بيته إذا أحسن<sup>(٢)</sup> لزوجه، ورعى أبناءه، ورحم خدمه<sup>(٣)</sup>؛

كان في عبادة وأى عبادة!

والمسلم في سوقه إذا أدى حق الله تعالى في تجارته؛ فلم يخس الناس

أشياءهم، ولم يغش أحداً من عباد الله، ولم يطفف الكيل والميزان<sup>(٤)</sup>؛ كان

في عبادة كبيرة لا تعدلها عبادة المساجد، وملازمة المعابد.

(١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم: « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

(٢) قال صلى الله تعالى عليه وسلم: « خيركم خيركم لأهله » . والمراد بالأهل: الزوجة .

(٣) قال صلى الله تعالى عليه وسلم: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... » .

(٤) قال تعالى: « ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم

أو وزنوهم يخسرون » .



ليس في الدين  
احتكار

ولم يجعل الدين طبقة معينة تحتكر شئونه : وتقرأ له بأزياء خاصة ،  
وتحبس أنفسها في الظاهر عن كل مباح ، وتستحل في الباطن كل محظور ،  
وتتصرف فيما هو من شأن الله تعالى ؛ فلا غفران إلا بصك منهم ، ولا نعيم  
إلا بإرضائهم ، ولا حجيم إلا بإغضابهم .

لا فضل لأحد  
إلا بالتقوى

بل طالب الإسلام سائر معتقيه أن يتعلمونه ويعلمونه ، ويسترشدون  
بهدية ويرشدون به ؛ فهو ليس وقفا على أحد ، ولا مخصوصا بأحد . بل  
الكل أمام خالقهم ورازقهم سواء : لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .  
والجاهل التقى ، خير من العالم الغوى !

الأثر الاجتماعي  
للقرآن

والقرآن الذى نزل لهداية العالم أجمع ؛ ما كان يصح أن يتخذة بضع نفر  
وقفا عليهم ، يلوون ألسنتهم به ، ويتمشدون بحفظه ، ويحظرون تلاوته  
وآبته وتلقيه إلا بواسطةهم وعن طريقهم .

ألا ترون إلى أمة العرب وقد تطورت — بواسطة القرآن — من  
الجاهلية الجهلاء ، إلى المدنية العليا ، فى أقل من ربع قرن . وهى مدة  
لو كانوا قلبوا البيوت فيها مدارس ، والقرى معاهد ، وأنوهم بكار فلاسفة  
اليونان والرومان والفرس ؛ لما استطاعوا أن يزحزحوهم عما كانوا عليه من  
مصائب اجتماعية ، وبلايا أخلاقية .

لقد كانوا كالبهائم ، بل وشرا من البهائم ، فإذا بهم — طفرة — خلفاء  
الله تعالى فى أرضه ، وأمناؤه على رسالته .

القرآن الذى هذا شأنه ، وذلك أثره ، ليس لنا منه سوى سماع الأصوات ،  
والاهتزاز للنغمات ، ومراعاة غنِّه ومدِّه ، وملاحظة حركاته وسكاته .

أما التأمل في معانيه ، والتدبر في مرامييه ، فليس منا ولسنا منه  
في شيء !

القرآن الذى أحيا آباءنا من العدم ، وجعل منا خير الأمم ؛ لا حظ له  
عندنا سوى تحسين رسمه ، والمحافظة على هيكله .

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

ويهمنا قبل أن نختم باب القراءات أن نشير الى النهى الصريح الوارد  
عنها ، الذى يقطع بعدم جواز القراءة بها فى زماننا الآن . ولا نرى فى النهى  
عن القراءات ، وعدم الوثوق بها أكثر من أمر عثمان رضى الله تعالى عنه  
بتركها - وهو من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم - ومتابعة فضلاء  
الصحابة له ، وإقرارهم لفعله .

خلاصة القول  
فى منع القراءات

قال ابن جرير الطبرى<sup>(١)</sup> رضى الله تعالى عنه :

قول ابن جرير  
الطبرى فى ذلك

« ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه  
اختلاف الناس فى القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم ؛ جمعهم على حرف  
واحد ، وهو هذا المصحف الإمام . واستوسقت له الأمة<sup>(٢)</sup> على ذلك ، بل  
أطاعت ورات أن فيما فعله الرشد والهداية ، وتركت القراءة بالأحرف السبعة<sup>(٣)</sup>

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى سنة ٣١٠ هجرية .

(٢) استوسقت الإبل : اجتمعت . والمعنى المراد : اجتمعت له الأمة على ذلك .

(٣) لعل الإمام ابن جرير كان يرى تأويل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « أنزل القرآن

على سبعة أحرف » : على أنها القراءات السبع ؛ وهو قول لا يتفق مع ما حققناه آنفا عند ذكر هذا  
الحديث ، وما قاله جلة العلماء الفضلاء .

التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ، ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وانعفت آثارها ، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها ؛ لدثورها وعفو آثارها ... فإن قال من ضعف معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمرهم بقراءتها ؟ قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة .

« انتهى كلام الطبري بلفظه »

والطبري وهو أقرب منا لوقت نزول القرآن وقراءة القراءات بأكثر من عشرة قرون ونصف ؛ يقول باندثارها وعفو آثارها ، وأنها درست من الأمة معرفتها . فمن أين جاءوا لنا بالقراء والقراءات بعد مضي مئآت السنين ، وانقراض ملايين الملايين ؟

قول الطحاوي  
والباقلاني  
وابن عبد البر  
في ذلك

وقد أجمع الإمام الطحاوي ، والقاضي الباقلاني ، وأبو عمر بن عبد البر ، وغيرهم من أئمة الكلام ؛ على أن القراءات جميعها كانت رخصة في أول الأمر لتعسر القراءة بلغة قريش على كثير من الناس ، ثم نسخت بزوال العذر ، وتيسر الحفظ ، وكثرة الضبط ، وتعلم الكتابة<sup>(١)</sup> .

القراءة الحقة  
الواجبة

لم ينزل الله تعالى القرآن الكريم ليتقعر بعض الناس في مخارج حروفه ، ويتنطح في قراءته ، ويشغلون أنفسهم في إحصاء أحرفه ، وفي تعداد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصاف الأحزاب وأرباعها ، إلى غير ذلك من الأمور

(١) وهذا القول من أوجه ما قيل في القراءات .

التي تدل على كساد العقل ، وفساد الذهن . وذلك بغير تعرض لمعانيه ،  
ولا تدبر لما أودعه الله تعالى فيه . ويسمون أنفسهم بالقراء ؛ وهم أبعد  
الناس عن القراءة والقرآن ؛ لأن القرآن الكريم شبه الكافر بالأعمى والأصم .  
في حين أن الكافر من حيث الحواس الظاهرة أشد إبصاراً وسماعاً  
من المؤمن .

ولكن الكافر لما كان غير مستفيد بما يرى ولا بما يسمع : سمي بالأعمى  
والأصم . فكذا قارئ القرآن إذا شغل نفسه بما لم ينزل القرآن من أجله ،  
وأضاع عمره فيما لا طائل وراءه ؛ فليس بقارئ .

وإن العامى الذى يقرأ القرآن فتتندى عيناه حين يمرّ بأى العذاب ،  
وتنفرج أساريره حين يمرّ بأى الرحمة ؛ فهو أقرأ من سائر القراء ، وأعلم  
بالقرآن من سائر العلماء . لأنه ينتفع بما يقرأ ، ويستفيد بما يعلم !

وَجُودًا بِمَا كَرِهَ الْغَالِبِينَ  
وَجُودًا بِمَا كَرِهَ الْغَالِبِينَ

وَمَا كُنَّا بِمُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا

## تمهيد

لما كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى أبد الدهر ، والمرشد  
الأسمي إلى معرفة الله تعالى ، والهادي الأعلى إلى طريق الجنة ونيل خيري  
الدنيا والآخرة . وكان تبليغه واجبا إلى الخلق كافة ؛ لا فرق بين أعجمي  
وعربي ، ورومي وفارسي ؛ كان الواجب على العلماء - الذين هم ورثة  
الأنبياء - وعلى سائر الناطقين بالضاد ؛ أن يبادروا إلى تبليغه للأمم  
التي لم يصلها نوره ، ولم ترتق بتعاليمه ؛ لتم بذلك رسالة الرسول عليه  
الصلاة والسلام . إذ أنه أرسل إلى الخلق كافة ، ولم يرسل إلى العرب  
خاصة .

القرآن  
هو المعجزة الكبرى

واجب العلماء  
والمثقفين  
حيال الترجمة

ولما كان هذا التبليغ لا يتم إلا بترجمة هذا « النور » إلى لغات  
الأقوام المراد هدايتهم ؛ وجب على الأمة الإسلامية عامة ، وعلمائها  
ومثقفها خاصة : القيام بمهمة ترجمته إلى سائر اللغات الذائعة الشائعة .

لذلك قام المرحوم الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي ، شيخ الجامع  
الأزهر ؛ بالدعوة إلى ترجمة القرآن إلى اللغات الحية ، لتم الرسالة ، وتسقط  
المعذرة .

رأى المرحوم  
الأستاذ المراغي

وقد وجد لهذا المشروع مؤيدون كثيرون ، كما وجد له أيضا  
معارضون .

ومما يدعو للأسف أن أكثر المعارضين قد اتخذ هذه المعارضة سبيلا  
للطعن في أشخاص المؤيدين ، مما أخرج كلامهم عن دائرة البحث العلمي ،  
المبني على البرهان العقلي .

وقد تخطت بعض هؤلاء المعارضين في أدلته ، فلم يميز بين ما يصح أن  
يكون دليلا له ، وما يصح أن يكون دليلا عليه .

كتب  
مؤيدى الترجمة

وقد اطلعت على كتب عدة طبعت في هذا السبيل . منها للتأيدين :

« بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها » للرحوم الشيخ محمد مصطفى  
المراغى . وقد سبق نشر بعض فصوله في الجرائد السيارة منذ أعوام ، وهو  
في نهاية الجودة ، و غاية الإفادة . إلا أنه يقول بجواز الترجمة لا وجوبها .  
مع أنها واجبة حتما ، لا جائزة فحسب - كما سنورد من الأدلة - وشتان  
بين الجواز والوجوب .

وكتاب « الأدلة العلمية ، في جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات  
الأجنبية » للأستاذ محمد فريد وجدى بك ، مدير مجلة الأزهر . وهو كتاب  
لا بأس به ، غير أن مؤلفه الفاضل قد استعمل فيه صناعته ، أكثر مما  
استعمل عقيدته . وهو يقول بالجواز أيضا .

وقد وضع هذا الكتاب تأييدا لما كتبه المرحوم المراغى .

وقد قرأت أيضا كتابا للمعارضين . منها :

كتب  
معارضى الترجمة

كتاب « ترجمة القرآن الكريم ، غرض للسياسة وفتنة في الدين »  
للرحوم الأديب محمد الهياوى صاحب المنبر ، وقد نحا فيه مؤلفه منحى  
سياسيا هو بعيد كل البعد عن القرآن ، و ترجمة القرآن .

و « آية التنظيم ، تدافع عن القرآن الكريم » للأستاذ الشيخ أحمد فهمي محمد المحامى الشرعى . وهى منظومة شعرية بعيدة كل البعد عما نحن بسبيله وهى أيضا خلو من الأدلة التى يعبأ بها ، أو يردّ عليها .

و « القول السديد ، فى حكم ترجمة القرآن المجيد » للأستاذ محمد مصطفى الشاطر ، القاضى الشرعى . إلا أن أدلته لا تخرج عن أدلة كآب حدث الأحداث .

و « حدث الأحداث فى الإسلام » للرحوم الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا . وقد قرأنا له كتبا غير هذا الكتاب ، قد بلغت بعض فصولها غاية الجودة . غير أن قريحته — رحمه الله تعالى — قد خانته فى هذا الكتاب ، فأمسى يتلمس الدليل له ، فلا يسوق إلا دليلا عليه .

وبعد دراسة أدلة الفريقين : مؤيدين ومعارضين . رأيت أن أدلى ببعض الأدلة العقلية والنقلية ، التى يرتاح لها ضمير العقلاء ، ويطمئن إليها خاطر العلماء . تاركا الكثير من الأدلة التى تناولها غيرى من المؤيدين ، مكتفيا بالقدر الذى لا يدع لذى غرض مقالا ، ولا لذى طعن منالا .

وسأحاول جهد الطاقة : سرد الأدلة التى لا تحتل إشكالا ، ولا تقبل جدالا . وسأورد من القرآن ، ما يوجب ترجمة القرآن ، وإن لم تصدق فأليك البيان :

نتيجة دراسة  
كتب المؤيدين  
والمعارضين



## وجوب ترجمة القرآن لسائر اللغات

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا لِبَلْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ <sup>(١)</sup> ۝ . وقال أيضا : ﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ <sup>(٢)</sup> ۝ .

عربية القرآن  
دليل الترجمة

ومعنى ذلك — كما لا يخفى على ذى بصيرة : —

أنا قد يسرنا القرآن للتذكر، وسهلناه للتدبر؛ حيث جعلناه قرآنا عربيا بلسانك؛ لتستطيع أن تفهمه لهم، لعلهم يتذكرون معانيه، ويتدبرون صراميه.

لأنه ليس من الحكمة أن نرسله أعجميا إلى أمة العرب، فلا يستطيعون قراءته ولا فهمه ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ <sup>(٣)</sup> ۝ .

ومن هاتين الآيتين المتقدمتين، يؤخذ وجوب الترجمة. إذ أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الناس كافة، ولم يرسل لأمة العرب خاصة.

وقد تقرر في معنى الآيتين أنه لا يصح أن يرسل الله تعالى للعرب قرآنا أعجميا، فكذلك لا يصح أن يرسل للأعاجم قرآنا عربيا.

(١) سورة الدخان . آية ٥٨

(٢) سورة القمر . آية ١٧ و ٢٢ و ٢٣ و ٤٠

(٣) سورة فصلت . آية ٤٤

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا <sup>(١)</sup> ﴾ .

نزول القرآن  
للناس كافة

والمقصود بـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ : هو سائر من على وجه الأرض من بني الإنسان ؛ لا فرق بين عربي وعجمي .

وقال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ <sup>(٢)</sup> ﴾ . والمقصود بالإشارة : هو القرآن .

وقال أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ <sup>(٣)</sup> ﴾ .  
والمقصود بالموعظة هو القرآن أيضا .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ <sup>(٤)</sup> ﴾ . أى لسائر الناس ؛  
عربيهم وعجميهم .

فهل أراد الله تعالى إبلاغ القرآن للعرب فقط دون باقي الأمم الذين  
يبلغون أضعاف أضعاف العرب ؟

وما هو الذنب الذي جتته الأمم الغير العربية والإثم الذي اقترفته ؛  
حتى استحقت الحرمان من الهداية ؟

هذا مع أن الجميع — قبل نزول القرآن — في الكفر سواء . بل وأمة  
العرب كانت أشد الأمم كفرا ، وأعظمها طغيانا وبجورا ، كما سنبين  
فيما بعد .

(١) سورة النساء . آية ١٧٤

(٢) سورة آل عمران . آية ١٣٨

(٣) سورة يونس . آية ٥٧

(٤) سورة الكهف . آية ٥٤

وقال تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۗ ﴾ (١)

ومعنى هذه الآية : وأوحى إلى هذا القرآن لأَنْذِرْكُمْ بِهِ أيها العرب الموجودون الآن ، وَأَنْذِرْ بِهِ مَنْ بَلَغَهُ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ ، ممن سيوجد إلى يوم القيامة .

وجوب إنذار  
العرب لسائر الأمم

فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : يا أمة العرب ، لقد أنذرتكم بهذا القرآن ، فَأَنْذِرُوا بِهِ مَنْ وَرَاءَكُمْ ، وَأَبْلِغُوهُ إِلَيْهِمْ لِيُنذِرُوا بِهِ ، ولتقوم عليهم بذلك الحججة ، وتسقط المعذرة .

وبهذا يكون من لم يبلغه القرآن من سائر الأمم خارجا عن الإنذار .  
وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۗ ﴾ (٢) . أي تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيُنذِرَ بِهِ الْعَالَمِينَ . وهم سائر الأنس — عربهم وعجمهم — وسائر الجن أيضا .

احتجاج  
المعارضين بافتراد  
القرآن بالعربية

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۗ ﴾ (٣) . وقال أيضا : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلسَانٍ عَرَبِيَّةٍ مُبِينَةٍ ۗ ﴾ (٤) . وقال أيضا : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۗ ﴾ (٥) . وقال أيضا :

(١) سورة الأنعام . آية ١٩ (٢) سورة الفرقان . آية ١

(٣) سورة يوسف . آية ٢ (٤) سورة الشعراء . آية ١٩٣ - ١٩٥

(٥) سورة الزمر . آية ٢٧ و ٢٨

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(١)</sup> . وقال أيضا : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال أيضا : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴾<sup>(٣)</sup> . وقال أيضا : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقد احتج بهذه الآيات بعض المانعين للترجمة . ووجه احتجاجهم بها : أن فيها ذكر عربية القرآن ، فيصح أن تكون دليلا على عدم الترجمة ، ووجوب المحافظة على عربيته . وفاتهم أن الله تعالى لم ينزل هذه الآيات وأمثالها ليعلمنا أن القرآن عربي ، وأنه بلسان عربي ، لأن هذا من اللغو الذي يتتزه القرآن عن مثله .

فالقرآن بين أيدينا ، وتحت سمعنا وأبصارنا ؛ نتلوه صباح مساء ، ونعلم كل العلم أنه عربي ، وبلسان عربي . ومن تحصيل الحاصل أن يقول مخلوق عاقل — فضلا عن الرب المتعالى عن النقائص — يا أيها الناس إن هذا القرآن الذى بين أيديكم عربي وليس بعجمي . ويريد بذلك تقرير أنه عربي فحسب .

والواقع أن لهذه الآيات معنى آخر أسمى من هذا المستوى الذى يريد المعارضون أن يتزلوا بالقرآن إليه .

وهذا المعنى : هو أن العلوم والمعارف ، والكتب السماوية السابقة ؛ قد نزلت كلها أعجمية ، فلو نزل القرآن بلغتها لقالوا : إنه منقول منها ،

(١) سورة الزنبرف . آية ٣ (٢) سورة الأحقاف . آية ١٢

(٣) سورة مريم . آية ٩٧ (٤) سورة طه . آية ١١٣

وماخوذ عنها—وقد قال ذلك فعلا بعض المكذبين — ولغة العرب لم ينزل بها كتاب سماوى سوى القرآن ، وقد أرسل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب ؛ لثلاثتهم بقراءة الكتب السابقة ، واختراع هذا القرآن من عند نفسه . وقد نزل القرآن الكريم عربيا باللغة التي لم ينزل بها كتاب من قبل .

وهذه هي حكمة ذكر هذه الآيات وأمثالها في القرآن .

ويصح أن يكون معنى هذه الآيات : يا أيها العرب إنا أنزلنا هذا القرآن عربيا بلغتكم ، فما بالكم لا تفهمونه . لا أنه يريد أن يقول : إنا أنزلنا لكم قرآنا عربيا فلا ترجمونه للأعاجم ، ودعوهم في جهلهم وكفرهم كما فهم المعارضون في هذه الآيات .

وهناك معنى آخر لهذه الآيات : وهو أنها نزلت لما اعترض العرب على القرآن وقالوا : إن فيه ألفاظا خاطئة ليست من العربية . كقوله تعالى ﴿عَجَابٌ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿كِبَارًا﴾<sup>(٢)</sup> وأمثالها مما توهموا فيه ذلك لجهلهم ، وقد اتضح أنه من صميم العربية . فنزلت هذه الآيات وأمثالها ؛ لتعريف أن القرآن عربى غير ذى عوج . أى ليس به خطأ كما ظنتم وتوهمتم .

وقد استدلل بعض المعارضين أيضا بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ

جهل المعارضين  
بمعاني القرآن

- (١) سورة ص . آية ٥ وتامها « أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجيب » .
- (٢) سورة نوح . آية ٢٢ وتامها « ومكروا مكرا كبارا » .
- (٣) وذلك لقوله تعالى « قرآنا عربيا غير ذى عوج » .

عَرَبِيٍّ مَبِينٍ <sup>(١)</sup> . وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ <sup>(٢)</sup> 〉 .

وقد طنطنوا بهاتين الآيتين . وقالوا : إن الله تعالى قد رفض أن يكون القرآن أعجميا ، وأن ينزله أعجميا .

ولا أدري ولا المنجم يدري : أين يوجد المعنى الذي ذهبوا إليه ؟ وإنما الذي أستطيع أن أعلمه وأدريه ، ويعلمه سائر الناس ويدرونه : هو أنهم قد أساءوا فهم هذه الآيات ، وقد عاقبهم جهم للعارضة عن فهمها بالمعنى الذي أنزلت من أجله .

يريد الله تعالى أن يقول : إنكم معشر المكذبين الذين تدعون أن محمدا لم يأت بهذا القرآن من عند الله تعالى ، وإنما علمه إياه بعض الأعاجم <sup>(٣)</sup> ، مخطئون ومخالفون للعقل والمنطق السليم . وكيف تعتقدون ذلك وتقولونه ، مع أن هؤلاء الأعاجم الذين اتهمتموهم باختلاق القرآن لمحمد ، لم يكونوا من العرب الذين يتقنون العربية ، فكيف ينشئون هذا المنطق الفصيح المبين ؟ ونحن لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم فقرأه عليكم بالعربية ؛ لَمَا آمَنْتُمْ لَفِرطٍ عِنَادِكُمْ ، وَلَا زِدْتُمْ طَغْيَانًا وَكُفْرًا .

(١) سورة النحل . آية ١٠٣ - (٢) سورة الشعراء . آية ١٩٨

(٣) وذلك لقوله تعالى « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » وكانوا يعنون بذلك غلاما لحويطب ، يقال له (عائش) أو (يعيش) وكان صاحب كتب . أو هو (جبر) غلام رومي لعاصم بن الحضرمي ، أو هما عبدان (جبر ويسار) كانا يقرآن التوراة والإنجيل . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع لما يقرآن . أو هو سليمان الفارسي . وكلهم أعاجم لا يتقنون العربية .

والمطلع على هذا يرى أنه بعيد كل البعد عما ذهبوا إليه وتوهموه .  
وإن أخوف ما نخافه على القرآن الكريم ، هو من المعارضين المحترفين  
لمعانيه ، لا من المترجمين الساعين لنشر آدابه وأحكامه .

الذي يصح  
حجة للعرب  
يجوز حجة للعجم

ومن أغرب الغرائب أن يستدل المعارضون على منع الترجمة بقوله  
تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ الْكَرِيمِ﴾ .  
وقد فهموا في هذه الآية — مع أنهم من صميم العرب وجملة العلماء  
والفضلاء — أنها جاءت لمنع الترجمة ، وأن الله تعالى قد أنزلها ليمنع عن  
أكثر من تسعة أعشار العالم ؛ استماع القرآن ، والاهتداء بهديه ، والاستنارة  
بنوره .

أنزلها ليقول لأمة العرب : إياكم وتبليغ القرآن إلى من عداكم من  
الأمم ؛ فلا يكم وحدكم أنزلته ، وعن غيركم منعه ، وأتم المكلفون ، وغيركم  
ليسوا مسئولين ولا معذنين .

هكذا فهم المعارضون ، وهكذا يريدون أن يفهم الناس جميعا .

مع أن هذه الآية لا تحتل إطلاقا ما ذهبوا إليه ، وهي — كما يرى  
المطلع المنصف — دليل ناصع ، وبرهان قاطع على وجوب الترجمة  
كما سنبين :

يقول الله تعالى : ولو جعلنا هذا القرآن العربي أعجميا ؛ لقاتل العرب :  
كيف نطبق ذلك ؟ وهل في وسعنا أن نفهم غير لغتنا ؟ وهلا أنزله الله تعالى

عربيا لنستطيع قراءته وتدبره ؟ وهل يصح أن نكون عربا ، وينزل لنا القرآن أعجميا ؟

الناس سوا  
في وجوب  
التبليغ اليهم

وهنا فقط يصح لنا أن نسائل حضرات المعارضين الأفاضل ، المدافعين عن الإسلام من الخطر ، والمحافظين على القرآن من الضياع : أليس بنو آدم سواسية ، يستوى فيهم عربهم وعجمهم ، تركهم وديلمهم ، أمام خالقهم وبارئهم ؟ ألا يستوى كل واحد منهم في وجوب تبليغ الرسالة إليه ، ووجوب إعداره وإنذاره ، ووجوب تخويفه وتبشيريه ؟

وهل إذا قامت الحججة للعرب في أمر من الأمور ، ألا يصح أن تقوم تلك الحججة نفسها للعجم الذين هم مستوون مع العرب في البشرية والإنسانية والآدمية ؟

يقول الله تعالى : لو جعلنا هذا القرآن أعجميا ، لأحججت العرب وقالت : هلا أنزل عربيا ؟

فكذلك تكون حجة الأعاجم — لو لم يترجم لهم القرآن بلغتهم — يقولون : هلا جاءنا القرآن أعجميا بلغتنا ؟

ومن المعلوم أن الله تعالى قد أنزل هذا القرآن لأناس تعقل وتفهم وتقيس . ويعلم أنهم — لا شك — فاهمون مهمتهم الأولى في هذه الحياة ، وهي إيصال ذلك الهدى وإذاعة هذا النور الذي أرسله للناس كافة ، وأنزله لتخليص البشرية من أوضاعها<sup>(١)</sup> ، وإنقاذ الأمم من جهالاتها وشرورها .

(١) أوضاعها : أرساخها .



سبب عدم الترجمة  
في العصور الأولى

قد يقول قائل: قد أنزل هذا القرآن على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم  
— وهو إمام المهادين المهتدين ، ورسول الله تعالى إلى الخلق أجمعين —  
فلم يترجمه ، ولم يأمر بترجمته ، ولم ينطق به إلا بلسانه ، وكذلك كان الخلفاء  
الراشدون من بعده .

وجوابنا على هذا : أن جزيرة العرب في ذلك الحين لم يتم بعد إيمانها ،  
ولم يكتمل إسلامها . وليس من الحكمة في شيء أن يدع الرسول عليه  
الصلاة والسلام بلده وأهله في ظلام دامس ، وضلال مستمر ، وينير بلادا  
ناثية ، ويهدي أناسا أباعد . وهو الذي أنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ  
الْأَقْرَبِينَ <sup>(١)</sup> 》 . أي ابدأ بمن هم أقرب إليك .

وجوب  
الترجمة الآن

أما الآن وقد دانت العرب للإسلام ، وأحست المعجم بما هم فيه من  
الظلام ، فقد وجبت ترجمة القرآن ، وحق تبليغه لسائر بني الإنسان . <sup>(٢)</sup>

واستدل المعارضون أيضا بقوله عز وجل : ﴿ كَتَّابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا  
يَكُنْ فِي سَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ <sup>(٣)</sup> 》 .

(١) سورة الشعراء . آية ٢١٤

(٢) لقد قام دعاة الإصلاح في شتى الممالك الغربية يتادون بوجوب تعديل قوانينهم الوضعية  
إذ قد ثبت مجزها عن إصلاح المجتمع ، ولأن تعداد الجرائم يزداد يوما عن يوم بدرجة تدعو إلى  
البحث والتفكير . وقد دعا أحد كبار الأمر يكتين إلى بحث القوانين السبوية ، ومعرفة ما قررت  
من عقوبات لبعض الجرائم .

وفي وسعنا أن نقول : إن بلاد الحجاز الآن تكاد تنعدم الجريمة فيها إطلاقا ، وما ذلك  
إلا لتنفيذ العقوبات الزادعة ، التي وضعها خالق الناس ، ومن هو أدري بالناس من الناس .

(٣) سورة الأعراف . آية ٢

ومعنى ذلك - كما يتضح لمن عنده أدنى إلمام بالعربية - إنذار الكافرين ، وتذكير المؤمنين .

وليس أمامنا سوى أمرين لا ثالث لهما ، وهما إما أن نعتبر الأمم الأعمجية كافرة ؛ وفي هذه الحال يجب إنذارها بالقرآن ، وأن يكون هذا الإنذار بلسانها ولغتها . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيَسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (١) . وقال أيضا : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢) . وإما أن نعتبر هذه الأمم غير كافرة ، وغير مكلفة ، وغير مسئولة . وهذا ما لم يقله أحد ، ولن يقوله أحد .

ومما يثير الدهش ، ويحمل على العجب ؛ أن يستدل المانعون - رغم سعة علمهم ، وعظيم اطلاعهم - على المنع بقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ إِلَّا شُرُكُوهُ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٣) . وقوله جل شأنه : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِسَلُّوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (٤) . وقوله عز من قائل : ﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ (٥) . وقوله : ﴿ وَإِنْ أَنْتَ إِلَّا تَلْوُ الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ (٦) . وقوله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (٧) .

هل تعقل تلاوة القرآن بالعربية لمن لا يفهمها ؟

- |                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| (١) سورة إبراهيم . آية ٤   | (٢) سورة البقرة . آية ٢٨٦ |
| (٣) سورة الأنعام . آية ١٥١ | (٤) سورة الرعد . آية ٣٠   |
| (٥) سورة الكهف . آية ٢٧    | (٦) سورة النمل . آية ٩٢   |
| (٧) سورة التوبة . آية ٦    |                           |

وكأنى بهم وقد أوردوا هذه الآيات لاشتمالها على الأمر بتلاوة القرآن على الكفار ، وغاب عنهم أن المقصود بالتلاوة هنا ليس التلاوة بالعربية التي لا يفهمونها ؛ وذلك بقصد التعبد بحسب ، بل المقصود بها : البيان لهم ، وإفهامهم وإسماعهم .

وإذا نحن بيننا وأفهمنا وأسمعنا الكافر العربي ؛ فمن <sup>بين</sup> <sup>بين</sup> ويفهم <sup>ويسمع</sup> الكافر الأعجمي ؟

وها نحن أولاء نورد معنى هذه الآيات التي غاب عنهم فهمها ، أو تغابوا - عامدين - في فهم معناها .

يقول الله تعالى : قل يا محمد لا كفار جميعا - عرهم وعجمهم - <sup>تعالوا</sup> أتُل عليكم ما حرمه ربكم . وهو : ألا تشركوا به أحدا غيره ، وأن تحسنوا الى والديكم .

فهل يرى المعارضون أن النهي عن الشرك ، والأمر بالإحسان إلى الوالدين ؛ هو للعرب فقط دون غيرهم ، فلا بأس من أن يشرك بالله تعالى غيرهم من الأمم ، وأن تعق والديهم .

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup>

فلتصور مثلا أننا في حالة حرب ، واستجار أحد كفار الأعاجم بأحد المانعين ؛ فكيف يسمعه كلام الله تعالى بعربيته هذه ؟

(١) سورة التوبة . آية ٦

وإذا أسمع كلام الله تعالى بعربيته - التي لا يفهمها ولا يعلمها -  
هل يكون متبعا لقول الله تعالى ، وَمُنْقَدًا لِأَمْرِهِ : ﴿ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ  
كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ؟

وهل الذي يسمع ما لا يفهم ، يكون سامعا ؟ وكيف نسمع المشركين  
ما لا يفقهون ، ونكلفهم ما لا يطيقون ؟ وقد قال تعالى : ﴿ لَا نُكَلِّفُ  
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا <sup>(١)</sup> ﴾ .

---

(١) سورة الأنعام . آية ١٥٢

## نزول القرآن لسائر الناس

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> ﴾ . وقال أيضا : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ <sup>(٢)</sup> ﴾ .

فكيف يكون ذكرا للعالمين ولما يأت الأعاجم نبؤه ، ولما يدركوا تأويله ، ولما يفقهوا له معنى ، أو يفهموا له مغزى ، وهم من جملة العالمين . وكيف يستطيع الأعجمي أن يقرأ العربية ، أو العربي أن يقرأ الأعجمية ؟

يريد الله تعالى بقوله هذا الذي أنزله على نبيه العربي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى أمته العربية : يا أيها العرب إنني قد أنزلت هذا القرآن تذكرة للعالمين ، فاسعوا — يا من نزل القرآن بلغتهم — إلى تبليغه لسائرهم . وإلا لكان الأمر مما تنزه عنه المولى جل شأنه .

إذ لا يعقل أن ينزل الله تعالى القرآن على أمة العرب فقط ، وينهى عن نقله إلى لغات بقية الناس . ويقول : إني أنزلته لسائر الناس : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) سورة الفلم . آية ٥٢

(٢) سورة يوسف . آية ١٠٤

وقد أورد بعض المعارضين للترجمة قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ <sup>(١)</sup> ﴾ . وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ <sup>(٢)</sup> ﴾ .

وجوب إذاعة  
القرآن  
بين الخليفة

وقد قال ذلك المعارض بعد إيراد هاتين الآيتين ما نصه :

« وهنا لطيفة قرآنية يفهمها أرباب الفهم ؛ فان الآية الثانية ، وهي قبل الأولى نزولا ؛ نهبت إلى أنهم سوف يسألون عن المحافظة على هذا الذكر ، وإشاعته في خليقته » .

وكأن هذا المعارض يرى أن أمة الإنجليز — مثلا — أو الأمم الفرنسية والإيطالية ، والأمريكية ، والأسبانية ، والألمانية ، والروسية ، وغيرهم . ليسوا من الخليفة التي يطلب إشاعة القرآن فيهم ، وتبليغه إليهم .

واستدل أيضا بعض المانعين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا <sup>(٣)</sup> ﴾ . قائلًا : إن الترجمة هي هجر للقرآن .

المانعون للترجمة  
صَادُونَ  
عَنِ  
الْقُرْآنِ

وعلى هذا المذهب فهو يرى أن الذين يريدون أن يتناول القرآن سائر من في الأرض ، وتقرأه جميع الأمم المتمدينة ، ويعمل به سائر الآدميين ؛ يعتبرون في نظره هاجرين للقرآن ، صارفين عنه .

ويرى أن المانعين للترجمة ، الذين يقصرون القرآن على الأمة العربية — التي هي أقل بكثير من عشر العالم — ويحرمون على بقية الأمم المتحضرة

(١) سورة الأنبياء . آية ١٠ (٢) سورة الزخرف . آية ٤ ؛

(٣) سورة الفرقان . آية ٣٠

قراءته ، وحمله ومسه ، يعتبرون متمسكين به ، مذيعين لأحكامه ، موفين لحقه ، غير هاجرين له .

ألا إنهم يأتون منكرا من القول وزورا ، إذ ينسبون للمولى جل شأنه الظلم ؛ حيث يدعون أنه أنزل القرآن عربيا ، وأبى علينا أن نترجمه للأمم الأعجمية . وبعد ذلك يسأل سائر الأمم على السواء ، ويعذب من لم يعمل بالقرآن ؛ سواء منهم من سمعه ومن لم يسمعه ، ومن بلغه ومن لم يبلغه . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !

القول الفصل  
في وجوب الترجمة

ونرى أن القول الفصل في هذا ، هو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بَلْقَاءَ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ، وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ <sup>(١)</sup> .

ومعنى هذه الآيات القاطعة في الدلالة على ما نحن بسبيله : أنا ﴿ آتَيْنَا مُوسَى ﴾ عليه السلام ﴿ الكتاب ﴾ : التوراة . ﴿ تَمَامًا ﴾ للنعمة . ﴿ عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ بالقيام بالأوامر ، واجتناب النواهي ، ﴿ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾

(١) سورة الأنعام . من آية ١٥٤ إلى ١٥٧

(١) يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم ، ومعادهم ومعاشهم ، ( وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِرِيقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ) : يعني بنى اسرائيل . ( وَهَذَا ) : أى القرآن . ( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ) أيها الناس ، ولا تكفروا به كما كفر بنو اسرائيل بكتابتهم . ( وَاتَّقُوا ) العذاب ( لَعَلَّكُمْ ) باتباعكم له ( تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقْسُوا ) أى : أنزلنا هذا القرآن لكلا تقولوا : ( إِمَّا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ) : اليهود والنصارى ، ولم ينزل علينا شئ . ( وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ) . أى : وإن كنا عن قراءة تلك الكتب التي أنزلت لعاجزين ، لعدم معرفتنا لها ، ولأنها ليست بلغتنا . ( أَوْ تَقُولُوا ) : أو لكلا تقولوا : ( لَوْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ) الذى أنزل عليهم ، ( لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ) لصفاء أذهاننا ، وجودة قرائحنا . ( فَقَدْ جَاءَكُمْ ) قطعاً لأعدائكم ، وإسقاطاً لمجتكم : ( بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ) وهو القرآن . ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ ) بعد أن وضحت له ، وصارت في متناول يده ولسانه ، وفي وسع عقله وذهنه ، ( وَصَدَفَ عَنْهَا ) : أى صد الناس عنها ، ومنعهم عن معرفتها والانتفاع بها . ( سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ) .

وكيف لا يكون صادداً عن القرآن ، صارفاً عنه ، من يحيطه بحر من الغموض والإبهام . حتى لا يكاد يقرؤه من يتقن القراءة ، ويحيد الكتابة ؟<sup>(٢)</sup>

(١) المعاد : المرجع ، والمصير ، والآخرة .

(٢) اقرأ ما كتبه في « هجاء القرآن ورسمه » من هذا الكتاب .



كيف لا يكون صاددا عن القرآن وصارفا عنه : من يمنع ترجمته فلا تتناوله  
سائر الأمم الأعجمية ، الذين يستوون معنا في الإنسانية والآدمية ؟ بل وهم  
مخاطبون في نفس القرآن ، المتزل من الرحمن ، لهداية سائر بني الإنسان !  
وقد أراد الله تعالى بقوله : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ  
مِنْ قَبْلِنَا ﴾ : أن يبين لنا وجوب تبليغه لسائر الأمم ؛ خشية أن تقول الأمم  
الأعجمية يوم القيامة : إنما أنزل القرآن على أمة العرب فقط ، ولم ينزل  
إلينا ، ولم يأتنا بشير ولا نذير .

اختلاف  
الحوار بين  
على عيسى

وقد استدلل أيضا بعض المعارضين — غفر الله تعالى له — بحديث  
شريف ، هذا نصه :

« خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ ذَاتَ غَدَاةٍ ،  
فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ بَعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً فَأَدُّوا عَنِّي بِرَحْمَتِكُمْ اللَّهُ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا  
عَلَيَّ كَاخْتِلَافِ الْحَوَارِيِّينَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ  
وَكَيفَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ ؟ قَالَ : دَعَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ . فَأَمَّا مَنْ  
قَرَّبَ بِهِ فَاحْبَبَ وَسَلِّمَ ، وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ فَكْرِهَ وَأَبَى . فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُمْ  
عِيسَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ تَلِكَ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ  
بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعِثَ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ عِيسَى : هَذَا أَمْرٌ قَدْ عَزَمَ اللَّهُ لَكُمْ  
عَلَيْهِ فَأَمضُوا » .<sup>(١)</sup>

(١) حوارى الرجل : خاصته وناصره . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « الزبير بن العوام

ابن عمى ، وحوارى من أمى » .

(٢) قد أورد المعارضون هذا الحديث نقلا عن تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى .

وهذا الحديث الذي أورده المعارضون - خطأ - لصالحهم ، هو

من أقوى الأدلة ، وأوثق البراهين على وجوب الترجمة كما سنبين :

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم : « إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً » :

أى لجميع الخلق ، لا فرق بين عربى وعجمى . « فَأَدُّوا عَنِّي بِرَحْمَتِ اللَّهِ » :

أى فقوموا بمهمة التبليغ من بعدى .

ولا يخفى أن تبليغ القرآن للأعجم بلغة العرب غير ميسور ، وغير

معقول ، وغير مقبول ؛ إذ كيف يفهمون ما لا يدرون ، ويعملون بما

لا يعلمون .

والمقصود من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « دَعَا إِلَى مِثْلِ

مَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ » : أى دعا عيسى عليه السلام لمثل ما دعوتكم إليه من

تبليغ الدعوة ، وأداء الرسالة . « فَأَمَّا مَنْ قَرَّبَ بِهِ فَاَحْبَبَّ وَسَلَّم » : أى من

قرب به هذا الأمر ، وذلك التبليغ ، وكان سهلا عليه ؛ لمعرفته لهجات

القبائل ، ولغات الأمم التى يراد إرساله إليها ؛ فأحب تلك المهمة ، وسلم

بقبولها . « وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ » : أى من بعد به هذا الأمر ، وشق عليه ؛

لأنه لا يعلم ، ولا يتقن سوى لغته التى درج عليها ، ولهجته التى يتكلم بها

« فَكَرِهَ وَأَبَى » هذه المهمة ؛ حيث انه لا يطيقها ، ولا يستطيع القيام بها

« فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُمْ عِيسَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » : أى شكأ إلى الله تعالى

عجز أصحابه وأنصاره ، وعدم استطاعتهم التبليغ ؛ فأجاب الله تعالى شكايته ،

وقبل رجاءه ، وأزال تلك العقبة التى اعترضتهم . وذلك بأن علم كل واحد

منهم لغة القوم الذين بعث إليهم .

يدل على ذلك سياق الحديث : « فَأَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِتَكَلُّمٍ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ ... الخ » .

وجوب تعلم اللغات

أما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَمَا خْتَلَفَ الْخَوَارِيزِيِّينَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » . فمعناه : لا تعترضوا مثل اعتراضهم ، وتقولون : كيف نبليغ أقواما لا نعرف لغاتهم؟ بل تعلموا اللغات ، واسعوا إلى التبليغ بكل الطرق ، وكافة السبل ، لأن هذا العصر الذي نحن فيه ؛ ليس بعصر خوارق العادات ، وعكس المألوفات ؛ كعصر عيسى عليه السلام ؛ الذي حصل فيه إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ؛ بل هو عصر لا يخرج فيه شيء عن حد المعقول والمألوف :

لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعَايَا الْعُقُولُ بِهِ حَرَصًا عَلَيْنَا فَلَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ تَهْمِ

وهذا هو المعنى الوحيد لهذا الحديث الذي أورده المعارضون سلاحا

لهم ، فانقلب سلاحا عليهم .

والإفماذا يكون المعنى إذا جعلنا أمام أعيننا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إِنِّي قَدْ بُعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً » . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾<sup>(١)</sup> ؟

أما المعنى الذي ذهب إليه المعارضون في هذا الحديث ؛ فلا يستقيم لغة ، ولا ديناً ، ولا فقها . وذلك لأنهم ذهبوا إلى أن الخواريين اختلفوا على عيسى عليه السلام ، وخالفوه وأغضبوه . مع أنهم بنص القرآن الكريم

(١) سورة سبأ . آية ٢٨ .

أنصاره إلى الله تعالى ، ولم يرد في القرآن ما ينافي طاعتهم له ، ونصرتهم إياه . بل قد ورد أنهم المثل الأعلى في الطاعة والنصرة . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِئِينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ . قَالَ الْخَوَارِئُونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> 》 .

أما قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْخَوَارِئُونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ <sup>(٢)</sup> 》 . فهو كقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتَى . قَالَ : أَوْلَمْ تُؤْمِنِ ؟ قَالَ : بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي <sup>(٣)</sup> 》 . وأمثال ذلك في القرآن كثير .

وهذا هو معنى الحديث الذي أحموه ليدلوا به — لا على تحريم الترجمة فحسب — بل على تحريم تعلم اللغات أيضا ، وأن تعلمها يكون عقوبة من الله تعالى يصيب بها من يغضب عليه من عباده .

فانظر أيها المسلم اللبيب إلى أي حد بلغ بنا حب الجدل والمعارضة ، وشهوة الفوز والنصر .

لقد بلغ بنا ذلك إلى حد إلغاء عقولنا وأفهامنا ، والتغريب بالسذج والبسطاء من الأمة ، واللعب بالبايهم . وهذا أخف الضررين ، وأقرب الفرضين ؛ أما إذا كانت الأخرى ، وكانوا يتقون بما يقولون ، ويعتقدونه ويفهمونه هذا التهم الذي دقنوه في كتبهم ، وساقوه لجمهور الأمة ؛ فعلى الدنيا السلام ، وعلى العلم العفاء !

(١) سورة الصف . آية ١٤ (٢) سورة المائدة . آية ١١٢

(٣) سورة البقرة . آية ٢٦٠

القرآن روح  
لا كالأرواح

واسمع أيها القارئ الكريم واعجب معي : كيف أنهم لم يفرقوا بين  
الحقيقة والمجاز في لغة القرآن ؛ حيث يقولون :

القرآن روح ، والروح لا يترجم . مستدلين على ذلك بقوله تعالى :  
(يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) . وقوله :  
(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى  
لِلْمُسْلِمِينَ) . وقوله : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ) . وقوله : (يُلْقِي  
الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) . وقوله : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) . وقوله : (أُولَئِكَ  
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ) .

القرآن نور  
لا كالأنوار

وقالوا أيضا : القرآن نور، والنور لا يترجم . واستدلوا بقوله تعالى :  
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) .  
وقوله : (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . وقوله : (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ  
مِنْ عِبَادِنَا) .

- |                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة النحل . آية ٢     | (٢) سورة النحل . آية ١٠٢   |
| (٣) سورة الشعراء . آية ١٩٣ | (٤) سورة غافر . آية ١٥     |
| (٥) سورة الشورى . آية ٥٢   | (٦) سورة المجادلة . آية ٢٢ |
| (٧) سورة النساء . آية ١٧٤  | (٨) سورة الأعراف . آية ١٥٧ |
| (٩) سورة الشورى . آية ٥٢   |                            |

وقد تكلم المعارضون في هذا الصدد كلاماً يشككنا في عقولنا أو عقولهم إذ أنهم ذهبوا إلى أن ما جاء في هذه الآيات حقيقى لا مجازى، وأن ما ورد فيها من وصف القرآن بالروح؛ إن هى إلا روح كسائر الأرواح التى فى الأجساد، والتى لا تُرى، ولا تُحس، ولا تُشمس. وأن ما جاء فيها أيضاً من وصف القرآن بالنور؛ إن هو إلا ضوء كسائر الأضواء، التى لا جرم لها. فكيف تُترجمُ الروح، أو يُترجمُ النور؟

وقد غاب عنهم أن القرآن الكريم روح وأى روح! ولكن ليس بالروح التى يجوز عليها ما يجوز على سائر الأرواح. وأنه نور وأى نور! ولكن ليس بالنور الذى له انطفاء، وليس له بقاء.

إنما القرآن روح تحياً به النفوس والقلوب، بعد أن ماتت بأدران الكفر، وأوضار الذنوب<sup>(١)</sup>.

إنما القرآن نور ينير ظلام الجهل، لا ظلام الليل؛ وشتان بين الروحين، وشتان بين النورين!

وليس الإنسان بانفتاح عيذه، وتحريك فكِّه، وانبساط يديه ورجليه؛ فهذه كلها تشركه فيها سائر الحيوانات العجائوات. وإنما الإنسان بعقله الغريزى الفطرى، الذى تفرد الله تعالى بصنعه. وقد ورد فى الحديث القدسى مخاطبة للعقل بعد خلقه "فَبِكَ أُنْبِئُ وَبِكَ أَعَاقِبُ".

المرء بأصغريه

(١) أوضارها: أوساخها.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ،<sup>(١)</sup>  
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ، لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ، أَفَلَا  
يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ، لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ .<sup>(٢)</sup>﴾

تحكيم القرآن  
للعقل

فتعالوا بنا أيها المعارضون تندبر أي القرآن الكريم ، ونطبقها على قواعد  
المنطق المستقيم ، وعلى سنن العقل القويم .

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ  
رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا .<sup>(٣)</sup>﴾

لا تحاسب الأمم  
إلا بعد سماع  
الآيات

وهذا يدل على أن الأمم لا تستوجب العذاب ، ولا يحق عليها العقاب ؛  
إلا إذا سمعت الآيات ، وزجرت بالعظائم : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ  
رَسُولًا .<sup>(٤)</sup>﴾

فبأي طريق نسمع أبناء التاميز ، وأبناء الرين ، وأبناء الدانوب ؟<sup>(٥)</sup>

- |                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة البقرة . آية ٦٤   | (٢) سورة يونس . آية ٦٧     |
| (٣) سورة يونس . آية ٢٤     | (٤) سورة الأنعام . آية ٩٨  |
| (٥) سورة الأنعام . آية ١٠٥ | (٦) سورة الأنعام . آية ١٢٦ |
| (٧) سورة النساء . آية ٨٢   | (٨) سورة المؤمنون . آية ٦٨ |
| (٩) سورة ص . آية ٢٩        |                            |

(١٠) أمها : عاصمتها . وأم كل شيء : أصله وعماده . وأم القرى : مكة شرفها الله تعالى  
لأنها قبله الناس يؤمنونها ، ولأنها أعظم القرى شأنًا .

- |   |                            |
|---|----------------------------|
| (١١) سورة القصص . آية ٥٩                                | (١٢) سورة الإسراء . آية ١٥ |
| (١٣) التاميز : نهر باخجترا .                            | (١٤) الرين : نهر بفرنسا .  |
| (١٥) الدانوب : نهر برومانيا . ويسمى أيضا : نهر الطونة . |                            |

أُسمِعهم الكتاب الكريم بعربيته هذه ، وهم لا يكادون يفهمون حرفاً منه ؟ أم نلزمهم العمل بما فيه ، ولما يأتهم اسمه ، فضلاً عن رسمه . وليس في وسعهم رؤيته ، فضلاً عن قراءته ؟ وقد حَرَمْنَا عليهم حمله ومسه <sup>(١)</sup> .

وأين هذا من قول الحكيم العليم : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا <sup>(٢)</sup> 》 .  
و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا <sup>(٣)</sup> 》 .

يقول الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا <sup>(٤)</sup>   
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ   
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ   
عَلَىٰ الْكَافِرِينَ <sup>(٥)</sup> 》 .

من لم يتل عليه  
القرآن ليس بكافر

يؤخذ من هذه الآية : أن الكفر الموجب لعذاب جهنم يستلزم إتيان الرسل للأُمم ، وتلاوة الآيات عليهم ، وكفرهم بعد ذلك بهؤلاء الرسل ، وإنكارهم لهذه الآيات .

فما قول المعارضين في أن سائر الأُمم الغربية لم تأتهم رُسُلٌ ، ولم تُنْشَلْ عليهم آيات .

ولو سيقوا إلى جهنم ، وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها : ألم يأتكم رسل منكم ، يتلون عليكم آيات ربكم ، لقالوا للخرزنة : لا ، لا . لم يأتنا

(١) وذلك لقوله تعالى « لا يمسسه إلا المطهرون » على مذهب من يؤول ذلك بحريم مسه وحمله على الكافر والمؤمن غير المتوضئ . انظر ما كتبناه عند « جواز مس المصحف لغير المسلم » وما بعده .

(٢) سورة الأنعام . آية ١٥٢ (٣) سورة الطلاق . آية ٧

(٤) سورة الزمر . آية ٧١



رسول ، ولم تُثَلِّ علينا آياتٌ ، ولم يُنذِرْنَا نذيرَ بقاء هذا اليوم ، فلمَ تعاقبونا ،  
وعلام تحاسبونا ؟

وبذلك يكونون غير ملومين ، وغير معذيين . بل وليسوا بكافرين .

أما إذا ترجمنا لهم الآيات ، وأسمعناهم العبر والعظات ؛ كانوا عن ذلك  
مسئولين ، ومجزيين . ومن آمن منهم نجاء ، ومن كفر بالآيات — بعد أن  
سمعها — ذل وهوى ، وسقطت حجته ، ووهنت معذرتة ، وحق عليه أن  
يدخل جهنم ، وأن يقول له خزنتها : ألم يأتك رسل من جنسك (البشر)  
يتلون عليك آيات ربك ، وينذرونك لقاء يومك هذا ، واصطلاء هذا  
العذاب ؟

وَحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ وَقَتْنُذُ : بلى قد جاءني الرسل ، وتُليَّتْ عَلَى الآيات ؛  
فكذبت بها وعصيت ؛ فَحَقَّ عَلَى الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ ؛ حيث كنت من  
الكافرين المكذبين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ <sup>(١)</sup> ﴾ . فقيسد الكفر  
بجىء القرآن .  
من لم يصله القرآن بلغته فليس بكافر

وكيف نعد الذى لم ياته الذكر كافرا ، وهو لم ياته بشير ولا نذير ؟

وقال عز من قائل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ  
عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ  
وَنَذِيرٌ <sup>(٢)</sup> ﴾ .

ولا يخفى على ذى بصيرة أن المراد بذلك هو القرآن الكريم ، وأن القرآن إذا لم يترجم ويتناوله سائر الناس ؛ قامت لهم الحجة على الله تعالى ، ولم يستوجبوا عذابا ولا عقابا . وكان شأنهم كشأن أهل الفترة تماما<sup>(١)</sup> : لا يحاسبون ، ولا يعذبون .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنبِيُّ زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . أى : إن هذا لنبى كتب المتقدمين ( التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وغيرها من الكتب ) .

كان القرآن أعجبا وترجم الى العربية

ولا يخفى أن الكتب المنزلة كانت بعضها عبريا ، وبعضها سريانيا ، وهى لغات أعجمية . وقد ترجمها الله تعالى لنا إلى العربية ، وعرفنا ذلك لتأسى بما فعله ، وتنبع مأسته .

قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا ، وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .

إنذار الكافرين الذين قالوا : اتخذ الله ولدا

ومعنى هذه الآيات : أن الله تعالى أنزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن لينذر به الكافرين بالهول والعذاب ، ويبشر المؤمنين بالأجر والثواب ، وينذر به الذين قالوا : اتخذ الله ولدا . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !

(١) الفترة : المدة التى تنقضى بين إرسال رسولين .

(٢) سورة الشعراء . آية ١٩٦ (٣) سورة الكهف . من آية ١ الى آية

فهل بعد هذا نقول : لا تجوز ترجمة القرآن إلى اللغات الأعجمية . وبذلك نوقف هذا الإنذار ، ونعوق ذلك التبشير . خصوصا عن الأمم الأعجمية التي قالت - ولا تزال تقول : - اتخذ الله ولدا ، اتخذ الله ولدا .

إنذار الظالمين  
وتبشير المحسنين

قال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّبَشِيرٍ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِيرٍ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

فقد جعل الله تعالى في هذه الآية القرآن نذيرا للذين ظلموا - وهم الكفار . لا فرق بين عربهم وعجمهم ، شريقهم وغربهم - فكيف ننذر به الأعاجم إن لم يترجم إلى لغاتهم ، ويصير في متناول عقولهم ، وألسنتهم ، وأذنانهم ؟

القرآن هو البلاغ  
الواجب التبليغ

قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ .

أى : ليس على الرسل عليهم السلام سوى التبليغ المبين ، الموضح .

فهل إذا أبلغت عربيا بالانجليزية ، أو إنجليزية بالعربية ، تكون مبينا له ، أو مبهما عليه ؟

لا شك في أن الإبانة : هي التبليغ بلغة المبلِّغ إليه ، لا بلغة المبلِّغ . ولا ريب في أن ما عدا ذلك لا يكون تبليغا ، ولا يكون إبانة .

وجوب ترجمة  
نفس القرآن  
لا أحكامه

قد يقول قائل : إن البلاغ لا يجب أن يكون نفس القرآن ، بل يكفي ما يوصل إلى التوحيد ، والأوامر والنواهي فحسب .

وللاجابة على ذلك : نكتفى بأن نورد قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ .

أى « هذا » القرآن « بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ » جميعا : عرب وعجم . فالقرآن نفسه هو البلاغ ، وهو الواجب التبليغ ، وبالتالي واجب الترجمة لجميع الأمم .

(١) سورة الأحقاف . آية ١٢ (٢) سورة النحل . آية ٣٥

(٣) سورة إبراهيم . آية ٥٢

قال الله تعالى : ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> . فهل يرى  
المسانعون أن أمة الإنجليز - مثلا - أو الطليان ، أو الفرنسيين ،  
أو الألمان ، مكلفون باتباع هذا القرآن ، بنص هذه الآية أم لا ؟

هل الأماجم  
مكلفون أم لا ؟

و إذا كانوا مكلفين باتباعه مع تحريم ترجمته إليهم ، ومع عدم معرفتهم  
للغة العربية - التي هي لغة القرآن - فكيف يكلفهم الله تعالى ما لا  
يطبقون ، وهو القائل : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

و إذا كانوا غير مكلفين بالاتباع ، فهل هم مسئولون ، ومجزيون ،  
ومحاسبون أم لا ؟

وقال تعالى أيضا : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا  
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

فاذا نحن قلنا بمنع الترجمة ، كان الأمر باتباع القرآن قاصرا على أمة  
العرب فقط ، وتكون سائر الأمم الأخرى غير مكلفين ، وغير معذيين ، وغير  
مسئولين .

و إذا قلنا : انهم مسئولون ، نسبنا إلى المولى تعالى أنه ما أنشأهم  
إلا ليعذبهم ، وما خلقهم إلا ليظلمهم . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ  
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وجوب تلاوة  
القرآن على الكفار  
بلغتهم

(١) سورة الأعراف . آية ٣ (٢) سورة الأنعام . آية ١٥٢  
(٣) سورة الأنعام . آية ١٥٥ (٤) سورة البقرة . آية ١٥١

يؤخذ من هذه الآية: أن من شرائط وصول القرآن؛ أن يتلى على القوم المراد إيمانهم: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ وَيُقَهِّمَ وَيُعَلِّمُ . وتلك التلاوة وهذا التفهيم والتعليم بلغتهم طبعاً يا ذوى العقول والأفهام .

وكذا أن الله تعالى خص محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة العامة ، وبالبعثة الى الخلق كافة ؛ فقد خص أمته بورثة الأنبياء في التبليغ وأداء الأمانة .

وقد جعل كل نبي شهيداً على أمته ، وجعل هذه الأمة شهيدة على سائر الأمم . قال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنْ تَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ قِنِّ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ<sup>(٢)</sup> .

ومعنى هذه الآية: أن من سمع القرآن واتبعه ؛ فقد اهتدى ، ومن سمعه ولم يتبعه ؛ فقد ضل .

أما الذى لم يسمع ، ولم يقرأ ، ولم يتلى عليه القرآن . بل وأهل القرآن أنفسهم يجرمون عليه لمس المصحف ومسه ؛ فهذا بلا شك غير ضال ، وغير معاقب ، وغير مسئول . بل الضال كل الضلال ، والمعاقب كل العقاب ، والمسئول كل السؤال ؛ هو الذى أُمرَ بالتبليغ فلم يبلغ ، وعهِدَ إليه بالتيسير فلم يسر ، ووَكِّلَ إليه التبيين فلم يبين .

من لم يسمع القرآن  
لا يعاقب

(١) سورة البقرة . آية ١٤٣

(٢) سورة النمل . آية ٩٢

قد يقول قائل : إن منطوق هذه الآية وما سبقها من الآيات : أن  
نتلو القرآن على الكافرين بلغته القرآن التي نزل بها ؛ لأنه لا يسمى قرآنا  
إذا انفصل عن عربيته التي نزل بها .

وجوابنا على هذا : أن سنة الله تعالى في عباده أن يخاطبهم بما يفهمون ،  
ويكلفهم ما يطيقون ، ويأمرهم بما يستطيعون ، ولم تجر سنته تعالى أن يكلف  
الأعمى بالإبصار ، والأبكم بالبيان ، والأصم بالسمع ، والكسحج بالسبق .  
ولا أن يكلف الأعمى بالعربية ، والعربي بالأعجمية ( ولو جعلناه  
قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ) .

ودليلنا في هذا هو دليل المانعين الذي يتمشقون به في كل حين .  
وهو قوله تعالى : ( إنا أنزلناه قرآنا عربياً ) .

ومعنى ذلك : يا أيها العرب إننا لم نكلفكم شططا ، ولم نلزمكم رهقا ؛  
وإنما خاطبناكم بلغتكم التي درجتم عليها ، وسكنتم إليها .

والخلق جميعا - عجمهم وعربهم - أمام الخالق تعالى سواء . فكيف  
يسر للعرب ، ويسر على العجم ، ويهدى العرب ، ويضل العجم ،  
ويسعد هؤلاء ، ويسقى هؤلاء ، وينعم هؤلاء ، ويعذب هؤلاء ، ويرسل  
للعرب قرآنا يهديهم به ، ويحرم على العجم تلاوته ومسه ؟

الخلق كلهم  
سواسية  
أمام خالقهم

إن الله تعالى قد يسر للجميع ، وهدى الجميع ، وأعد النعم لمن أحسن ،  
والعذاب لمن أساء ، وأرسل القرآن لجميع الخلق ( إن هو إلا ذكر للعالمين ) .

(١) سورة فصلت . آية ٤٤ (٢) سورة يوسف . آية ٢

(٣) سورة يوسف . آية ١٠٤

فما بال معارضين يحاولون تحميل البشر ما لا يطيقون ، وتكليفهم بما لا يفهمون ، وأمرهم بما لا يستطيعون .

اللهم إن الحق بين لا يحتاج إلى مدافع ، والدليل ناصع لا يقوى على دفعه معارض .

وليس أماننا الآن إلا إحدى اثنتين :

إما أن نعتبر سائر الناس - عدا الأمة العربية - غير مكلفين ، وغير مسئولين ، وغير مجزيين . وفي هذه الحال نعطل دعوة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، وأنه أرسل إلى الناس كافة .

وإما أن نعتبرهم مسئولين ، ومكلفين ، ومجزيين .

وهنا يجب إبلاغهم ما بلَّغنا ، وإرشادهم إلى ما أرشدنا إليه ، وهدايتهم إلى ما هدينا له ، وإنارة قلوبهم وأفئدتهم بما أنار قلوبنا وأفئدتنا .

القرآن هو السبب  
الوحيد للإيمان

أفأرىتم لو أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم جاءنا فقال : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فآمنوا بي . وسكت ولم يبسط دليلا على رسالته غير هذه الدعوة ، ولم يُقيم برهانا على صدقه . ألا ترون أن جميع الناس في حِلٍّ من تكذيبه وعدم اتباعه ؟

لكن الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم جاءنا فقال : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم . فكذبناه ، وآذيناه ، وحاربناه ، بفناءنا بالقرآن ، فطأنا رؤسنا تسليما وطاعة وانقيادا !

لقد جاء الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه بالقرآن عربيا ؛ فلم  
تؤمن له سائر العرب ، بل وكذبه أكثرهم ؛ فما بال المعارضين يريدون أن  
تؤمن به الأعاجم من غير قراءة ، ولا تدبر !

لم يؤمن سائر  
العرب بالقرآن  
فكيف يؤمن  
الكفار بغير  
القرآن

اللهم إن هذا صد عن الدين ، وطعن في عقلية المسلمين !

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> ﴾ . ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ <sup>(٢)</sup>  
لِلْعَالَمِينَ ﴾ . ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ <sup>(٣)</sup> لِلْعَالَمِينَ ﴾ : أى إن هذا القرآن أنزل  
ليتذكر به سائر الإنس ؛ عربهم وعجمهم — بل وسائر الجن أيضا —  
فما قول المعارضين في هذا ؟

لم ينزل القرآن  
لأمة دون أخرى

يقول الله تعالى : إن هذا القرآن قد أنزلناه لسائر الناس . ونريد نحن  
أن نقصر الدعوة على أنفسنا فحسب . كأن الله تعالى وقف دينه على أمة  
العرب وحدها ، واختصها من بين سائر الأمم — وكثير ما هم — بالجنة ،  
وحرمها على بقية الأمم ، بل وحرم الأمم الأخرى من نعمة سماع القرآن ،  
أو تفهيمه ، أو قراءته .

قد يقول معاند — بمناسبة إيراد هذه الآية — حيث أنك تريد أن  
توجب على الأمة العربية تبليغ القرآن لسائر الناس ، وهذه الآية تقرر أن  
القرآن قد نزل لسائر الإنس والجن ، وقد علمنا كيف نبليغه لغير العرب  
بالترجمة ، فقل لنا كيف نبليغه الى الجن أيضا ؟

تبليغ القرآن  
الى الجن

وجوابنا على ذلك : أن النصوص القرآنية قد توافرت — كما قدمنا —

على وجوب تبليغ القرآن الكريم لسائر الناس ، عربهم وعجمهم .

(١) سورة القلم . آية ٥٢ (٢) سورة يوسف . آية ١٠٤ (٣) سورة الأنعام . آية ٩٠



أما تبليغه الى الجن فقد قامت به فئسة من الجن أنفسهم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ ﴾ (١) . وقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٢) .

(١) سورة الجن آية ١

(٢) « وإذ صرفنا اليك نفرا » : أى أملناهم اليك ، وأقبلنا بهم نحوك . والنفر : دون العشرة

(٣) « فلما حضروه » : أى حضروا مجلس القرآن بحيث كانوا يسمعون من النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم .

(٤) « فلما قضى » : أى انتهت قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن .

(٥) « أجيبوا داعي الله » : أى مجدا صلى الله تعالى عليه وسلم .

روى أن الجن كانت تسترق السمع من السماء ، فلما حست السماء ، ورجحوا بالشهب ، قالوا : ما هذا إلا لنينا حدث . فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشرف الجن حتى بلغوا تهامة ، فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصى ، فاستمعوا لقراءته . وقيل : بل أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بأن ينذر الجن ويقرأ عليهم القرآن . وقد صرف اليه نفرا منهم . فقال لمن حضره من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : إنى أمرت أن أقرأ الليلة على الجن فن يبعثى ؟ قالوا ثلاثا . فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه . قال عبد الله بن مسعود : لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى : لقد انطلقنا حتى إذا كنا بأعلا مكة في شعب الجيون ، فخطب لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطا ، وقال : لا تخرج منه حتى أعود اليك . ثم افتتح القرآن ، وسمعت لفظا شديدا ، فلما عاد قال : هل رأيت شيئا ؟ قلت : نعم رجلا سودا . فقال : أولئك جن نصيبين ، وكانوا اثني عشر ألفا .

(٦) سورة الأحقاف . من آية ٢٩ الى آية ٣١

وقد جرت عادة القرآن الكريم على الإيجاز . وهو ضرب من ضروب  
بلاغته وإعجازه .

فيؤخذ من هذه الآيات أن نفرا من الجن كانوا يستمعون القرآن من  
الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانوا يبلغونه الى قومهم .

أما كيف كان الاستماع ، وكيف كان التبليغ ؟ وهل كانت لغة الجن  
العربية ، أم السريانية ، أم العبرية ؟ فهذا أمر لا يعلمه سوى الله تعالى .  
وإنما الذى علمناه وتيقنناه أن تمت سماع وتبليغ ، وأن ذلك التبليغ كان بلغة  
الجن أنفسهم : عربية كانت أو أعجمية .

وهناك آيات قرآنية لو أولناها على ظاهرها ؛ لقصرنا الإنذار — لا على  
أمة العرب جميعها — بل على آل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقط .  
من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ <sup>(١)</sup> ﴾ . فلو أخذنا ذلك  
المعنى على ظاهره ؛ لكان الدين وقفنا على الأقرب من عشيرة الرسول عليه  
السلام فقط .

بانذار أمة العرب  
يتم إنذار باقى  
العالم .

ولكن المنطق السليم يقول : انه صلى الله تعالى عليه وسلم بإنذار عشيرته ؛  
يتم إنذار أمة العرب ، وإنذار أمة العرب ؛ يتم إنذار بقية العالم . وهذا  
هو المعقول والمقبول ، الذى لا يرتضى العقل سواه .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا : صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ،  
وَعَلَىٰ جَنْبَيْهِ الصَّرَاطِ أَبْوَابٌ مَّفْتُحَةٌ ، وَعَلَىٰ الْأَبْوَابِ سِتُورٌ مَرْخَاةٌ ، وَعَلَىٰ

مثل القرآن  
والإسلام

(١) سورة الشعراء . آية ٢١٤ (٢) « صراطا » : طريقا .

رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَدْخُلُوا الصِّرَاطَ وَلَا تَعْرَجُوا. <sup>(١)</sup> فَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ.  
وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْأَبْوَابُ: مَحَارِمُ اللَّهِ. وَالِدَّاعِي: الْقُرْآنُ.

فما قول السادة المانعين فيمن لم يرهذا الصراط ، ولم يعلم تلك الحدود  
ولم يفقه هذه المحارم ، ولم يسمع ذلك الداعي ؟

عدم الترجمة  
موجب للعنة

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى  
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ <sup>(٢)</sup> .

وأى كتمان للقرآن — الذى أنزل للناس كافة — أشد من منعه عن  
أكثر الأمة المحمدية ، وحبسه عن سائر الأقطار الغير العربية ؟

وقد نعى الله تعالى على أهل الكتاب كتمانهم عن الناس بعد أن أمرهم  
بتبيينه حيث قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ  
وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّاً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ <sup>(٣)</sup> .

مخاطبة كل  
إنسان بلغته

ولا شك أن كل إنسان يجب أن يخاطب بلغته التى يفهمها ، وطبيخته  
التى درج عليها . وليس من المعقول ، ولا من المقبول أن يتعلم العربية  
ليقرأ بها القرآن كما قال المانعون .

أفرايتم لو أن رجلاً جاء فقال : يا أيها العرب تعلموا الإنجليزية لأنى  
قد جئكم بكتاب انجليزي من عند ربكم ، فيه من الأحكام والهداية ما فيه .  
أكنتم متبعية الى ما يقول ، أو مصدقيه فيما يدعى ؟

(١) عرج على المكان : أقام فيه . والمعنى : امشوا على هذا الطريق المستقيم ، الذى هو  
الإسلام . ولا تدخلوا هذه الأبواب ، فانها محارم الله تعالى .

(٢) سورة البقرة . آية ١٥٩ . (٣) سورة آل عمران . آية ١٨٧

لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن العربي ، لأمة العرب . وقد  
بز بلاغته الفصحاء ، وأحرس ببيانه البغاء ، فما آمن له منهم إلا قليل .  
فكيف بالأعاجم إذا هم كلفوا بالعربية ؟

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِقَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ﴾ .

من سمع القرآن  
ولم يعمل به  
فهو كالأصم

ومعنى هذه الآية — لمن عنده أدنى تأمل — قل يا محمد : إن هذا  
القرآن يهدي الذين آمنوا الى طريق الفلاح ، ويرشدهم الى سبيل النجاح ،  
وينقذ نفوسهم من العصيان ، ويشفي قلوبهم من الأدراخ . وأما الذين  
يسمعونه ولا يؤمنون به ؛ ففي آذانهم صمم .<sup>(٢)</sup>

فكيف يحكم الله تعالى على أقوام بالصمم — المجازي لا الحقيقي —  
بدون أن يسمعهم الآيات ، ويسر لهم تناولها وقراءتها ؟

إن الله تعالى — الذي وسعت رحمته كل شيء — قد أبى أن يكلف  
النفوس بما يشق عليها ، أو يثقل كاهلها . حتى بلغ من رحمته بعباده وقت  
نزول القرآن ؛ أن جعله لكل قبيلة من القبائل بلغتها ولهجاتها .

رحمة الله تعالى  
بعباده

واللغات جميعها مخلوقة لله تعالى ؛ لافضل للغة على أخرى ، كما لافضل  
لجميل على قبيح ؛ إذ أن القبح والجمال مخلوقان لله تعالى أيضا .

اختلاف اللغات  
من آيات الله

والمقصود من اللغات : الإبانة عن المقاصد والرغبات ، لافرق  
في ذلك بين عربية وانجليزية ، أو فرنسية وألمانية ، أو تركية وبربرية .

(١) سورة فصلت . آية ٤٤

(٢) شبههم الله تعالى بالصم ، حيث ان حالهم كحالهم . لأن الأصم لا يستفيد مما ينزل  
عليه ، وهم أيضا لم يستفيدوا بما يسمعونه من الآيات والعظات .

افتقار العربية  
إلى الاصطلاحات  
الأعجمية

هذا ولا نغبط اللغة العربية حقها إذا نحن قلنا : أنها — رغم عظمتها وسموها وغناها — لا تزال تفتقر إلى بعض الألفاظ الأعجمية ، وقد سار القرآن الكريم على هذا النهج ؛ فعبّر ببعض الكلمات الأعجمية ، ليعلمنا جواز ذلك ، ويعرفنا أن اللغات جميعها تستوى أمام خالقها ومنشئها ، ويجريها على الألسن . وأن اختلافها لم يكن إلا آية من آياته البينات . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ اللَّسَانِ وَالْوَالِدَاتِ ﴾<sup>(١)</sup> .

خطأ جمع  
اللغة العربية

وقد أخطأ بجمع اللغة العربية خطأ شديدا ؛ إذ يحاول أن يضع لكل مسمى ؛ اسما عربيا ، وقد وقع في محاولاته هذه في التباسات عجيبية ، واشتقاقات غريبة ، وثقل لفظي من أشنع ما عرف في لغة من اللغات من بدء الخليفة حتى الآن .

لقد أطلق المجمع على بعض المسميات — السهلة في النطق والفهم — أسماء ما أنزل الله بها من سلطان : كالطَّرْبَالِ<sup>(٢)</sup> ، والبرطيل<sup>(٣)</sup> ، والوشيعية<sup>(٤)</sup> ، والنَّجَاجَةِ<sup>(٥)</sup> ، والصبهور<sup>(٦)</sup> ، والبظ<sup>(٧)</sup> . وأمثال ذلك من الألفاظ الثقيلة في النطق ، والسمع ، والفهم .

- (١) سورة الروم . آية ٢٢ . (٢) الطربال : العارة الكبيرة . مع أن هذا اللفظ تشترك فيه معان عدة . منها : الصخرة والقطعة من الجبل .  
(٣) البرطيل : الحجر الكبير (البطيخ) وهذا اللفظ أيضا تشترك فيه معان عدة ، منها : الحديد والمول ، والرشوة .  
(٤) الوشيعية : الحواجز ، حديدية كانت أو خشبية . وهو أيضا يطلق على ما يشبه الحصير ، وما يبس من الشجر فسقط ، وعلم الثوب ، وخشبة الحائك ، وغير ذلك .  
(٥) النجاجة : سيفون المرحاض . (٦) الصهور : دولاب المطبخ .  
(٧) البظ : تحريك المعنى لأوتاره تهيئة لها .

وقد غاب عن حضرات أعضاء المجمع الموقر أن الله تعالى قد عبر  
في القرآن — وهو خير الكلام — بالفاظ أعجمية كثيرة من لغات شتى .  
وذلك لأن هذه الألفاظ قد استعملتها العرب في كلامهم ، فلم يعدل عنها  
القرآن الكريم الى غيرها ؛ لسهولة اللفظة الأعجمية على ألسن العرب .  
والمجمع بفعله هذه يحاول ما لم يحاوله رب الخلق تعالى . إذ أن القرآن  
الكريم قد احتوى ألفاظاً كثيرة من لغات متعددة ، فلم يغيرها لشيوعها ،  
وسهولتها على الألسن كما قدمنا .

## الكلمات الأجمية في القرآن

اختلاط الأعاجم  
بالعرب

وقد كان ذلك بسبب اختلاط الأعاجم بالأمة العربية قبل نزول القرآن؛ فانحدرت اليهم ألفاظ من لغاتهم، واستعملتها العرب حتى حسبت من لغتهم وما هي منها. وذلك لذيوع هذه الألفاظ واشتارها في ذلك العهد — كما قدمنا — ولعدم وجود ما يقوم مقامها بالتحديد في أصل اللغة.

الألفاظ الأجمية  
المعربة

كلفظة: «سُنْدِس» . وهو ما رُقَّ من الديباج، و«إِسْتَبْرَقِي» . وهو ما غلظ منه .

والديباج أيضا: لفظة أجمية معربة، تطلق على الثوب الذي سدها ولحمته من حرير صافٍ .

هذا في حين أن اللغة العربية ليس فيها سوى لفظة «حرير» . تطلق على ما رُقَّ وغلظ منه، وعلى ما كانت سدها ولحمته من حرير، أو سدها من حرير ولحمته من نسيج آخر .

وقد زعم بعض أهل العربية أن القرآن الكريم ليس فيه من كلام الأعاجم شيء، وأنه كله — جملة وتفصيلا — بلسان عربي؛ يستدلون على هذا بقوله جل شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا<sup>(١)</sup>﴾، وقوله: ﴿يَلِسَانِ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ<sup>(٢)</sup>﴾ . وقد فاتهم أن وصف القرآن بالعربية؛ هو بمعنى أنه نزل

(١) سورة الزخرف . آية ٣

(٢) سورة الشعراء . آية ١٩٥

بما تنطق به العرب بألسنتها ، وتفهمه بعقولها ، ولم ينزل بما هو شاق عليهم  
غريب عن أذهانهم .

وذلك أن بعض الألفاظ الأجنبية انحدرت الى العرب بسبب  
اختلاطهم بالعجم كما قدمنا ؛ فعزبتها بألسنتها ، واستعملتها في مخاطباتها  
ومحادثاتنا ، وصارت من مفردات اللغة العربية . وليس هذا بضائرها ؛  
فاللغات كلها إن هي إلا مجموعة من لهجات ولغات غريبة عن أصل اللغة ،  
وتصير لغة أصلية بطول الاستعمال ، وكثرة الممارسة . وهذا واضح تمام  
الوضوح في سائر اللغات ؛ خصوصا اللغات الغربية . وتوجد ألفاظ عدة  
تشارك فيها أكثر من لغة واحدة كما سيأتي :

واللغة العربية تعتبر بحق أغنى لغات العالم بكثرة اصطلاحاتها ومفرداتها  
ومشتقاتها .

وقد جاء في القرآن الكريم كثير من الألفاظ الأعجمية من شتى اللغات ،  
وقد جمعها العلامة جلال الدين السيوطي في مؤلف خاص أسماه « المتوكلي »  
وسنورها جميعا إتماما للفائدة :

ورد في القرآن الكريم باللغة الحبشية : « شَطْرَ » : تِلْقَاءُ . « الحِجْبُ »  
الشيطان . « الطَّاغُوتُ » : الكاهن . « حُوبًا » : إثمًا . « الأَوَاهُ » :  
الموقن ، أو المؤمن . وقيل : الأَوَاهُ : الرحيم . « ابْلَعِي » : ازدردي .

(١) « المتوكلي » : نسبة الى الخليفة المتوكل على الله العباسي ؛ حيث أمره بتأليف هذا  
الكتاب . وقد اقتدى السيوطي في هذه التسمية بالإمام أبي بكر الشاشي حيث ألف كتابا في الفقه  
بأمر الخليفة المستظهر بالله ، وسماه « المستظهرى » .

تعريب بعض  
الألفاظ الأعجمية

اللغة العربية  
أغنى اللغات

ما جاء في القرآن  
بالحبشية



« الْمُتَكَا » : الأترج . « طُوْبِي » : اسم الجنة . « السَّكْرُ » : الخمر .  
 « طَهَّ » : يارجل . « وَحْرَمَ » : وَجَبَ . « السَّجَلُ » : الرجل .  
 « المَشْكَاةُ » : الكوة ، والطاقة . « أَوَّيِي » : سَبَّحِي ، و « الأَوَّابُ » :  
 المسبح . « العَرِمَ » : المُسْتَأْتِ التي يجتمع فيها الماء ثم ينشق . « المِنْسَاءُ » :  
 العصا . « يَسَ » : يا إنسان . وقيل : يارجل . « كِفْلَيْنِ » : ضعفين .  
 « نَاشِئَةُ اللَّيْلِ » : قيام الليل . « مُنْفِطِرٌ بِهِ » : ممتلئة به . « القَسْوَرَةُ » :  
 الأسد . « يُحُورُ » : يرجع . « الأَرَاثِكُ » : السرر . « الدَّرِيُّ » :  
 المضىء .

وورد فيه أيضا باللغة الفارسية : « الإِسْتَبْرَقُ » : الديساج الغليظ .  
 « كُورَتُ » : غُورَتُ . « مَقَالِيدُ » مفاتيح .

ووردت أيضا ألفاظ يُظَنُّ بادئ ذي بدء أنها من العربية ، وهي من  
 صميم اللغة الفارسية . فمن ذلك : « أَبَارِيقُ » ، و « بَيْعَ » ، و « كَنَائِسَ » ،  
 و « التَّنُورُ » ، و « جَهَنَّمُ » ، و « دِينَارُ » و « الرِّسُّ » ، و « الروم » ،  
 و « زَنْجَبِيلُ » ، و « سَبْجِينُ » ، و « سُرَادِقُ » ، و « سَقَرُ » و « سَلْسَبِيلُ » ،  
 و « سُنْدُسُ » ، و « قِرطَاسُ » ، و « أَفْقَالُ » ، و « كَافُورُ » و « كَنْزُ » ،  
 و « المَجُوسُ » ، و « الياقوت » ، و « المَرْجَانُ » .

وورد فيه أيضا باللغة الرومية : « فِصْرُهِنَّ » : قَطَّعْنَهُنَّ . « الفِرْدَوْسُ » :  
 البستان ، أو الجنة . « القِسْطُ » : العدل . « القِسْطَاسُ » : الميزان .  
 « طَفِيقًا » : قصدا . « الرِّقِيمُ » : اللوح ، وقيل : الكتاب ، وقيل :  
 الدواة . « الصَّرَاطُ » : الطريق . « القِنطَارُ » : اثنا عشرة ألف أوقية .

ما جاء في القرآن  
 بالرومية

وورد فيه أيضا باللغة الهندية : « ابلعي » : اشربي <sup>(١١)</sup> . « طوبى » اسم  
الحنة . « السندس » : رقيق الديباج <sup>(١٢)</sup> .

ما جاء في القرآن  
بالهندية

وورد فيه أيضا باللغة السريانية : « سرياً » : نهرا . « طه » :  
يارجل . « جنات عدن » : الكروم والأعناب . « الفردوس » : جنات  
الأعناب . « الطور » : الجبل . « الذين يمشون على الأرض هونا » :  
هم العلماء . « هيت لك » : عليك . « ولات » : وليس . « رهوا » :  
ساکنا . « سبحدا » : أى مقنعي رؤوسهم <sup>(١٥)</sup> . « القيوم » : الذى لا ينام .  
« الأسفار » : الكتب . « القمل » : الذباب <sup>(١٦)</sup> . « السيم » : البحر .  
« وصلوات » : كائنس . « القنطار » : ملء جلد ثور ذهباً أو فضة <sup>(١٧)</sup> .

ما جاء في القرآن  
بالسريانية

وورد فيه أيضا باللغة العبرانية : « كفر » : محا . « الذين يمشون  
على الأرض هونا » : هم العلماء <sup>(١٨)</sup> . « أخذ » : ركن . « هدنا » : ثبنا .  
« مرقوم » : مكتوب . « الرمز » : تحريك الشفتين . « الفوم » :

ما جاء في القرآن  
بالعبرانية

- (١) في اللغة الحبشية : ازدرى ، وهما بمعنى واحد .
- (٢) وقد وردت هذه اللفظة أيضا بهذا المعنى في اللغة الحبشية .
- (٣) وقد وردت هذه اللفظة أيضا بهذا المعنى في اللغة الفارسية .
- (٤) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة الحبشية .
- (٥) أقنع رأسه : رفعه .
- (٦) وردت هذه اللفظة في قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل » . وقد ثبت الآن أن الذباب مصدر لثتى أنواع الأمراض المهلكة الفتاكة .
- (٧) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة الرومية بمعنى اثنا عشرة ألف أوقية ، وفي اللغة البربرية بمعنى ألف مثقال من ذهب أو فضة .
- (٨) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة السريانية .

الحنطة . « الأَوَاهُ » : الداعى . « طُوَى » : اسم رجل ، وقيل : طُوَى :  
 ليلا . « السِّمُّ » : البحر .<sup>(١)</sup>

وورد أيضا في الكتاب الكريم : « دَرَسَتْ » ، و « حِطَّةٌ » ،  
 و « الأَسْبَاطُ » ، و « رَاعِنَا » ، و « لَيْنَةٌ » و « الْقِسْيَيْنَ » . وكلها عبرانية .

وورد فيه أيضا باللغة النَّبْطِيَّةِ : « أَسْقَارًا » : كتبا . و « السَّفَرُ » :  
 الكتاب . « الحَوَارِيُّونَ » : الغسالون للثياب . « سَرِيًّا » : نهرا .<sup>(٢)</sup>  
 « السَّفَرَةُ » : القزاء . « فَصْرَهْنَ » : قَطَّعْنَهُنَّ . « طَهَ » : يا رجل .<sup>(٣)</sup>  
 « الطُّورُ » : الجبل . « الفِرْدَوْسُ » : الكرم . « المَلَكُوتُ » : الملك .<sup>(٤)</sup>  
 « هَيْتَ » : هَلُمَّ . « إِيَّا » : الإل : اسم الله تعالى . « رَهْوًا » : سهلا .<sup>(٥)</sup>  
 « عَبَدْتَ » : قتلت . « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ » : أى أمامهم . « قِطْنَا » :<sup>(٦)</sup>

(١) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة السريانية .

(٢) وهى لغة النبط : وهم قوم من الأعاجم كانوا ينزلون بين العراقيين ، ثم استعمل  
 فى أخلاق الناس وعوامهم . ومنه يقال للكلمة العامية : كلمة نبطية (بفتح النون والباء) . ولكن  
 الألفاظ التى أوردناها وجاءت فى القرآن الكريم هى منسوبة للأعاجم الذين كانوا ينزلون من  
 قبل بين العراقيين ، وقد ذاعت لغتهم بين العرب قبل نزول القرآن ، وعربوا كثيرا من ألفاظها ؛  
 فأخذ القرآن منها ما استعرب واستعملته العرب .

(٣) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة السريانية .

(٤) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة السريانية .

(٥) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة الرومية .

(٦) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغتين السريانية والحبشية .

(٧) وقد وردت أيضا بهذا المعنى فى اللغة السريانية .

(٨) وقد وردت أيضا بمعنى البستان ، فى الرومية .

(٩) وقد وردت أيضا بمعنى سائحا ، فى السريانية .

كاتبنا . « إصْرِي » : عهدى . « كَفَّرُ » : امح . « المَقَالِيدُ » : المفاتيح .  
« كَفَلَيْنِ » : نصيين . « أَلِيمٌ » : البحر . « لَأَوْزَرَ » : لا ملجأ ، وهو  
الجبَل .

وورد فيه أيضا باللغة القبطية : « المَسْكَا » : الأترج . « مَنَاص » :  
فرار . « مَرْجَاةٌ » : قليلة . « فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا » : من بطنها . « بَطَانِهَا » :  
ظواهرها . « الجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى » : الآخرة . « فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ » : الأولى .  
واللغة القبطية تسمى الآخرة : الأولى . والأولى : الآخرة .

ما جاء في القرآن  
بالقبطية

وورد فيه أيضا باللغة التركية : « غَسَاقًا » : وهو البارد المنتن بلسان  
الترك .

ما جاء في القرآن  
بالتركية

وورد فيه أيضا باللغة الزنجية : « حَصَبٌ » : حطب . « الْأَلِيمُ » :  
الموجع . « الْمِنْسَاةُ » : العصا .

ما جاء في القرآن  
بالزنجية

وورد فيه أيضا باللغة البربرية : « المُهْل » : عكر الزيت . « إِنَاهُ » :  
نُضْجُهُ . « الْحَمِيمُ » : الذي انتهى حرُّهُ . « مِنْ عَيْنِ آنِيَّةٍ » : جارية .  
« يَصْهَرِيهِ » : ينضج به . « الْأَبُّ » : الحشيش . « القنطار » : ألف  
مثقال من ذهب أو فضة .

ما جاء في القرآن  
بالبربرية

(١) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة العبرانية بهذا المعنى .

(٢) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة الفارسية بهذا المعنى .

(٣) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة الحبشية بمعنى ضعفين وهما بمعنى واحد .

(٤) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة السريانية بهذا المعنى .

(٥) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة الحبشية بهذا المعنى .

القرآن يجمع  
الكثير من اللغات

وهكذا تجدد أن القرآن الكريم يكاد أن يجمع بين دفتيه سائر اللغات  
الذائعة الشائعة في وقت نزوله .

وهو بذلك يحثنا ويرغبنا في تعلم اللغات ، والإحاطة بعلوم ومعارف  
الأمم الأخرى ، ويعترفنا أيضا أنه لا غضاضة أصلا في إطلاق الأسماء  
الأعجمية - التي اشتهرت - على مسمياتها ، بدون حاجة إلى التمسك بالأسماء  
العربية ما دامت لا تؤدي إلى المعنى المطلوب ، أو لاشتهار الإسم الأعجمي  
عليها .

تمسك المجمع  
بتعريب الأسماء  
الأعجمية

وقد زاد من خطا مجمع اللغة العربية أن تمسك بتعريب أسماء المسميات  
التي اشتهرت بأسماء أعجمية ، أو المسميات التي انحدرت إلينا من الغرب  
بأسمائها الأعجمية .

وذلك كقولهم : «البظباظة» مكان القطارة ، و «الدودية» : مكان  
المكرونه ، و «العريف» : مكان الصاغ ، و «الزاجل» : مكان  
البكاشي ، و «حامى الحمى» : مكان سردار الجيوش ، وغير ذلك .

هذا في حين أننا لسنا في حاجة إلى كل هذا التعسف والتحمل .  
ولا حرج مطلقا في استعمال الإسم الأعجمي للمسمى العربي ، وبالأحرى الإسم  
الأعجمي للمسمى الأعجمي . وبذلك جاءت لغة القرآن كما قدمنا .

إبدال المجمع  
لأسماء مشهورة  
بأخرى مهجورة

ولم يقف المجمع عند هذا الحد ؛ بل أبدل أسماء عربية مشهورة ،  
بأسماء أخرى مهجورة .

فن ذلك : القميص . فقد قبح في نظرهم ؛ فأبدلوه باسم «قرقل» .

ولعلك تظنّ أيها القارئ أنّي أمزح ، وأن هذه اللفظة من بنات أفكارى بقصد التشنيع على أعمال المجمع ؛ ولكك لو علمت أن هذه الكلمة عربية بحجة لعذرتنى وعذرت أعضاء المجمع أيضا . فقد أوردت كتب اللغة هذه اللفظة بمعنى : القميص ، أو ثوب للمرأة بدون كمين .

فانظر بربك أيها المنصف إلى سوء هذا الاختيار ، ونقل هذا اللفظ على النطق والسمع .

لما كانت أمة العرب من أحط الأمم ؛ كان من الحكمة أن توجه إليها الزواجر ، وتزل عليها النواهي والأوامر ، وتكون الشرائع والقوانين بلغتها ، حيث أنها أمس الأمم حاجة إلى الهداية ، وأقربها من طريق الغواية .

لقد كانوا يقتلون أبناءهم ، ويشدون بناتهم ، ويبيعون نساءهم ، ويسخرون بفقرائهم ، ويسبون أحرارهم ، ويمعدون عبيدهم ، ويفخرون بفسقهم وبفجورهم .

حتى لقد بلغ من جهل بعضهم وحمقه — بعد أن ثبت له صحة الإسلام ، وفساد ما هو عليه من عبادة الأصنام — أنه لم يرتجع عن ضلاله ، خشية أن يقال عنه : أنه ترك ملة آباؤه وأجداده .

وكانوا يتزوجون أزواج آبائهم ، ويكرهون فتياتهم على البغاء .

وقد بلغ من حطهم وجهلهم أن قالوا : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وكان الأجدر

سبب نزول القرآن  
بالعربية دون  
سائر اللغات

بهم ، والأسلم لعاقبتهم ، أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ، ووفقنا للتمسك به .

لقد كانوا يعبدون الأصنام ، وهى أحط العبادات ، وأخس المعبودات .

ولقد اتخذوا هذه الأصنام من حجارة ، ومن حديد ، بل ومن عجوة أيضا .

فمن أحق من الأمة العربية — وحالتها كما قدمنا — بنزول القرآن ؟ ومن أحق منها بالهداية والإرشاد ؟

الأمة العربية  
من أحط الأمم  
قبل الإسلام

وبالجملة فإن أمة العرب قبل الإسلام كانت فى نهاية الحطة ، وغاية الجهالة .

لقد كانوا كالأنعام ، بل أضل سبيلا من الأنعام ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا <sup>(١)</sup> .  
﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ <sup>(٢)</sup> .

ولم يكن لهم قانون يحكمون به ، أو دستور يرجعون إليه .  
فى حين أن دولتا الفرس والرومان كانتا ذات حضارة راقية ، وأنظمة ثابتة ، وفلسفة عالية .

وكانت لهما قوانين يعملون بها ، ودساتير يمشون عليها .  
وذلك بعكس أمة العرب الذين لم تجمعهم جامعة ، ولم تربطهم وحدة ، ولم يكن لهم ملك يضم شتاتهم .

(١) سورة الفرقان . آية ٤٤ (٢) سورة الأعراف . آية ١٧٩

فأى الأمم - فى عهد الرسالة - قريب من الغواية؟ وأيها أحق بالهداية؟

طبعا لا يختلف اثنان فى أن أمة العرب - التى هى الآن أرقى الأمم بلا مرء - كانت أحط الأمم على الاطلاق ، وأولاهما بالنُدُرِ ، وأحقَّها بتزول ذلك القانون السماوى ، وأحوجها الى هذا النور الربانى .

وقد جاء فى كلام بعض المعارضين : أن الله تعالى لو شاء نقل القرآن الى اللغات التى يراد ترجمته اليها ؛ لأنزله بتلك اللغات ، أو لأنزله على رسل من عنده ، كل رسول باسان قومه . ولكنه لم يفعل ، بل جعله كتابا عربيا ، فذل ذلك على أنه سبحانه لا يريد نقله الى لغات أخرى ، بل ويريد الله تعالى بذلك تعريب العالم كله .

عدم الترجمة  
يزيد الأعاجم  
بعدا عن العربية

وهذا الحجاج يذكرنا بحجاج المشركين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - وهو يدعوهم الى التوحيد - حيث قالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

وهذا أيضا يفتح باب الاحتجاج لطوائف كثيرة من الزنادقة ، تنكر عموم بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتزعم أنه رسول للعرب خاصة .

ولم تنزل الكتب بقصد توحيد الألسن واللغات ؛ بل جعل الله تعالى اختلافها من آياته البينات ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَالِدَاتِ ﴾<sup>(٢)</sup> .



وقد جاء أيضا في كلام بعض المعارضين : أنه يخشى من أن تستعجم  
العرب لو ترجمنا القرآن .

ترجمة القرآن  
تستعرب الأعاجم

هذا في حين أننا وسائر العقلاء نؤكد أن بالترجمة تستعرب الأعاجم ؛  
لأنك لو أذقت إنسانا قطعة من الحلوى فأعجبه طعمها ، وراق لديه ريحها ؛  
سعى الى الحصول على ما يشبعه منها ، ويروى غلته .

فمثل الترجمة للأعاجم ، كمثل إذافة الحلوى لهم ، ومن ذاق فانه  
لاشك ساع الى هذا المعين ، وهو اللغة العربية .

وإذا كنا جميعا - مؤيدين ومعارضين - قد وافقنا على تفسير  
القرآن ونقله من لغته الى لغة العامة ؛ ليستطيعوا فهمه ، فلم لانوافق على نقله  
الى لغة أخرى لقوم آخرين ؛ ليستطيعوا فهمه وتدبره ، والعمل بما فيه ؟  
وإذا حرمتنا الثانية ، فقد حرمت الأولى بالتبعية ، وفي هذه الحالة  
نلزم العامة بتعلم المعلومات التي تؤهلهم الى فهم القرآن الكريم مباشرة  
بدون تفسير .

حكم التفسير بحكم  
الترجمة سواء بسواء

وإذا كان المعارضون - على غزارة علمهم ، وسعة اطلاعهم -  
قد قضوا كل حياتهم ، وأمضوا زهرة شبابهم ، في البحث والتحصيل  
والدراسة . وبعد كل ذلك أخطأوا في فهم آيات القرآن الكريم ،  
وعكسوا معانيها ، وأضاعوا بهجتها ، ولم يعلموا ما يصح أن يكون حجة  
لهم ، وما يصح أن يكون حجة عليهم ؛ فكم نطلب لعامة الناس من الأعمار ،  
حتى يفهموا القرآن على حقيقته بدون تفسير ولا تأويل .

وقد قرّر الامام ابن حجر - وهو من كبار أئمة المحدثين - بوجوب الترجمة حيث يقول :

رأى الامام  
ابن حجر في  
وجوب الترجمة

« إن الوحي متلوا أو غير متلوا ، إنما نزل بلغة العرب . ولا يرد على هذا كونه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بعث إلى الناس كافة ، عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي ، وهو يبلغه إلى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم »  
« انتهى كلام ابن حجر »

وقال جار الله الإمام محمود بن عمر الزمخشري ، صاحب الكشاف . عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾<sup>(١)</sup> :

رأى الامام  
الزمخشري في  
وجوب الترجمة

« فإن قلت : لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وإنما بعث إلى الناس أجمعين ، بل إلى الثقليين ، وهم على السنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم ، فلغيرهم من الأعاجم الحجة .

عدم الترجمة  
حجة للأعاجم

قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة ، أو واحد منها . ولا حاجة لتزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفي التطويل . فبقي أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة : لسان قوم الرسول عليه الصلاة والسلام . لأنهم أقرب إليه ، فإذا فهموا عنه وتبينوه ، وتنوّل عنهم وانتشر ، قامت التراجم ببيانه وتفهمه ، كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمة العجم .

(١) سورة إبراهيم . آية ٤ (٢) الثقلان : الجن والإنس .

ولأنه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها<sup>(١)</sup> ، وكان مستقلا بصفة الإعجاز في كل واحد منها ، وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها ، كما كلم أمته التي هو منها ، يتلوه عليهم معجزا ؛ لكان ذلك أمرا قريبا من الإلحاء<sup>(٢)</sup> . « انتهى كلام الزمخشري »

وقد رووا فيما رووا عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال :  
« لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَالَهُ الْعَدُوُّ » .  
النبي عن دخول المصحف أرض العدو

ولن أعرض لهذا الحديث بالنفي أو الإثبات . إذ هو يحمل بين طياته ما يدل على أنه ليس من كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه . فكيف يقول — وهو المكلف بتبليغ القرآن لسائر الناس عربهم وعجمهم — لا تسافروا بالقرآن لأرض العدو ؟

هذا في حين أنه مكلف من قبل ربه بحمله لسائر الأعداء قبل الأصدقاء .

كيف لا يحمل القرآن للأعداء ، وهم في عداد المخاطبين به ، المبشرين بوعده ، المنذرين بوعيده ؟ أليسوا من أهل الكتاب الذين خاطبهم القرآن بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) اللغات الدائمة في العالم تبلغ حوالي سبعمائة لغة ، وقد جمعت الهند وحدها نيفا ومائتين .

(٢) الإلحاء : أى الإلزام بالإيمان ، بدون تحكيم للعقل والفهم والدليل .

(٣) سورة النساء . آية ٤٧

(٤) سورة آل عمران . آية ٦٤

وإن كانوا ليسوا من أهل الكتاب ؛ أليسوا من الكفار الذين خاطبهم الله تعالى بقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وإن كانوا ليسوا من الكافرين ؛ أليسوا من اليهود الذين خاطبهم الله تعالى بقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وإن كانوا ليسوا من أهل الكتاب ، ولا من الكفار ، ولا من اليهود ؛ أليسوا في عداد الناس الذين خاطبهم القرآن بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ <sup>(٤)</sup> . وقد وردت في مواضع من القرآن الكريم تزيد عن الحصر .

فاذا ما اتضح لنا أن هذا كلام الله تعالى ، وهو في ظاهره وباطنه مُلْزِمٌ لحمل القرآن الى بلاد الأعداء ، سواء كانوا نصارى ، أو يهودا ، أو كفارا — أهل كتاب أو غير أهل كتاب — ألسنا في حل من أن نقول : إن هذا القول المروى ليس بقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأنه قول يتنافى مع صريح القرآن ، والرسول عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ! وكيف يخاف الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينال الكفار القرآن ، وهو مكلف بأن يُنِيلَهُمْ إياه ، ويطلعهم عليه ؟ وما الذي يحدث للقرآن إذا ناله الكفار والمشركون ؟ وهل يُدْهِبُ من بهائمه ، وعظمته ، وروعته ؛ أن يكون بأيدي الكافرين ، كما هو بأيدي المؤمنين ؟

قد يقول قائل : إن الكفار إذا أمسكوا بالقرآن امتننوه وألقوه بدون إجلال له واحترام .

(١) سورة الكافرون . آية ١

(٢) سورة التحريم . آية ٧

(٣) سورة البقرة . آية ٢١

(٤) سورة الجمعة . آية ٦

إلقاء موسى  
الألواح وتكسرها

وجوابنا على هذا: أين نحن من موسى عليه السلام ؛ وقد ألقى الألواح  
على الأرض - وهي في حكم القرآن تماما - فتكسرت وتبعثرت وضاع  
بعضها (وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ<sup>(١)</sup>) . فلم يكن هذا امتحانا للكلام  
الله المكلف بتبليغه .

هذا ولو أن هناك فرقا بين مظهر الامتحان من الحبيب ، والامتحان  
نفسه من العدو . ولكنها أمور يجب ألا يقام لها وزن عند نشر الدعوة ،  
لتعميم الرسالة .

جواز دخول  
المصحف أرض  
الكفار

وقد قال بعض فقهاء المتأخرين بتحريم دخول المصحف إلى أرض  
الكفار ، وقال بعض المفسرين بتحريم مسه لغير المسلم ، ويقول المعارضون  
الآن بتحريم ترجمته . فنخرج من هذه التحاريم الثلاث بأن القرآن الكريم  
يحرم دخوله في بلاد الكفار ، ويحرم عليهم مسه ، وتحرم ترجمته لهم .  
ونخرج أيضا من هذه النتيجة بأن الرسول عليه الصلاة والسلام  
لم يرسل إلى الناس كافة ، بل أرسل إلى أمة العرب خاصة .

وهذه النتيجة لا ترضى المانعين ، ولا المحيزين ؛ لأنها تخالف منطوق  
القرآن الكريم ، ويأبأها العقل السليم .

جواز مس  
المصحف لغير  
المسلم

قد يقول قائل : إن القرآن يحرم مسه بدليل قوله تعالى : ( إِنَّهُ لَقُرْآنٌ  
كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ<sup>(٢)</sup> ) . فنهى سبحانه عن  
المس لغير الطاهر ، فضلا عن الكافر .

(١) سورة الأعراف . آية ١٥٠ .

(٢) سورة الواقعة . من آية ٧٧ إلى ٧٩ .

وجوابنا على ذلك : أنه نفي لا نهى . أى أن المولى سبحانه وتعالى يرد على الكافرين أقوالهم ، واقتراءاتهم ، وطعنهم فى القرآن . وذلك لأنهم قالوا : ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ﴾<sup>(١)</sup> . ﴿ إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿ إِن هَذَا إِلَّا آخْتِلَاقٌ ﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿ وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آكْتَتَبَهَا فِيهِ نُحْمَلُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾<sup>(٤)</sup> . إلى غير ذلك من إفكهم وضلالهم .

فرد عليهم بقوله : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ . أى إن هذا المتلوه لقرآن عظيم ، وكان قبل نزوله إليكم ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ : مستور ، مصان . وهو اللوح المحفوظ ، فكيف يصل إليه إنسان ، أو يمسه بشر كما تزعمون ؟

وليس منقولاً من أساطير الأولين كما تدعون . ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ . أى لا يمسه هذا الكتاب المكنون ( اللوح المحفوظ ) إلا الملائكة المطهرون من الذنوب ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولا يمسه إلا بأمر ربهم لأنزال ما أمروا بإنزاله على الرسول عليه الصلاة والسلام .

المطهرون  
هم الملائكة  
لا البشر

أما ما ذهب إليه المفسرون من أن المراد بعدم التمس هو القرآن الكريم ، فغير واضح ، إذ أن القرآن إنما نزل لهداية الكافرين ، وإرشاد الضالين ، وهم جميعاً غير مسلمين ، وغير طاهرين . فكيف نحرم عليهم مسه ، وهو لم ينزل إلا لهم ، ولم يخاطب إلا إياهم .

(١) سورة النحل . آية ١٠٣ (٢) سورة الأنفال . آية ٣١

(٣) سورة ص . آية ٧ (٤) سورة الفرقان . آية ٥

أما المؤمن الحسن الإسلام ، فلو شاء ألا يمس القرآن إلا طاهرا  
مطهرا فليفعل .

وعلى هذا المعنى الذى ذهبنا إليه : يجوز مس المصحف للكافر بغير قيد  
ولا شرط ، وللسلم بغير طهارة ؛ إذا لم يكن المقصود من ذلك إهانة  
المصحف أو الإضرار به . فإهانتة كفر لا يعدله كفر .

واجب العلماء  
حبال الترجمة

لقد وضع مما تقدم من الحجج العقلية والنقلية : أن ترجمة القرآن لسائر  
اللغات الحية ؛ أمانة فى عنق سائر المسلمين . وأن النداء بوجوبها ، والسعى  
فى سبيلها ، وبذل النفس والنفيس من أجلها ؛ واجب على سائر العلماء ،  
الذين هم ورثة الأنبياء ، والذين يجب عليهم أن يقوموا بتبليغ دعوة الله ،  
لسائر خلق الله ؛ لا فرق بين عربهم وعجمهم .

المراد من  
الترجمة

ألا فليعلم المسلمون أجمع - المانعون والمحيزون - بأن المراد من  
الترجمة هو وصول الدعوة إلى من لم تصل إليه ، وهداية من عنده استعداد  
للهداية ، وإقامة الحجّة على من أجاب داعى الغواية .

المراد من الترجمة : أن نرسل ذلك النور الإلهى إلى الأمم الأخرى ؛  
فمن شاء سار فى ضوئه ففاض ونجا ، ومن شاء تحبط فى دياجير الكفر فذل  
وهوى !

المراد من الترجمة : أن نهدي الناس بما هدينا به ، وأن ننقذهم بما  
أنزله الله تعالى هاديا ومنقذا .

المراد من الترجمة : أن تقوم لله تعالى الحجّة على جميع عباده ، وأن تصل  
دعوته الى سائر خلقه .

المراد من الترجمة : أن تعلم الناس أن للمسلمين قانونا يقضى لصغيرهم من كبيرهم ، ولفقيرهم من غنيهم ، ولضعيفهم من قويهم .

المراد من الترجمة : أن تعلم الأمم الغربية أن ما بلغوه من رقى ، وما وصلوا إليه من مدنية ومعارف ، قد أدركت أضعاف أضعافه الأمة الإسلامية منذ عشرات القرون مدة تمسكهم بتعاليم القرآن .

الأمن في الحجاز

المراد من الترجمة : أن نُعرِّف الفرنج أنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على الأمن في أرقى العواصم الأوروبية ، بقوانينهم الوضعية ، في حين أن رجلا واحدا من البدو استطاع أن يحفظ الأمن بشرعة القرآن ، في بلاد لم يكن فيها من قبل سوى سارق ، أو ناهب ، أو قاطع طريق .

المراد من الترجمة : تعريف سائر الأمم بخاتم النبیین ، وخاتم الكتب . وإفقادهم من الضلالة ، وتخليصهم من الجهالة .

إعجاز القرآن

أما قول المعارضين بأن إعجاز القرآن الكريم في لفظه ، فهو في الواقع تقليل من شأنه ، وانتقاص من قدره .

نعم إن القرآن معجز في ألفاظه ، معجز في معانيه ، ولكن وجه الإعجاز الذي يتضاءل أمامه كل إعجاز ، هو إعجازه في أحكامه ومعانيه ، وفي أوامره ونواهيه .

---

(١) هو جلالة الملك عبد العزيز آل سعود : الذي استطاع بفضل تمسكه بإقامة حدود الله تعالى ، أن يجعل من الحجاز مملكة لا تنضارعها أرقى ممالك العالم في المحافظة على الأمن ، وقطع دابر الفساد والإجرام .



إن الباحث في روح الإسلام ومقاصده ؛ يجد أنه لم يفرق بين أعجمي وعربي ، ولم يجعل فضلا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقد أرسل الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَاهِنًا لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم — قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى — في حجة الوداع :

« لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدَ مِنْكُمْ الْعَابِتَ فُرْبَ مَبْلَغٍ أَوْ عَمِيٍّ مِمَّنْ سَمِعَ » . أى : يا معشر العرب ، يا من رأيتموني ، وأخذتم الدين عنى ، وتلقيتم تعاليمه على ، وتلقنتم كتاب ربكم منى . بلغوا ما أخذتموه ، وانقلوا ما سمعتموه إلى سائر الناس ، فرب رجل تبلغونه القرآن والدين ؛ يكون أوعى منكم أتم يا من سمعتموه منى ، وأخذتموه عنى .

ولا يخفى أن التبليغ — كما قدمنا — يجب أن يكون بلسان المبلغ إليهم ، لا بلسان المبلغ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> . فإذا كان الله تعالى يقول للرسول عليه الصلاة والسلام : إننا لم نرسلك إلا رحمة للناس أجمعين وقد أرسلناك لتخليص البشرية ، وإنقاذ الإنسانية ؛ بإرشاد الناس إلى ما يصلحهم ، وتوجيههم إلى ما ينفعهم .

أمر الرسول  
أتمه بالتبليغ

رسالة الرسول  
رحمة للعالمين

(١) سورة الحجرات . آية ١٣ (٢) سورة سبأ . آية ٢٨ (٣) سورة الأعراف . آية ١٥٨

(٤) سورة إبراهيم . آية ٤ (٥) سورة الأنبياء . آية ١٠٧

فكيف تكون تلك الرحمة مقصورة على فريق دون فريق ، وعلى أمة  
دون أمة ؟

قد يقول قائل : إن المراد برسالة الرسول في هذه الآية : هي تعاليم  
الإسلام ، والحث على التمسك بالفضائل ، واجتناب الرذائل . فلا حاجة لنا  
بترجمة القرآن للأعاجم ؛ بل الواجب ترجمة التعاليم بحسب .

القرآن هو  
المخصوص بالرسالة

وجوابنا على ذلك : أن القرآن الكريم هو الرسالة التي كلف الرسول  
عليه الصلاة والسلام بإبلاغها ، وهو المعجزة التي ثبتت لدينا ودامت :  
دَامَتْ لَدَيْنَا فَمَا قَاتَ كُلُّ مُعْجِزَةٍ \* مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمُ  
ولولا القرآن ما آمن إنسان . ولم تجي المعجزات الأخرى إلا تصديقا لمن  
يحمل تلك المعجزة العظمى ، وتثبيتا له وتوثيقا لأمانته أمام المرتابين من أمته .  
وإلا فما حاجتنا إلى انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين الأصابع ،  
وتكليم الجمادات والحيوانات . إلى غير ذلك مما لم يثبت ثبوتا قطعيا ،  
ولم تكن الأمة في حاجة إليه .

أما القرآن فقد أنزل لإندار الناس جميعا ، وإبلاغهم جميعا ، وتذكيرهم جميعا .  
قال تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ  
وَلِيَذَكِّرَ<sup>(١)</sup> أُولَئِكَ الْآلِبَابِ ﴾ .

يتضح لنا من ذلك : أن المراد من رسالة الرسول عليه السلام : هو  
القرآن بحسب ، وأن نزول القرآن رحمة لجميع الناس ، ولا يجوز أن تختص  
أمة العرب وحدها بهذه الرحمة دون سائر الأمم .

## كيف تكون الترجمة؟

وأنا مهما قللت من شأني، وحقّرتُ من أمرها . فلا أقلّ من أنني إنسان ؛ والقرآن نزل لكل إنسان . ولا أصغر من أنني بشر؛ والقرآن نزل لسائر البشر .

وأنا فوق كل هذا عربي، وقد كلف الله تعالى العرب - بنص كلامه الكريم - بإبلاغ القرآن .

فاذا ما تكلمت في : كيف نبليح القرآن؟ وكيف ترجمه للأعاجم؟ فلا أكون متطفلا، أو متكلمها فيما لا يعنيني .

من المعلوم قطعيا أن الترجمة الحرفية غير ممكنة ، وغير ميسورة . وكذا الترجمة اللفظية<sup>(١)</sup> . وذلك لاختلاف الاصطلاحات ، وتشابه مدلول الألفاظ في شتى اللغات .

فلم يبق أمامنا سوى ترجمة معاني القرآن ، وهي نفسها تسمى « ترجمة القرآن » . لأن المراد من كل مقروء : هو معانيه ومراميه . ولأن الألفاظ إن هي إلا ظرف للمعاني . والمراد من كل شيء المظروف لا الظرف . ولم يرسل الله تعالى لنا القرآن إلا لفهم ما فيه من المعاني ، ونعمل بما جاء به من الأحكام . لا لتغني بالفاظه وحروفه فحسب .

(١) ولو أمكنت الترجمة الحرفية واللفظية ؛ لما جاز العدول عنها إلى غيرها .

فإذا ترجمت تلك المعاني ، وهذه الأحكام ، كانت ولا شك ترجمة صحيحة للقرآن وما جاء به القرآن ، وما أرادته منزل القرآن .

ومن بَلَّغْتُهُ هذه الترجمة ، فقد وصلت إليه رسالة الرسول عليه السلام وأصبح في عداد المنذرين ، الذين حق لهم الثواب بحسناتهم ، ووجب عليهم العقاب بسينئاتهم .

من بلغته الترجمة  
فقد بلغه القرآن

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ رَبِّ الْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . أى أن القرآن الكريم قد تقدم إنزاله في كتب المتقدمين ، وقد سبق إنذار الأمم السابقة به بلغتهم . فهل ترجمه الله تعالى لنا من تلك الكتب ترجمة حرفية ؟

أظن أن جواب كل من يعقل : أن الترجمة إنما كانت للمعاني ، لا للالفاظ ، وأن الترجمة الحرفية مستحيلة من العربية إلى الأعجمية ، أو من الأعجمية إلى العربية .

ورأينا أن تشكل لجنة من كبار العلماء ، المشهود لهم بالذكاء والنبوغ وحسن الفطنة — لا يكبر الأكام والأردان ، وطول الأجسام والأبدان — فتضع هذه اللجنة تفسيرا للمعاني القرآن ، بشرط ألا تقتيد في وضعه بأراء المفسرين المتقدمين ، وأن تتجنب كل ما ورد في بعض التفاسير ، من الأمور

عمل تفسير  
لمعاني القرآن

(١) سورة الشعراء . آية ١٩٦ ، أنظر ما كتبناه في « كان القرآن أعجميا وترجم إلى العربية » .

(٢) ليس المقصود بما ذكرناه تسفيه آراء المفسرين جميعا . فمنهم من أثار الله تعالى بصيرته ، فأهدانا بدائع المعاني ، وفرائد الإعجاز ، وروائع البلاغة .

وإنما المقصود : التحذير مما دس في أغلب كتب المفسرين ، من كيد اليهود وقصص القصاصين ، مما تعافه النفوس ، وتجه الأذواق ، ويخرج القرآن عن معانيه ، ويبعده عن مقاصده ومراميه ، ويلحق بالملائكة المقربين ، والأنبياء المكرمين ، ما ينبغي أن تصونهم عنه .

المستهجنة المزدولة، التي دسها أعداء الدين في الدين، مما يتنافى مع عصمة الأنبياء والملائكة المكرمين .

التوسع فيما لا يفتق  
وعادات الأجانب

مع مراعاة التوسع في المواضيع التي لم تألفها الأعاجم، ولم تتروّض نفوسهم بعد عليها : كتعدد الزوجات - مثلا - فالتنا لو ترجمنا الآيات الواردة فيه بدون أن نشير إلى مزاياه وأثره في المجتمع، وفوائده التي أرادها الشارع الحكيم، كان ذلك بمثابة صد عن الدين، وعن القرآن .

تعدد الزوجات

لأننا لو ترجمنا قوله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا ﴾ . كما هو بدون تعليق، كان مدعاة للسخرية بالقرآن والدين، وتحقيقا لما كتبه المبشرون الملائعين .

وهذه الآية وأمثالها لم تنزل للتوسع والإباحة، بل نزلت للتقييد والحجر؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يتزوجون من النساء ما يشاءون، بدون تقييد . فمنهم من تزوج عشرا - بل وفوق العشر - فترلت هذه الآيات حدا لهم، وحجرا عليهم .

أما الأجانب الآن فانهم لا يديحون سوى التزوج بواحدة فقط، ويرون أن التعدد من الجرائم الوحشية، وأن ارتكابه من أخطر الأشياء على الإنسانية، وأنه هادم لنظام الأسرة والمجتمع .

فيصح أن اللجنة التي تشكل لوضع التفسير المذكور حين تصل لمثل هذا الموضوع من القرآن، تعلق عليه بما تراه من وجهة نظر الدين الإسلامي، ومن

صوابية التعدد وحكمته ، وحاجة النكون والأسرة والمجتمع إليه . مع ذكر القيود التي قيده بها القرآن ، وذكر الآثار التي تترتب على منع التعدد . وأن يكون كل ذلك بأسلوب مهذب ، ووضع دقيق . وهكذا كل المواضع الخلافية ، التي يختلف فيها كتابنا عن كتابهم ، وتقاليدها عن تقاليدهم ، وعاداتنا عن عاداتهم .

وها نحن أولاء نرى الأمم الأوربية تحرم التعدد ، إلا أنها تبيح ما هو شر منه ، وهو المخادنة<sup>(١)</sup> ، والزوجات الغير الشرعيات ، إلى ما لا نهاية له من فسقهم وجورهم<sup>(٢)</sup> .

وبعد إتمام هذا التفسير : يطبع ويعرض في سائر الأقطار الإسلامية ، وتتناوله أقلام الأدباء بالنقد ، وألسنة العلماء والفضلاء بالبحث .

وبعد مضي مدة كافية لذلك النقد ، وهذا البحث : يعقد مؤتمر إسلامي برئاسة كبير من العلماء الأتقياء . وتكون مهمة هذا المؤتمر : النظر في كل نقد وجّه إلى هذا التفسير ، لاستدراك ما يجب استدراكه .

وبعد ذلك تُسَكَّلُ لجنة تضم خيرة المثقفين في دراسة اللغات ، فتترجم هذا التفسير إلى اللغات المراد نقله إليها ، وبعد ذلك تشكل لجنة أخرى لمراقبة عمل الأولى ، حتى إذا ما أقرته بدورها ، شرع في طبعه ونشره فوراً ، غير عابئين بما يقوله المتقولون ، ويرجف به المرجفون .

وبذلك نكون قد حملنا الأمانة ، وأدينا الرسالة ، وقامت على سائر الناس الحججة ، وسقطت عنهم المعدرة .

(١) المخادنة : المصادقة ، وهو اتخاذ العشيقة .

(٢) أنظر ما كتبناه مفصلاً عند تفسير هذه الآية في كتابنا « أوضح التفاسير » .

عقد مؤتمر  
لنقد ما يعمل

اللجنة التي يعهد  
إليها بترجمة القرآن

ونخرج من دراستنا في هذا الكتاب بأربع نتائج :

النتيجة الختامية  
لدراسة  
هذا الكتاب

أولها — أن كَتَبَ المصحف الأول كانوا من الأُمِّيَّةِ بالمكان الذي جعلهم يكتبونه على غير أصول الكتابة الصحيحة . غير أنهم — رضى الله تعالى عنهم — نقلوه للأمة الإسلامية مشافهة كما أنزله الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام . وهو مصان محفوظ طول العمر ، وأبد الدهر . وليس لأحد أن يمنع كتابته أو قراءته على غير الكَتَبَةِ الأولى .

ثانيها — أن القراءات قد أبيضت في بدء نزول القرآن للتسهيل على راغبي الإسلام ودفع المشقة عنهم . وبعد أن فشا الإسلام وذاع ، وانتشرت العلوم والمعارف في الأمة الإسلامية : نهى عثمان عن قراءة القراءات بتاتا ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ بل وقد تم اتفاقهم على إحراق ما عدا قراءة قريش من المصاحف . فليس لكائن من كان أن يقول بجوازها ، بعد منع الصحابة لها .

ثالثها — أن سائر الأحاديث المنسوبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام — مهما بولغ في توثيق روايتها ، وثبوت صحتها — لا يجوز نسبتها إليه صلى الله تعالى عليه وسلم إلا إذا كانت متفقة مع العقل السليم ، والكتاب الكريم ؛ أما إذا اختلفت عن ذلك في شيء فهي مما دَسَّهُ الأعداء ، والرسول منه براء . ولا يحق لمسلم أن يدعى صحة ما يرفضه العقل والذوق والمنطق والدين .

رابعها - أن القرآن الكريم نزل لجميع الناس ، فيجب أن يصل  
لسائرهم بالهجاء الذي يفهمونه ، والرسم الذي يستطيعونه ، واللسان الذي  
ينطقونه . فلا يصح لعاقل أن يقول بتبليغه للعرب بالأعجمية ، أو للأعجم  
بالعربية .

بل تجب كتابته بهجاء من يريدون تعلمه ، وترجمته بلغة من يريدون  
تفهمه . وهذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ، وسبحان الله ، وما أنا من  
المشركين . وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين !



## خاتمة

الحمد لله الذي جعلنا أمةً وسطًا ؛ لنكون شهداء على الناس ،  
ويكون الرسول علينا شهيدًا . وهدانا بالقرآن ، ووفقنا للإيمان !

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا حَوْلَ وَلَا  
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا خُضُوعَ وَلَا اتِّجَاءَ إِلَّا لَهُ . وَلَا تَدَلُّ وَلَا ابْتِهَالَ  
إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا طَلَبَ وَلَا اسْتِجْدَاءَ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا رَحْمَةَ وَلَا غُفْرَانَ  
إِلَّا عِنْدَهُ ، وَلَا أَمَلَ وَلَا رَجَاءَ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا رَاحَةَ وَلَا أَمْنَ إِلَّا  
فِي لِقْيَاهُ ، وَلَا فَوْزَ وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا فِي رِضَاهُ !

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى ، وَلِلْحَمْدِ فِي الْآخِرَى ، وَهُوَ حَسْبُنَا  
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ !



## فهرس الكتاب

صفحة		صفحة	
٢١	النهى عن الزنى	٣	الإهداء
٢١	مقدمات الزنى « بالهامش »	٧	مقدمة
٢٢	التفانر بالزنى		
٢٢	تنظيم الزنى		
٢٢	النهى عن القتل	١٤	القرآن أصل لسائر العلوم
٢٢	عدم الإفراط فى القصاص	١٤	إيجاز القرآن
٢٢	النهى عن أكل مال اليتيم	١٤	القرآن كلام لا كسائر الكلام
٢٣	الوفاء بالمهود	١٥	الترغيب
٢٣	إيفاء الكيل والميزان	١٥	الترهيب
٢٣	التداخل فيما لا يعنى	١٦	الزجر
٢٣	مسئولية السمع والبصر والقواد	١٦	الوعظ
٢٤	النهى عن الكسبر	١٦	الإلهيات
٢٤	دعوة القرآن	١٦	القرآن نور
٢٤	العبادات التى دعا إليها الإسلام	١٧	لغة القرآن
٢٤	الصلاة والصوم والصدقة	١٧	عبارات القرآن
٢٤	الحج	١٨	القرآن لسائر الأمم والأجيال
٢٥	هداية العرب	١٩	بعض أوامر القرآن ونواهيها
٢٥	توجيه القرآن	٢٠	القرآن يخاطب كل قرن
٢٥	مسيلة الكذاب	٢٠	الإحسان إلى الوالدين
٢٥	الأسود العننى	٢١	برّ القرني والمساكين
٢٦	كراهة بعض العرب للرسول عليه السلام	٢١	النهى عن التبذير
٢٦	الآثار اللغوية قبل القرآن	٢١	النهى عن البخل
٢٧	القرآن يرداد حسنا بالتكرار	٢١	النهى عن قتل الأبناء
٢٧	التأثر بسماع القرآن	٢١	تحديد التسلسل

### القرآن

صفحة		صفحة	
٣٠	آلام الحياة	٢٧	الدخلاء في الإسلام
٣٠	اليأس	٢٧	ترك روحانية القرآن
٣٠	الاستسلام	٢٨	الخلاص في تفسير القرآن
٣١	الطاعة بسبب السرور	٢٨	الدمس في معاني القرآن
٣١	التمسك بالقرآن	٢٨	الدمس لم يؤثر على القرآن
٣٢	المفترط في القرآن	٢٨	القرآن ملاذ المسلمين في مصائبهم
٣٢	الويل لمن عاداه القرآن	٢٩	القرآن ملاذ المسلمين في ضعفهم
٣٢	خلود قاتل العمدة في النار « بالهامش »	٢٩	لذائد الدنيا
٣٢	تحريم الجنة على القاتل والأمر به « بالهامش »	٣٠	سلوة القرآن

### جمع القرآن وتدوينه

٣٨	كتابة المصحف	٣٤	سبب جمع القرآن
٣٨	اختلاف الناس في القراءات	٣٤	التفكير في جمع القرآن
٣٨	القراء من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم	٣٤	قل أكثر القراء في وقعة الجامة
٣٨	نهى عثمان رضي الله عنه عن القراءات	٣٤	معارضة أبي بكر في جمع القرآن
٣٨	اختلاف اليهود والنصارى في كتبهم « بالهامش »	٣٥	معارضة زيد بن ثابت في ذلك
٣٩	أمر عثمان رضي الله عنه الناس بقراءة واحدة	٣٥	جمع القرآن في زمان أبي بكر
٣٩	كتابة مصحف عثمان	٣٦	الطريقة التي جمع بها القرآن
٣٩	كتابة المصحف	٣٦	عدم إثبات آية الرجم
٤٠	حرق سائر المصاحف عدا مصحف عثمان	٣٦	سبب عدم جمع القرآن في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام
٤٠	مراجعة عثمان رضي الله تعالى عنه لمصحفه		

### لحن الكتاب في المصحف

٤٤	رأى الضحاك رضي الله تعالى عنه في ذلك	٤١	رأى عائشة رضي الله تعالى عنها في خطأ الكتاب
٤٥	قراءة القرآن على صحته لغة لا على رسمه	٤٢	رأى سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه في ذلك
٤٥	حفظ القرآن من التبديل	٤٣	رأى أبان بن عثمان رضي الله تعالى عنه في ذلك
٤٥	جواز الخطأ على كتاب المصحف	٤٣	رأى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في ذلك

صفحة		صفحة	
٤٧	القراء السبع ... ..	٤٥	عصمة الأنبياء عليهم السلام ... ..
٤٩	زيادة القراءات إلى عشر ... ..	٤٦	تسمية المصحف ... ..
٤٩	القراءات الشاذة ... ..	٤٦	سبب كتابة عثمان رضى الله تعالى عنه للمصحف ... ..
٤٩	كثرة اختلاف الروايات ... ..	٤٦	ترتيب السور ... ..
٤٩	نقط المصحف وشكله ... ..	٤٧	ترتيب الآيات ... ..
٥٠	ما غيره الحجاج في المصحف	٤٧	اختلاف مصاحف السلف في الترتيب ... ..
٥٢	سبب ما فعله الحجاج من التغيير ... ..	٤٧	عودة الناس إلى القراءات ... ..

### هجاء القرآن ورسمه

٦٢	كراهة إحداث شيء في المصحف ... ..	٥٤	أمية الرسول عليه الصلاة والسلام
٦٢	قول الجعفرى «أحد المدافعين عن الرسم القديم» ... ..	٥٤	معجزات عيسى عليه السلام ... ..
٦٣	الرد على هذا القول ... ..	٥٤	معجزات موسى عليه السلام ... ..
٦٣	الخلافا بين الرسم القديم والهجاء الحديث ... ..	٥٥	فصاحة الأمة العريضة ... ..
٦٤	جدول يبين هذا الخلاف ... ..	٥٥	كآل الرسول عليه الصلاة والسلام بأمنته ... ..
٦٥	أخطاء الرسم لا تحدد ... ..	٥٥	بلاغة الرسول عليه الصلاة والسلام وأدبه ... ..
٦٥	كتاب شيخ المقارىء ... ..	٥٦	دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الديمقراطية ... ..
٦٦	تهذيبه من رسم المصحف الحالى ... ..	٥٦	وصف الجاحظ لبلاغة الرسول عليه الصلاة والسلام
٦٦	حذف ألف جمع المذكر السالم ... ..	٥٦	أى بهر الخطباء والأدباء والمتعلمين ... ..
٦٦	مخالفة شيخ المقارىء لرسم المصحف ... ..	٥٧	أمية العرب
٦٧	منع الناس من قراءة القرآن ... ..	٥٧	عجز كاتب المصحف الأول في الإملاء ... ..
٦٧	تكفير من ينقص أو يزيد في الرسم ... ..	٥٨	تلميح علماء الرسم لخطأ الوارد في إملاء المصحف ... ..
٦٧	من قال بعدم جواز الكتابة بالرسم الأول ... ..	٥٩	تعلم الكتابة في الأمة الإسلامية ... ..
٦٨	النبي عليه الصلاة والسلام لم يأمر بهذا الرسم لأنه أمى	٥٩	أول من تعلم الكتابة من العرب ... ..
٦٨	زعمهم بأن المراد بالرسم عدم الاهتداء للتلاوة ... ..	٥٩	اختلاف الهجاء لا يغير النطق ... ..
٧١	التناقض الموجود في رسم المصحف	٦٠	رأى الإمام مالك في هجاء المصحف ... ..
٧١	تحريف صيغة التوكيد إلى صيغة النفى ... ..	٦١	مغالطة علماء الرسم في رأى مالك رضى الله تعالى عنه ... ..
٧٢	نقص الألف وزايتها بغير موجب ... ..		

صفحة	
٨٥	سبب الرسم الأول للمصحف
٨٥	صعوبة قراءة الرسم القديم وتعسيرها
٨٦	رأى العلامة ابن خلدون في كتابة المصحف
٨٧	ابن خلدون يقول يتفعل علماء الرسم وتحكمهم
٨٧	الخط ليس كمالا في حق الأمة العربية
٨٨	الأمية كمال في حق الرسول عليه الصلاة والسلام
٨٨	رسم المصحف ليس بحجة
٨٨	إخلال رسم المصحف بأصول الرسم العربي
٨٩	ليس هناك إجماع على الرسم القديم
٨٩	انقراض الإجماع على مخالفة الرسم القديم
٩٠	الإجماع لا يكون حجة على السنة
	قول عثمان رضي الله تعالى عنه بأن في كتابة المصحف لنا
٩٠	سنتيمية العرب بألسنتها
٩٠	قول عائشة رضي الله عنها بخط كاتب المصحف الأول

صفحة	
٧٣	زيادة أحرف ونقصانها في بعض الكلمات دون بعض
٧٦	رسم الناء مفتوحة في بعض الكلمات دون بعض
٧٨	تلبس الأسباب الواهية لهذا الاختلاف
٧٩	إبدال السين صادًا في بعض المواضع
٧٩	حذف الألف من « قال » في بعض المواضع
٨٠	بطلان ما زعمه القراء من احتمال قراءة « قل »
٨١	حذف الألف من « الأيكة » في بعض المواضع
٨٢	حذف النون من « فإن لم » في بعض المواضع
٨٣	الخلاف الموجود في كتابة المصاحف
٨٣	ترجيح رسم على آخر بلا مرجح
٨٣	أين رسم مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه؟
٨٣	قصور كاتب المصحف الأول في فن الهجاء
٨٤	جواز كتابة المصحف وطبعه بأي هجاء

### تلاوة القرآن وقراءته

٩٨	القراءات المشوهة لمعاني القرآن
٩٩	السكت على الساكن قبل الهمز
١٠١	إدغام الهمز
١٠١	من قال بعدم قوارة القراءات
١٠٢	من دون القراءات
١٠٢	مجاهد مولى العامريين
١٠٢	أبو عمرو الداني
١٠٢	الشاطبي
١٠٣	ابن فيره
١٠٣	لا يجوز قراءة القراءة التي مات أهلها
١٠٣	لا أصل لهذه اللهجات
١٠٤	فساد بعض القراءات لغة

٩٤	فضل تلاوة القرآن
٩٤	القرآن منبع الخيرات
٩٤	من جعلوا دأبهم تلاوة القرآن
٩٤	شفاة القرآن
٩٤	القرآن نور الدور والقصور
٩٥	التعوذ قبل القراءة
٩٥	صيغة التعوذ
٩٦	القراءات إنما جعلت للتيسير لا للتعسير
٩٧	تعسف القراء وتنطعهم
٩٧	قراء القرآن ثلاثة
٩٨	إذا جازت قراءة القراءات فعل أهلها

صفحة	صفحة
١١٦ ... .. رأى الزمخشري في بعض القراءات	١٠٥ ... .. عدم صحة القراءات التي تنافي اللغة
١١٧ ... .. قلة ضبط الرواة ، وقلة دراية القراء	إنكار الرسول عليه الصلاة والسلام لبعض القراءات
١١٨ ... .. إنكار الأخفش لإحدى القراءات	١٠٥ ... .. المشهورة
١١٨ ... .. وجوب اتباع قراءة قريش	١٠٦ قراءة بعض الصحابة
لم يجمع عثمان رضي الله تعالى عنه القرآن إلا لتوحيد	رضوان الله تعالى عليهم
١١٨ ... .. القراءة	١٠٦ قراءة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
١١٩ ... .. من أين بدأ الاختلاف في القراءات	١٠٦ قراءة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
١١٩ ... .. إجماع الصحابة على قراءة واحدة	١٠٦ قراءة أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه
١٢٠ ... .. وجوب الدعوة إلى قراءة واحدة	١٠٧ قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
١٢٠ ... .. سبب جمع أبي بكر رضي الله تعالى عنه للمصحف	١٠٨ قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
١٢٠ ... .. سبب جمع عثمان رضي الله تعالى عنه للمصحف	١١٠ قراءة ابن الزبير رضي الله تعالى عنه
١٢١ ... .. وجوب اتباع رأى عثمان رضي الله تعالى عنه	١١٠ مصاحف بعض الصحابة رضي الله عنهم
زعم القراء بأن اختلاف رسم المصحف لأوجه	١١١ مصاحف التابعين رضي الله تعالى عنهم
١٢١ ... .. القراءات	١١١ الزيادات في المصاحف تفسير لبعض الكلمات
١٢٢ ... .. اختلاف رسم المصحف قد أدى إلى اختلاف القراء	١١١ تفسير القرآن
١٢٢ ... .. الإمامة	١١٢ سبب تسرب الخطأ إلى التفاسير
١٢٣ ... .. رأى الإمام الزركشي في القرآن والقراءات	١١٢ كتب التفسير الصحيحة
١٢٣ ... .. تواتر القراءات السبع	١١٣ من قرأ القرآن بالمعنى
١٢٣ ... .. القراءات لا يجوز قراءتها على غير أهلها	١١٣ شذوذ هذه القراءات
١٢٤ ... .. منع القراءة بما يخالف خط المصحف	القراءات جميعها — شاذة وغير شاذة — لم تختلف
١٢٥ نزول القرآن على سبعة أحرف	١١٤ في التشريع
١٢٥ ... .. اختلاف عمر مع هشام في القراءة	١١٤ ... .. القراء في صدر الإسلام
١٢٦ ... .. رأى أبي عبيد في نزول القرآن على سبعة أحرف	١١٤ ... .. أئمة قراء الشواذ
١٢٦ ... .. رأى الكرماني في ذلك	١١٥ ... .. من قرأ القرآن بالمعنى متعمدا
١٢٦ ... .. رأى القاضي عياض في ذلك	١١٥ ... .. عدم جواز القراءة بالمعنى
١٢٦ ... .. رأى ابن قتيبة في ذلك	١١٥ ... .. جهل القراء

صفحة	
١٤١	المبالغة في المدد .....
١٤١	المد المتصل .....
١٤١	المد المنفصل .....
١٤١	المد اللازم .....
١٤٢	مقادير هذه المدود .....
١٤٢	المبالغة في الغنّ .....
١٤٣	حكمة نزول القرآن .....
١٤٣	عدم جواز القراءة على من لا يعرفونها .....
١٤٣	القراء في مصر .....
١٤٤	ما يناسب كل قطر من القراءات .....
١٤٤	القراءات لا تجوز قراءتها في مصر .....
١٤٥	وجوب القراءة بما يفهم الناس .....
١٤٥	القراءة يجب أن تكون كما تنطق العرب .....
١٤٦	القراء يكفرون من لا يقرأ على قواعدهم .....
١٤٦	كلام العرب .....
١٤٧	تعسف القراء فيما يسمونه « القلقلة » .....
١٤٧	تعسف القراء في تعطيش الجيم .....
١٤٨	السكت الوارد في المصحف .....
١٤٩	السكت عند قوله تعالى : « وقيل من راق » .....
١٤٩	أصل السكت .....
١٤٩	الوقوف على رموس الآي ليس بسنة .....
١٥٠	وجوب وصل ما يستحق الوصل عند الفواصل .....
١٥٠	الفصل بين الفعل ومتعلقه .....
١٥٢	الفصل بين المستثنى والمستثنى منه .....
١٥٢	الفصل بين الفعل والفاعل .....
١٥٣	الفصل بين السبب والمسبب .....

صفحة	
١٢٦	اختلاف القراءة بغير تغيير معناها وبقاء صورة الكتابة .....
١٢٧	اختلاف القراءة مع تغيير المعنى وبقاء صورة الكتابة .....
	اختلاف القراءة مع تغيير المعنى والحروف وبقاء صورة
١٢٨	الكتابة .....
١٢٨	اختلاف القراءة بتغيير صورة الكتابة وعدم تغيير المعنى .....
١٢٨	اختلاف القراءة بتغيير المعنى وصورة الكتابة .....
١٢٩	اختلاف القراءة بالتقديم والتأخير .....
١٢٩	اختلاف القراءة بالزيادة والنقصان .....
١٢٩	رأى الباقلاني في السبعة أحرف .....
١٣١	ما قبل في معنى الأحرف السبعة .....
١٣١	القراءات ليست هي السبعة أحرف .....
١٣١	كانت القراءات للتيسير .....
١٣٢	قراءة القرآن حسب الاستطاعة .....
١٣٣	تضييق القراء وتعسفهم .....
١٣٤	الإشمام .....
١٣٥	ما يقوله القراء باطل مردود .....
١٣٥	رأى كبار القراء في قراءة القرآن ورسمه .....
١٣٦	نسخ المصحف بسائر الأقطار ليست كمصحفنا .....
١٣٦	كيفية قراءة القرآن .....
١٣٦	تنطق القراء في مخارج الحروف .....
١٣٧	أثر تعسف القراء في صلاة العامة .....
١٣٨	رأى الغزالي رضي الله تعالى عنه .....
١٣٨	صرف الشيطان عن فهم معاني القرآن .....
١٣٨	تلاوة القرآن حتى تلاوته .....
١٣٩	تجويد القرآن .....
١٣٩	تعسف القراء في التسهيل .....
١٤٠	تعسف القراء في المد وغيره .....



صفحة	
١٦١	بطلان هذا الحديث .....
١٦٢	قوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في الجماع ...
١٦٢	تبرئة الرسول عليه الصلاة والسلام مما قالوا ...
١٦٣	لا ضير من بطلان بعض الأحاديث .....
١٦٣	الديانات قبل الإسلام .....
١٦٤	بساطة الإسلام .....
١٦٤	روح الإسلام في البيت والشارع والسوق ...
١٦٤	الدين المعاملة .....
١٦٥	ليس في الدين احتكار .....
١٦٥	لا فضل لأحد إلا بالتقوى .....
١٦٥	الأثر الاجتماعي للقرآن .....
١٦٦	خلاصة القول في منع القراءات .....
١٦٦	قول ابن جرير الطبري في ذلك .....
١٦٧	قول الطحاوي والباقلاني وأبن عبد البر في ذلك ...
١٦٧	القراءة الحقة الواجبة .....

صفحة	
١٥٣	الفصل بين القول ومقوله .....
١٥٤	وجوب الوقوف على غير رموس الآي في بعض المواضع
١٥٤	المواضع التي لا يصح الوقوف عليها .....
١٥٥	<b>التاسخ والمنسوخ</b>
١٥٥	أقسام المنسوخ .....
١٥٥	منسوخ الحكم باقي التلاوة .....
١٥٦	منسوخ التلاوة باقي الحكم .....
١٥٧	آية الرجم .....
١٥٨	من أين دليل الرجم ؟ .....
١٥٩	خطأ من قال بنسخ التلاوة وبقاء الحكم .....
١٥٩	ورود الخبر عن الصحابي ليس بحجة .....
١٥٩	حديث عائشة في إرضاع الكبير .....
١٦٠	بطلان هذا الحديث .....
١٦١	حديث طواف الرسول عليه الصلاة والسلام على نسائه

### وجوب ترجمة القرآن وإذاعته

١٧٤	نزول القرآن للناس كافة .....
١٧٥	وجوب إنذار العرب لسائر الأمم .....
	احتجاج المعارضين بإقتراء القرآن بالعربية دون سائر
١٧٥	الكتب السامية .....
١٧٧	جهل المعارضين بمعاني القرآن الكريم .....
١٧٩	الذي يصح حجة العرب يجوز أن يكون حجة للعجم ...
١٨٠	الناس سواء في وجوب التبليغ إليهم .....
١٨١	سبب عدم الترجمة في العصور الأولى .....
١٨١	وجوب الترجمة الآن .....

١٧٠	<b>تمهيد</b>
١٧٠	القرآن هو المعجزة الكبرى .....
١٧٠	واجب العلماء والمنقذين حيال الترجمة .....
١٧٠	رأى المغفور له الأستاذ المراغي .....
١٧١	كتب مؤيدى الترجمة .....
١٧١	كتب معارضى الترجمة .....
١٧٢	نتيجة دراسة كتب المؤيدين والمعارضين .....
١٧٣	<b>وجوب ترجمة القرآن لسائر اللغات</b>
١٧٣	عربية القرآن دليل الترجمة .....

صفحة	
٢٠٣	القرآن هو السبب الوحيد للإيمان ... ..
	لم يؤمن سائر العرب بالقرآن فكيف يؤمن الكفار بغير
٢٠٤	قرآن؟ ... ..
٢٠٤	لم ينزل القرآن لأمة دون أخرى ... ..
٢٠٤	تبلغ القرآن إلى الجن ... ..
	حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه في كيف
٢٠٥	كان تبلغ القرآن إلى الجن « بالهامش » ...
٢٠٦	بإنداراة العرب يتم إنذار باقي العالم ... ..
٢٠٦	مثل الإسلام والقرآن ... ..
	عدم الترجمة موجب للقت واللعنة وكان لما أنزل
٢٠٧	الله تعالى ... ..
٢٠٧	مخاطبة كل إنسان بلغته ... ..
٢٠٨	من سمع القرآن ولم يعمل به فهو كالأصم ... ..
٢٠٨	رحمة الله تعالى بعباده ... ..
٢٠٨	اختلاف اللغات آية من آيات الله تعالى ... ..
٢٠٩	افتقار العربية إلى الاصطلاحات الأجمية للتسهيل
٢٠٩	خطأ جمع اللغة العربية ... ..
٢١١	<b>الكلمات الأجمية في القرآن</b>
٢١١	اختلاط الأعاجم بالعرب ... ..
٢١١	الألفاظ الأجمية المعربة ... ..
٢١٢	تعريب بعض الألفاظ الأجمية ... ..
٢١٢	اللغة العربية أغنى اللغات ... ..
٢١٢	ما جاء في القرآن بالحبشة ... ..
٢١٣	» » بالفارسية ... ..
٢١٣	» » بالرومية ... ..
٢١٤	» » بالهندية ... ..

صفحة	
	عجز القوانين الوضعية عن كبح الجرائم ، واستتباب الأمن
١٨١	في بلاد الحجاز بسبب تنفيذ القانون السماوى « بالهامش »
١٨٢	هل تعقل تلاوة القرآن بالعربية لمن لا يفهمها ...
١٨٥	<b>نزول القرآن لسائر الناس</b>
١٨٦	وجوب إذاعة القرآن بين الخليقة ... ..
١٨٦	القائلون بمنع الترجمة صادقون عن القرآن ، مانعون الاسلام
١٨٧	القول الفصل في وجوب الترجمة ... ..
	قول المعارضين باختلاف الحوار بين على عيسى عليه
١٨٩	السلام ... ..
١٩١	وجوب تعلم اللغات ... ..
١٩٣	القرآن روح لا كالأرواح ... ..
١٩٣	القرآن نور لا كالأنوار ... ..
١٩٤	العقل « المرء بأصغريه » ... ..
١٩٥	تحكيم القرآن الكريم للعقل ... ..
١٩٥	لا تحاسب الأمم إلا بعد سماع الآيات ... ..
١٩٦	من لم يتسل عليه القرآن فليس بكافر ... ..
١٩٧	من لم يوصله القرآن بلغته فليس بكافر ... ..
١٩٨	كان القرآن أجميياً وترجم الى العربية ... ..
١٩٨	إنذار الكافرين الذين قالوا : « اتخذ الله ولداً »
١٩٩	إنذار الظالمين وبشير المحسنين ... ..
١٩٩	القرآن هو البلاغ الواجب التبليغ ... ..
١٩٩	وجوب ترجمة نفس القرآن لأحكامه فحسب ... ..
٢٠٠	هل الأعاجم مكلفون أم لا ؟ ... ..
٢٠٠	وجوب تلاوة القرآن على الكفار بلغتهم ... ..
٢٠١	من لم يسمع القرآن لا يعاقب ... ..
٢٠٢	الخلق كلهم سواسية أمام خالقهم ... ..

صفحة
المطهرون هم الملائكة لا البشر ... .. ٢٢٦
واجب العلماء حيال الترجمة ... .. ٢٢٧
المراد من الترجمة ... .. ٢٢٧
الأمن في الحجاز أرقى منه في أهم العواصم الأوروبية ٢٢٨
عبد العزيز آل سعود « بالهامش » ... .. ٢٢٨
إعجاز القرآن ... .. ٢٢٨
لم يفرق القرآن بين عربي وعجمي ... .. ٢٢٩
أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أمته بالتبليغ ... .. ٢٢٩
رسالة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين ٢٢٩
القرآن هو المخصوص بالرسالة ، لا تعاليم الدين ... ٢٣٠
<b>كيف تكون الترجمة</b> ٢٣١
رأيتا في كيف تكون الترجمة ... .. ٢٣١
تعسر الترجمة الحرفية أو اللفظية ... .. ٢٣١
ترجمة معاني القرآن ... .. ٢٣١
من بلغته ترجمة القرآن فقد بلغه القرآن ... .. ٢٣٢
تشكيل لجنة من اار العلماء لعمل تفسير لمعاني القرآن
الكرام ... .. ٢٣٢
التوسع في المواضيع التي لا تنفق وعادات الأجانب ٢٣٣
تعدد الزوجات ... .. ٢٣٣
عقد مؤتمر إسلامي للنظر فيما عساه أن يوجه إلى التفسير
من نقد ... .. ٢٣٤
اللجنة التي يناط بها ترجمة القرآن ... .. ٢٣٤
النتيجة الختامية لدراسة هذا الكتاب ... .. ٢٣٥
خاتمة ... .. ٢٣٧

صفحة
ما جاء في القرآن بالسريانية ... .. ٢١٤
» » بالعبرانية ... .. ٢١٤
» » بالنبطية ... .. ٢١٥
» » بالقطبية ... .. ٢١٦
» » بالتركية ... .. ٢١٦
» » بالزنجية ... .. ٢١٦
» » بالسريانية ... .. ٢١٦
القرآن يجمع الكثير من اللغات ... .. ٢١٧
تمسك المجمع بتعريب الأسماء الأجنبية ... .. ٢١٧
إبدال المجمع لأسماء مشهورة بأخرى مهجورة ... .. ٢١٧
سبب نزول القرآن بالعربية دون سائر اللغات ... .. ٢١٨
الأمة العربية كانت من أحط الأمم قبل الإسلام ... ٢١٩
عدم الترجمة يزيد الأعاجم بعدا عن العربية ... .. ٢٢٠
ترجمة القرآن تستعرب الأعاجم ... .. ٢٢١
حكم التفسير كحكم الترجمة سواء بسواء ... .. ٢٢١
رأى الإمام ابن حجر في وجوب الترجمة ... .. ٢٢٢
رأى الإمام الزمخشري في ذلك ... .. ٢٢٢
عدم الترجمة حجة للأعاجم ... .. ٢٢٢
النهى عن دخول المصحف أرض العدو ... .. ٢٢٣
لغات العالم « بالهامش » ... .. ٢٢٣
إلقاء موسى عليه السلام للالواح وتكسرها وضياع بعضها ٢٢٥
جواز دخول المصحف أرض الكفار ... .. ٢٢٥
التحريم الثلاث ... .. ٢٢٥
جواز مس المصحف لغير المسلم ... .. ٢٢٥



كَمَل طَبْعَ كِتَاب "الفرقان" بمطبعة دار الكتب المصرية

في يوم الأحد ٧ رجب سنة ١٣٦٧ (١٦ مايو سنة ١٩٤٨) م

محمد نديم

مدير المطبعة بدار الكتب

المصرية







